

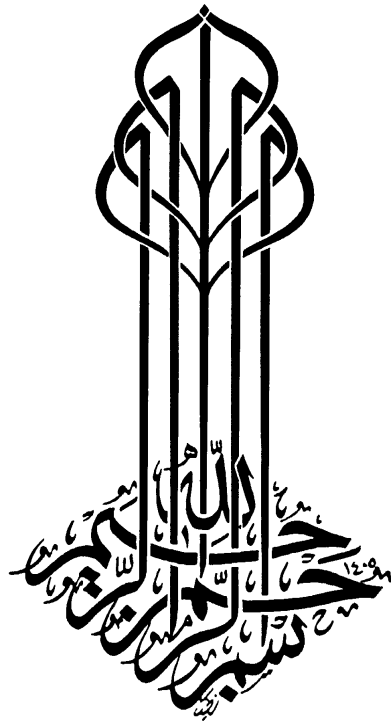
أبحاث المؤتمر الدولي



محمد صلى الله عليه وسلم

برعاية خادم الحرمين الشريفين  
الملك / عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله -

المجلد التاسع





**من جهود سماحة الشيخ ابن باز رحمته الله**

**في الدفاع عن النبي صلوات الله عليه**

إعداد

**د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان**



## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا...» انتهى.

وأعظم الناس وأولاهم بمدافعة الله تعالى عنهم: أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ ذلك لأنهم صفوته من خلقه، فضلهم واختارهم على جميع العالمين.

وأفضلهم وأعظمهم نبينا محمد ﷺ، فلقد خصه الله تعالى بالفضل المقدم على جميع الرسل ﷺ.

وتوعد منتقصه بالبتر فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فالآية نازلة في شأنه وشأنه، وهذا الوعيد يشمل جميع من انتقص علماء السنة كما قال بعض أهل العلم.

وقد أكثر أهل العلم - رحمهم الله تعالى - من السابقين واللاحقين في عنايتهم بتعظيم مقام النبي ﷺ، والحذر والتحذير والنكير على تنقص شخصه أو وصفه أو سُنَّته أو أهل بيته وزوجاته وأصحابه؛ لأنَّ ذلك الأمر موبقٌ لصاحبه في دينه ودنياه وآخرته.

ومَّا قاله أهل العلم في هذا المقام ما ذكره القاضي عياض رحمته الله في كتابه «الشفا» فقد قال ما نصه:

«اعلم - وفقنا الله وإياك - أنَّ جميع من سبَّ النبيَّ ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّض به أو شبَّهه بشيءٍ على طريق السبِّ له أو الإضرار عليه أو التصغير لشأنه أو الغضُّ منه والعيب له فهو سائبٌ له، والحكم فيه حكم السابِّ: يُقتل كما نُبيِّنُه، ولا نستثني فصلًا من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا نمترى فيه تصريحًا كان أو تلويحًا، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنَّى مضرَّةً له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهُجرٍ ومنكرٍ من القول وزورٍ، أو عيَّره بشيءٍ مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمَّصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هلمَّ جرًّا. قال أبو بكر بن المنذر: أجمع عوامُّ

أهل العلم على أنّ من سبَّ النبي ﷺ يُقتل، ومَن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي<sup>(١)</sup>.

ومَن صنّف في مسألة الدِّفاع<sup>(٢)</sup> عن الرّسول ﷺ، وصال وجال في هذا المقام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في كتابه العظيم الذي أفرد له هذه المسألة «الصّارم المسلول على شاتم الرّسول ﷺ».

قال في مقدمته: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تُقيم وجه صاحبها للدِّين حنيفاً وتبرئه من الإلحاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المرسلين وأكرم العباد، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله ولو كره أهل الشرك والعناد، ورفع له ذكره فلا يُذكر إلا معه كما في الأذان والتشهد والخطب والمجامع والأعياد، وكبت محاذّه وأهلك مشاقّه وكفاه المستهزئين به ذوي الأحقاد، وبتر شأنه ولعن مؤذيه في الدنيا والآخرة وجعل هوانه بالمرصاد، واختصّه من بين إخوانه المرسلين بخصائص تفوق التعداد، فله الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود ولواء الحمد الذي تحته كل حمّاد، صلى الله

(١) «الشفّا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» (٢/ ٢١٤-٢١٥).

(٢) في «الصّحاح» (٣/ ١٢٠٨) للجوهري: دافع عنه ودَفَعَ بمعنى. تقول منه: دافع الله عنك السُّوء دفاعاً، واستدفعْتُ الله الأسواء، أي طلبت منه أن يدفعها عني.

عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأعلاها وأكملها وأنهاها كما يحبُّ سبحانه أن يصلي عليه وكما ينبغي أن يصلي على سيّد البشر، والسلام على النبيّ ورحمة الله وبركاته أفضل تحية وأحسنها وأولاها وأبركها وأطيبها وأزكاها، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم التناد، باقين بعد ذلك أبدًا رزقًا من الله ما له من نفاد، أمّا بعد:

فإنّ الله هدانا بنبيّه محمّد ﷺ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وآتانا بركة رسالته ويؤمن سفارته خير الدنيا والآخرة، وكان من ربه بالمنزلة العليا التي تقاصرت العقول والألسنة عن معرفتها ونعتها، وصارت غايتها من ذلك - بعد التناهي في العلم والبيان - الرجوع إلى عيها وصمتها، فاقترضاني لحادث حدث أدنى ما له من الحق علينا، بل هو ما أوجب الله من تعزيره ونصره بكل طريق، وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن، وحفظه وحمايته من كل مؤذٍ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق، ولكن ليلو بعضكم ببعض وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، ليحق الجزاء على الأعمال كما سبق في أم الكتاب<sup>(١)</sup>.

وما زال علماء الإسلام إلى عصرنا هذا وإلى قيام الساعة - إن شاء الله تعالى - ينافحون عن مقام النبوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام، في فتاواهم

---

(١) «الصارم المسلول» (ص ١-٢).



ومصنفاتهم وغير ذلك من وسائل تبليغ العلم ونشره.

وكان من أولئك العلماء في هذا العصر: سماحة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ﷺ، وهو بحق من الثلة المقدّمة في علوم الشريعة في هذا العصر، بل هو المقدّم عليهم علمًا وقبولًا، نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا.

وعودًا على بدء؛ لقد كان لسماحته ﷺ جهودٌ عظيمة في مقام الدِّفاع عنه ﷺ، ومن نظر في بعض ما طُبِع من فتاواه ورسائله رأى مصداق ذلك، وقد تصفّحت أغلب ما وقفت عليه من تراثه العلمي المطبوع فعجبت من عنايته وجلّده في هذا الباب، ولقد قمت بتتبُّع ما وقفت عليه في كلامه المطبوع ثمّ قمت بتصنيف كلامه وتقسيمه بعد ضمّ النظائر إلى بعضها، فظهر لي من خلال ذلك أنّ دفاع سماحته وذبحه عن النبي ﷺ على وجوه متنوّعة اجتهدت في ترتيبها، مع أنّ بعضها قد يدخل في بعضٍ إجماليًّا، لكن لعظيم شأن هذا الأمر أثرتُ ذكر تلك الوجوه بتفصيل ليسهل الوصول إلى المعلومة، وقبل سياق تلك التقاسيم أرى من تمام البحث أن أبين أنّ مقام الدِّفاع عن النبي ﷺ ليس وقفًا على الدفاع عن انتقاص شخصه فحسب، بل الدائرة أوسع من ذلك:

فالدفاع عن آل بيته دفاع عنه ﷺ.

والدفاع عن أصحابه دفاع عنه ﷺ .  
وبيان الأحاديث الموضوعة دفاع عنه ﷺ .  
والنهي عن الغلو فيه دفاع عنه ﷺ .  
وتعظيم سُنَّته والأمر بلزومها دفاع عنه ﷺ .  
إلى غير ذلك ممَّا يستلزم الدِّفاع عنه منطوقاً أو مفهوماً؛ لأنَّ الجامع لتلك الأمور هو حماية جناب النبي ﷺ وتعظيم شأنه التعظيم الشرعي .  
وكان من الجهود المباركة في مقام الدِّفاع عن النبي ﷺ ما قامت به جامعة الإمام محمد بن سعود رحمه الله ممثلة بـ «الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها» التي كان من مناشطها العلمية القيمة «مؤتمر نبي الرحمة»، ولقد أحسن الظنَّ بي القائمون على هذا المؤتمر فكانت مشاركتي ببيان شيء من جهود سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في الدِّفاع عن مقام النبي ﷺ .  
الله أسأل أن يجزي سماحته خيراً عن جهوده العلمية والعملية في نصرة الإسلام ونبي الإسلام ﷺ .

وقبل الختام ومن باب قول النبي ﷺ : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»، فبعد شكر الله تعالى أشكر القائمين على ذلك الصَّرح العلمي العظيم؛ تلك الجامعة التي لها نصيب من قصب السبق في تدريس كتب السُّنة والعناية



بتحقيقها في كثير من الأطروحات لنيل درجة الماجستير والدكتوراه، فضلاً عن  
المناهج المقررة في مراحل التدريس في كليّاتها، جزى الله القائمين عليها خيراً، بدأ  
بمعالي رئيسها معالي الشيخ سليمان أبا الخيل أثابه الله تعالى.  
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

\*\*\*

## من مكانة النبي ﷺ

كان ﷺ يُعنى ببيان هذا الأمر العظيم، ومما قاله في هذا المقام:

«... ونبينا محمد ﷺ - الذي بعثه الله على فترة من الرُّسل - جاء بعد أن مُلئت الأرض جورًا وظلمًا، وبعد أن تغلبت معصية الله في أرضه على طاعته، فأرسله الله للعالمين الإنس والجن، وللعجم والعرب، بشيرًا ونذيرًا، ومبلغًا لشرع الله؛ فوضح الحق ودعا إليه، وأرسل الرُّسل وبعث الكتب للرؤساء والعظماء بالدعوة لما جاء به؛ لتقوم الحجة على من عاند وخالف. قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد جعل الله شريعته خاتمة الشرائع، ورسالته خاتمة الرسالات؛ لأنَّ فيها الكمال والشمول لما يصلح الناس في معاشهم ومعادهم، ولم يترك ﷺ خيرًا إلا دعا الناس إليه، أو شرًّا إلا حذرهم منه<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٧٠-٣٧١).

## تقريره رحمته الله ما جاء في النصوص القطعية من أن محمداً ﷺ خاتم النبيين مع عموم رسالته للثقلين ورده وإنكاره على من خالف في شيء من ذلك

قال رحمته الله: «.. ومحمد ﷺ هو آخر الأنبياء عليهم السلام وخاتم الأنبياء جميعاً، ليس بعده نبي ولا رسول عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل الرسل، وهو إمامهم، وهو خاتمهم؛ فلا بد في حق الأمة - أمة محمد ﷺ جنباً وإنسها، عربها وعجمها، ذكورها وإناثها، أغنيائها وفقرائها، حكامها ومحكومياتها - لا بد أن يؤمنوا بهذا النبي، فمن لم يؤمن به فلا إسلام له، ولا دين له..».

ثم قال رحمته الله: «فلا بد من الإيذان بأنه رسول الله - حقاً - إلى جميع الثقلين الجن والإنس، ولا بد من الإيذان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ليس بعده نبي، وأن من ادّعى النبوة بعده كافر بالله كذاب، كمسيلمة، والأسود العنسي في اليمن، وسجاح التميمية، وطليحة الأسدي، وجميع من ادّعوا من بعده، فأجمع الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم على كفرهم وقتلهم؛ لأنهم كذبوا معنى قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>...

إلى أن قال ﷺ: «وهكذا لو قال: إنَّ محمدًا ﷺ ليس بخاتم الأنبياء، أو: ليس برسلاً للثقلين بل هو للعرب خاصة، كان كافرًا بالله ﷻ؛ فلا بد أن يؤمن بأنه رسول الله إلى جميع الثقلين، ولا بد أن يؤمن بأنه خاتم الأنبياء، ليس بعده نبي ولا رسول. هذا هو الأصل الأصيل...»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار من حديث ثوبان رضي الله عنه برقم ٢٧٧٠٣.

(٢) «فتاوى نور على الدرب» ترتيب: محمد الشويعر (١ / ١٤ - ١٧).

**رده رحمته الله على المتكلمين والفلاسفة الزاعمين**  
**بأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بلغوا الناس أموراً من الخيال**  
**ولم يبلغوهم حقائق الأمور!**

ذكر هذه الأباطيل وردَّ عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في «الفتوى الحموية»، وعلق سماحة الشيخ ابن باز رحمته الله على كلام شيخ الإسلام، وقال مؤيداً لكلامه منكرًا على أولئك:

«.. وهذا كله ردٌّ على المتكلمين والفلاسفة وغيرهم ممن ساءت ظنونهم وزعموا أنه لم يبلغ، إنما خيَّل للناس!

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الناس علمًا، وأكملهم بيانًا، وأكملهم نصحاء، متى توافرت هذه الأمور لا يتأخر البيان، ولهذا بلغ البلاغ المبين عليه الصلاة والسلام، وجعله الله رحمة للعالمين، وهذا كله مما بينه للناس وهداهم إليه وأرشدهم إليه بما أعطاه الله من علم وقدرة وبيان.

فمن زعم خلاف ذلك فقد ساءت ظنونه بالله، وساءت ظنونه برسوله عليه الصلاة والسلام، فيكون من أكفر الناس وأضلهم»<sup>(١)</sup>.

(١) «الكواكب الدرية من تعليقات سماحة الشيخ ابن باز على الفتوى الحموية» (ص ٦٦).

وقال أيضاً ﷺ:

«وهؤلاء هم أكفر الناس وأضلهم وأبعدهم عن الهدى، حيث نسبوا الرُّسل إلى التخييل، وأنهم أتوا بغير الحقيقة! وأنهم زعموا للناس أشياء لا حقيقة لها!! وهذا من أكفر الكفر وأضل الضلال، نسأل الله العافية، وهذا قول الفلاسفة الملحدين الذين لا يعرفون ربًّا ولا إلهًا ولا دينًا، وهكذا من تبعهم من الملاحدة، من الرافضة والصوفية وغيرهم، نسأل الله العافية»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) «الكواكب الدرية من تعليقات ساحة الشيخ ابن باز على الفتوى الحموية» (ص ٦٧).



## رده وإنكاره على من زعم أنه يجوز لأحد الخروج

عن شريعة محمد ﷺ

وهذا الردّ من أعظم مقامات الدّفاع عن النبي ﷺ.

قال ﷺ: «الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء

والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فقد اطلّعت على المقال المنشور بجريدة «الشرق الأوسط» بعددها رقم

(٥٨٢٤) وتاريخ ١٤١٥/٦/٥ هـ، كتبه من سمّي نفسه: عبد الفتاح الحايك،

تحت عنوان: «الفهم الخاطيء».

وملخص المقال: إنكاره لما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة وبالنص

والإجماع، وهو عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس، وادعاؤه أنّ من لم يتبع

محمدًا ﷺ ولم يطعه بل بقي يهوديًا أو نصرانيًا فهو على دينٍ حق! ثمّ تطاول على

ربّ العالمين - سبحانه - في حكمته في تعذيب الكفار والعصاة وجعل ذلك

من العبث!!

وقد قام بتحريف النصوص الشرعية ووضعها في غير مواضعها، وفسّر لها

بما يمليه هواه، وأعرض عن الأدلة الشرعية والنصوص الصريحة الدالة على

عموم رسالة محمد ﷺ، وعلى كفر من سمع به ولم يتبعه، وأن الله لا يقبل غير الإسلام ديناً، إلى غير ذلك من النصوص الصريحة التي أعرض عنها؛ لينخدع بكلامه الجهال.

وهذا الذي فعله كفر صريح، وردّة عن الإسلام، وتكذيب لله - سبحانه - ولرسوله ﷺ، كما يعلم ذلك من قرأ المقال من أهل العلم والإيمان. والواجب على وليّ الأمر إحالته للمحكمة؛ لاستتابته والحكم عليه بما يقتضيه الشرع المطهر...».

ثم ساق سماحته كثيراً من الأدلة في بيان بطلان وشناعة تلك الدعوى<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ١٩٦-١٩).

## نصه رحمته الله على أن الدفاع عن النبي ﷺ

من النصيحة لرسول الله الواردة في قوله ﷺ: «الدين النصيحة»

سأله سائل أن يشرح حديث «الدين النصيحة...» فقال رحمته الله:

«هذا حديث عظيم رواه مسلم في «الصحيح» من حديث تميم الدَّاري،

وله شواهد عند غير مسلم. يقول رحمته الله: «الدين النصيحة» قلنا: لمن يا رسول

الله؟ قال: «الله، وكتبابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

فهذا الحديث العظيم يدل على أن الدين هو النصيحة؛ وذلك يدل على

عظم شأنها؛ لأنه جعلها الدين كما قال النبي ﷺ: «الحج عرفة»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث يدل على أن النصيحة هي الدين، وهي الإخلاص في الشيء

والصدق فيه حتى يؤدَّى كما أوجب الله، فالدين هو النصيحة في جميع ما أوجب

الله وفي ترك ما حرم الله، وهذا عام يعم حق الله، وحق الرسول، وحق القرآن،

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام يجمع فقد أدرك الحج، برقم

٨١٤، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام

بمزدلفة، برقم ٢٩٩٤، وأبو داود في كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة، برقم ١٦٦٤،

وابن ماجه في كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، برقم ٣٠٠٦.

وحق الأئمة، وحق العامة...».

إلى أن قال ﷺ:

«.. وهكذا النصح للرسول ﷺ يكون بطاعة أوامره واجتناب نواهيه، والإيمان بأنه رسول الله حقاً، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، مع الدِّفاع عن سنته والذب عنها؛ كل هذا من النصح للرسول ﷺ، وهكذا العناية بأحاديثه ﷺ وبيان صحيحها من سقيمها والذب عنها والامتنال لها، والوقوف عند الحدود التي حددها الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾<sup>(١)</sup> الآية. هذه هي النصيحة للرسول ﷺ، وما زاد على ذلك من أداء الواجبات وترك المحرّمات كان كمالاً للنصيحة وتاماً لها..» إلخ ما جاء في كلام سماحته ﷺ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨٣-٨٦).

## تعظيم شأن سنة النبي ﷺ

### والرد على من قدح فيها أو أنكرها

تعظيم شأن السنة من تعظيم صاحبها، ومن لوازم ذلك الدفاع عنها وعن صاحبها.

وكلام سماحته في هذا الأمر كثير جداً، ومن ضمن كلامه قوله ﷺ: «... ثم بعد ذلك - أي العناية بالقرآن العظيم - العناية بالسنة فإنها الأصل الثاني، والوحي الثاني، وفيها التفسير لكتاب الله والدلالة على ما قد يخفى من كلامه سبحانه، فهي الموضحة لكتاب الله، كما قال ﷺ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup>. فهو أنزل لدعوة الناس إلى الخير، وتعليمهم سبيل النجاة، وتحذيرهم من سبيل الهلاك، وأمر الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - أن يبين للناس ما أنزل إليهم، وأن يشرح لهم ما اشتبه عليهم، فلم يزل عليه الصلاة والسلام من حين بعثه الله إلى أن توفاه سبحانه

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٤.

يدعو الناس إلى ما دل عليه كتاب الله ويشرح لهم ما دل عليه، ويحذرهم مما نهى عنه، وكانت المدة من حين بعثه الله إلى أن توفاه ثلاثا وعشرين سنة، كلها دعوة وبيان وترهيب وترغيب، إلى أن نقل إلى الرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام....»<sup>(١)</sup>.

وله في هذا الباب - أيضا - بحوث ورسائل فمن ذلك بحث بعنوان «السنة ومكانتها في الإسلام وفي أصول التشريع»، جاء فيه:

«... أما السنة: فلا نزاع ولا خلاف في أنها أصل مستقل، وأنها هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأن الواجب على جميع المسلمين بل على جميع الأمة الأخذ بها والاعتماد عليها والاحتجاج بها إذا صحَّ السَّند عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقد دل على هذا المعنى آيات كثيرات من كتاب الله، وأحاديث صحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما دل على هذا المعنى إجماع أهل العلم قاطبة على وجوب الأخذ بها، والإنكار على من أعرض عنها أو خالفها.

وقد نبغت نابغة في صدر الإسلام أنكرت السنة بسبب تهمتها للصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، كالخوارج؛ فإن الخوارج كفَّروا كثيرا من الصحابة وفسَّقوا كثيرا

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٣٠).

منهم! وصاروا لا يعتمدون بزعمهم إلا على كتاب الله؛ لسوء ظنهم بأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وتابعتهم الرافضة فقالوا: لا حُجَّة إلا فيما جاء من طريق أهل البيت فقط، وما سوى ذلك لا حجة فيه!

ونبغت نابغة بعد ذلك، ولا يزال هذا القول يذكر فيما بين وقت وآخر، وتسمى هذه النابغة الأخيرة «القرآنية»، ويزعمون أنهم أهل القرآن! وأنهم يحتجون بالقرآن فقط، وأن السنة لا يحتج بها؛ لأنها إنما كتبت بعد النبي ﷺ بمدة طويلة، ولأن الإنسان قد ينسى وقد يغلط، ولأن الكتب قد يقع فيها غلط، إلى غير هذا مما قالوا من الترهات والخرافات، والآراء الفاسدة، وزعموا أنهم بذلك يحتاطون لدينهم فلا يأخذون إلا بالقرآن فقط.

وقد ضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا، وكفروا بذلك كفرًا أكبر بواحًا...»<sup>(١)</sup>.

وله بحث آخر بعنوان «وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٥ / ٧-٩).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٥ / ٣٠).

## التحذير من أعداء السنة والرد عليهم

وصنّف ﷺ رسالة سمّاها «وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها»، ورسالة أخرى سمّاها «وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة». وفي معرض ردّه ﷺ على بعض أعداء السنة قال ما نصه:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة سعادة أمين عام المجلس الإسلامي الأوربي سلمه الله. السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد<sup>(١)</sup>:

فحيث يوجد في مدينة «توسان» التابعة لولاية «أريزونا» مسجد يشرف عليه شخص يدعى «رشاد خليفة» مصري الأصل، أمريكي الجنسية، يقوم فيه بالدعوة الإسلامية على أساس بعيد عن الإسلام؛ لإنكاره السُّنة، واستنقاصه من منزلة النبي ﷺ، وذلك بما ثبت لدينا من التقارير بحقه من عدة جهات والتي ملخصها ما يلي: أنّ المذكور يقيم في مدينة «توسان» بولاية «أريزونا» إحدى الولايات المتحدة الأمريكية، ويحمل الدكتوراه في الهندسة الزراعيّة، ممّا لا يؤهله للقيام بالدعوة إلى الله على وجه صحيح، بل إنّ دعوته للإسلام يظهر منها المخادعة والتغريب بالمسلمين الجدد، والسُّدج من العامة باسم الإسلام، في

(١) نشر في «مجلة البحوث الإسلامية» العدد ٩ سنة ١٤٠٤ هـ.



الوقت الذي هو يحارب الإسلام بإنكار السنّة، وتعاونه مع المنكرين لها قولاً وفعلاً أمثال «محمد علي اللاهوري» وغيره، وقد قامت حوله ضجّة علمية حول اكتشافه سرّ إعجاز القرآن حسب زعمه!

وفي زيارته لليبيا عام ١٣٩٩ هـ سجّل في إذاعتها أحاديث، ووجد من يستمع إليه حول رأيه في السنة المطهرة، بل إنه حينما سُئل من قبل أحد أستاذة الجامعة قبل صعوده للطائفة عن رأيه في أحاديث الرسول ﷺ أجاب باختصار نظراً لضيق الوقت قائلاً: «الحديث من صنع إبليس!! ومن مواقفه التي توضح رفضه للسنة، وتأويل القرآن الكريم حسب ما يراه:

قوله: إنه لا يجوز رجم الزاني أو الزانية، سواء كانا محصنين أو غير محصنين؛ لأنّ ذلك لم يرد في القرآن.

تبجّحه بصورة مستمرة بما يرويه «لا تكتبوا عني سوى القرآن»؛ ليثبت أنه لا يجوز كتابة الأحاديث.

استدلّاه على ما ذهب إليه من لا حاجة للسنة، ولا لتفسير الرسول للقرآن

بقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٢) سورة مريم: الآية ٦٤.

ادّعاهُ أنّ الأخذ بالسنة وكتابتها وجمع الأحاديث في القرنين الثاني والثالث كان سبباً في سقوط الدولة الإسلامية.

عدم التصديق بالمعراج، وأنّ رسول الله ﷺ لم يأت بجديد في الصلاة؛ لأنّ العرب قد توارثوها بهذه الكيفية المعهودة عن جدهم إبراهيم! له تأويلات في كيفية كتابة الحروف المقطعة الواردة في أول السُّور، ويقول: هذه ليست هي الكتابة الصحيحة لها، وفي قوله تعالى: ﴿الْم﴾ يجب أن تكتب هكذا «ألف لام ميم»، وقوله تعالى: ﴿نَ﴾ يجب أن تكتب هكذا «نون»! وغير ذلك من الشطحات التي يفرق بها كلمة المسلمين، مع ما فيها من محادة لله ورسوله.

لذا؛ فقد رأينا من واجبنا توضيح أمره وكشف حقيقته لوقف التعامل معه، والتنبه لمغالطاته، وبراءة للذمة، ونصحا لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، راجيا تعميم كتابنا هذا على منسوبيكم والجهات ذات العلاقة، أعانكم الله على كل خير، وجعلنا وإياكم من أنصار السنة والكتاب، ومن دعاة الخير على بصيرة، إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»<sup>(١)</sup>.

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٧/ ٤٨٠ - ٤٨٣).

## الإنكار على من غلا في مقام النبي ﷺ

مقام الغلوّ ممّا جاء النهي والتحذير منه في الكتاب والسنة، ومن أعظم ذلك الغلوّ في الأشخاص من الأنبياء عليهم السلام وغيرهم، فقد أنكر الله تعالى على أهل الكتاب غلوّهم في هذا الباب فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضْهَعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وجاء في الحديث: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، ف قيل: يا رسول الله، كفارس والرّوم؟ فقال: «فمن الناس إلا أولئك؟»<sup>(٢)</sup>.

وجاءت نصوص خاصّة تنهى عن الغلوّ في مقامه ﷺ، فمن ذلك ما جاء في الصحيح: أنّ جويريات كنّ يضربن بالدّفّ ويندبن من قُتل من آبائهم فقالت إحداهن: «وفينا نبيّ يعلم ما في غد»، فقال ﷺ: «دعي هذه وقولي

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

بالذي كنت تقولين»<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من النصوص في هذا المقام.

ولقد كان لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله جهودٌ عظيمة في بيان عدم جواز الغلو في مقامه عليه السلام، وفي الرد على من وقع في ذلك المحذور، وفي إنكاره رحمته الله على من غلا في النبي عليه السلام؛ لأنه من الدفاع عن مقامه عليه السلام، ولزوم ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

ومن كلام سماحته رحمته الله في هذا المقام ما جاء في رسالة له سَمّاها: «حكم الاستغاثة بالنبي عليه السلام»، قال فيها ما نصه:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد نشرت صحيفة «المجتمع» الكويتية في عددها ١٥ الصادر في ١٩ / ٤ / ١٣٩٠ هـ أبحاثاً تحت عنوان «في ذكرى المولد النبوي الشريف» تتضمن الاستغاثة بالنبي عليه السلام والاستنصار به لإدراك الأمة ونصرها وتخليصها ممّا وقعت فيه من التفرُّق والاختلاف، بإمضاء من سمّت نفسها «آمنة»، وهذا نص من الأبيات المشار إليها:

---

(١) رواه البخاري.

يا رسول الله أدرك عالماً \* يشعل الحرب ويصلى من لظاها  
يا رسول الله أدرك أمة \* في ظلام الشك قد طال سراها  
يا رسول الله أدرك أمة \* في متاهات الأسى ضاعت واهها  
إلى أن قالت:

يا رسول الله أدرك أمة \* في ظلام الشك قد طال سراها  
عجل النصر كما عجلته \* يوم بدر حين ناديت الإلهها  
فاستحال الذل نصراً رائعاً \* إن الله جنوداً لا تراها  
... الله أكبر! هكذا توجه هذه الكاتبة نداءها واستغاثتها إلى الرسول ﷺ

طالبة منه إدراك الأمة بتعجيل النصر، ناسية أو جاهلة أن النصر بيد الله وحده،  
ليس ذلك بيد النبي ﷺ، ولا غيره من المخلوقات، كما قال الله سبحانه في كتابه  
المئين: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال ﷻ: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ  
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد علم بالنص والإجماع أن الله - سبحانه - خلق الخلق ليعبدوه،  
وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان تلك العبادة والدعوة إليها، كما قال سبحانه:

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: ﴿الرَّ كَتَبْتُ أَحْكَمَتْ آيَتُهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

فأوضح - سبحانه - في هذه الآيات المحكمات أنه لم يخلق الثقليين إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، وبَيَّن أنه أرسل الرُّسل - عليهم الصلاة والسلام - للأمر بهذه العبادة والنهي عن ضدها، وأخبر ﷺ أنه أحكم آيات كتابه وفصلها لئلا يعبد غيره سبحانه، والعبادة هي توحيده وطاعته بامتثال أوامره وترك نواهيه، وقد أمر الله بذلك في آيات كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾<sup>(٦)</sup> الآية.

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٤) سورة هود: الآية ١.

(٥) سورة هود: الآية ٢.

(٦) سورة البينة: الآية ٥.

وقوله ﷻ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه من الأنبياء وغيرهم، ولا ريب أن الدعاء من أهم أنواع العبادة وأجمعها فوجب إخلاصه لله وحده كما قال ﷻ: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾<sup>(٤)</sup>. وهذا يعم جميع المخلوقات من الأنبياء وغيرهم<sup>(٥)</sup>.

ثم سرد ﷺ كثيراً من الأدلة مع إيضاح الشاهد فيها في بيان النهي الشديد عن صرف العبادة لغير الله تعالى.

وسئل ﷺ عن أقوام ينادون: مدد يا رسول الله، أو مدد يا نبي، فما الحكم في ذلك؟ فأجاب ﷺ:

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢-٣.

(٣) سورة غافر: الآية ١٤.

(٤) سورة الجن: الآية ١٨.

(٥) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ١٥١-١٥٣).

«هذا الكلام من الشرك الأكبر، ومعناه: طلب الغوث من النبي ﷺ، وقد أجمع العلماء من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم من علماء السنة على أن الاستغاثة بالأموات من الأنبياء وغيرهم، أو الغائبين من الملائكة أو الجن وغيرهم، أو بالأصنام والأحجار والأشجار أو بالكواكب ونحوها: من الشرك الأكبر؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

ومن كلامه في هذا الباب أيضًا: ردّه على أبيات تتضمن الغلوّ في مقام النبي ﷺ، وقد جاء في الرد ما نصه:

«الحمد لله وحده، فقد نشرت صحيفة «المدينة» في ملحقتها الأسبوعي العدد ١١٨٦٩ في ١٠/٥/١٤١٦هـ، (ص ٢٢) قصيدة بعنوان «أتيت أرف أشعاري» لمن سمى نفسه عبده محمد درويش، نسأل الله لنا وله الهداية، وقد قال في هذه القصيدة:

حبيبي رسول الله جئتك خاشعا \* خفيفا بأشواقي ثقيلا بأوزاري  
حبيبي رسول الله هل من شفاعة؟ \* وهل يا حبيب الله تقبل أعذاري؟  
ولا يخفى على كل ذي بصيرة ما في قوله «جئتك خاشعاً» من صرف الخشوع إلى رسول الله ﷺ.

وفي قوله: «ثقيلا بأوزاري» ما يدل على طلبه تخفيف الأوزار من رسول



الله ﷻ.

وفي قوله: «حبيبي رسول الله هل من شفاعة؟» طلب الشفاعة من رسول

الله ﷻ بعد وفاته.

وفي قوله: «وهل يا حبيب الله تقبل أعذارى؟» الطلب من الرسول ﷺ

أن يقبل أعذاره.

ومن تأمل هذين البيتين من أهل العلم والبصيرة علم أن نشرهما وأمثالهما غير جائز؛ لما اشتملا عليه من الشرك، ومخالفة العقيدة الإسلامية من صرف الخشوع للرسول ﷺ، وطلب تخفيف الأوزار منه، وطلب الشفاعة منه بعد موته وقبول الأعذار، وذلك كله مما يجب طلبه من الله سبحانه... إلخ ما جاء في ردّه رحمته الله <sup>(١)</sup>.

ومما جاء لسماحته في التحذير من الغلو في مقام النبي ﷺ:

إنكاره وردّه على «ما نسب إلى الإمام أحمد الرّفاعي أنه زار المسجد النبوي في المدينة ودعا عند القبر فمدّ الرسول ﷺ يده الشريفة له وقبلها! وهذا مستفيض عند أتباع طريقته وفي حكم الجزم عندهم مع أنه عاش في القرن

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» ٩/ ١٦٤-١٦٥.

السادس الهجري، فما مدى صحة ذلك؟

الجواب: «هذا أمرٌ باطل ولا أساس له من الصحة؛ لأنه ﷺ قد توفي الموتة التي كتبها الله عليه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمّتي السلام»<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا ردَّ الله علي روحي حتى أردَّ ﷺ»<sup>(٣)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ خَيْرَ أَيَّامِكُمْ يوم الجمعة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ معروضة عليَّ». قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك وقد أرمت؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»<sup>(٤)</sup>.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ولم يقل في شيء منها إنه يصافح أحداً،

(١) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٢) رواه النسائي في السهو برقم (١٢٦٥)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم (٣٤٨٤)، و٣٩٩٣ و٤٠٩٣، والدارمي في كتاب الرقائق برقم (٢٦٥٥).

(٣) رواه أبو داود في المناسك برقم (١٧٤٥)، وأحمد في باقي مسند المكثرين برقم (١٠٣٩٥).

(٤) رواه النسائي في الجمعة برقم (١٣٥٧)، وأبو داود في الصلاة برقم (٨٨٣)، و١٣٠٨، وأحمد في مسند المدنيين برقم (١٥٥٧٥).

فدَلَّ ذلك على بطلان هذه الحكاية، ولو فرضنا صحَّة ذلك فإنَّ ذلك يحمل على أنه شيطان صافحه ليلبَّس عليه أمره ويفتنه ومن بعده.

فالواجب على جميع المسلمين أن يتَّقوا الله وأن يتمسَّكوا بشرعه الذي دلَّ عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين، وأن يحذروا ما يخالف ذلك.

أصلح الله أحوال المسلمين ومنحهم الفقه في دينه والتمسك بشريعته، إنه جواد كريم<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أيضا رده على من زعم أن النبي ﷺ يوجد في كل مكان وأنه يعلم الغيب، فقد جاء في جوابه ما نصه:

«أما ما يظنه بعض الصوفية من علمه بالغيب وحضوره ﷺ لديهم في أوقات احتفالهم بالمولد وغيره، فهو شيء باطل لا أساس له، وإنما قادهم إليه جهلهم بالقرآن والسنة وما كان عليه السلف الصالح. فنسأل الله لنا ولجميع المسلمين العافية مما ابتلاهم به، كما نسأله سبحانه أن يهدينا وإياهم جميعا صراطه المستقيم إنه سميع مجيب<sup>(٢)</sup>».

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ٣١٠-٣١١).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٨١).

## إنكاره الشديد على من استهزأ بالرسول ﷺ

وهذا الأمر مشهورٌ معلومٌ في كتاباته ومحاضراته ﷺ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: بيانٌ صدر من سماحته مشتمل على رد بليغ وإنكار شنيع على من استهزأ بالنبي ﷺ بسبب مقال صحفي تجرأ فيه كاتبه جرأةً قبيحةً على مقام النبي ﷺ، فقال ﷺ في بيانه:

«بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، لقد اطلعت على ما نشرته صحيفة «صوت الإسلام» بالقاهرة نقلًا عن «صحيفة المساء» المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي من الجرأة على الجنب الرفيع والمقام العظيم - مقام سيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً - بتمثيله بحيوان من أدنى الحيوانات وهو الدِّيك، لا يشك مسلم أن هذا التمثيل كفرٌ بواح، وإلحادٌ سافر واستهزاء صريح بمقام سيّد الأوّلين والآخرين ورسول ربّ العالمين وقائد الغرّ المحجّلين، إنها جرأةٌ تحزن كل مسلم، وتدمي قلب كل مؤمن، وتوجب اللعنة والعار والخلود في النار، وغضب العزيز الجبار، والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيّز الشرك والنفاق والكفران لمن قالها أو رضي بها، ولقد نطق كتاب الله الكريم بكفر من استهزأ بالرسول العظيم أو بشيء من

كتاب الله المبين وشرعه الحكيم. قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿<sup>(١)</sup> الآية.

فهذه الآية الكريمة نصٌّ ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزأ بالله العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين.

وقد أجمع علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصارع على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من الدين، وأجمعوا على أنَّ من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم أنه يكون بذلك كافراً مرتدداً عن الإسلام يجب قتله؛ لقول الرسول ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه: أنَّ الاستهزاء تنقص واحتقاراً للمستهزأ به، والله - سبحانه - له صفة الكمال، وكتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله ﷻ، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق وسيدهم وخاتم المرسلين و خليل رب العالمين، فمن استهزأ بالله أو

(١) سورة التوبة: الآيتان ٦٥-٦٦.

(٢) «صحيح البخاري» الجهاد والسير (٢٨٥٤)، «سنن أبي داود» الحدود (٤٣٥١)، «سنن الترمذي» الحدود (١٤٥٨)، «سنن النسائي» تحريم الدم (٤٠٦٠)، «سنن ابن ماجه» الحدود (٢٥٣٥)، «مسند أحمد بن حنبل» (١/٢٨٢).

رسوله أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقصه واحتقره، واحتقار شيء من ذلك وتنقصه كفرٌ ظاهر ونفاق سافر وعداء لرب العالمين وكفر برسوله الأمين. وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على كفر من سبَّ الرسول الكريم ﷺ أو تنقصه، وعلى وجوب قتله. قال الإمام أبو بكر بن المنذر رحمته الله: «أجمع عوام أهل العلم على أن حدَّ من سبَّ النبي ﷺ القتل، ومَن قاله: مالك، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي...» إلى آخر ما قال<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٣٢٦-٣٣٤).

ومن أمثلة ذلك: أن «صحيفة المساء» المصرية نشرت مقالاً شنيعاً فيه جرأة على مقام النبي ﷺ حيث مثله بصورة ديك وكتب عبارة: هذا محمد أفندي المتزوج بتسع نساء! ولقد ردّ سماحته ردّاً بليغاً على هذا الأفاك الأثيم، ثم قال سماحته في أثناء ردّه:

«... ولقد وفقت صحيفة «صوت الإسلام» القاهرية في ردّها على جريدة «المساء» المصرية ما اقترفته من المحاربة للإسلام ومن الجرم الفظيع والمنكر الشنيع في حق المصطفى ﷺ وشريعته بقلم رئيس التحرير الشيخ محمد عطية خميس، ولقد أحسن فضيلته إحساناً عظيماً حيث أنكر ما فعلته هذه الصحيفة من الكفر الصريح والاستهزاء بالسافر بسيدّ عباد الله، وأفضل رسول، واحتج على حكام مصر وطالبهم بوضع حد لهذه الفتنة.

وإلى القراء بعض كلمته، قال وفقه الله - بعد كلام سبق في ردّ مقالات شنيعة كتبها بعض الصحف المأجورة - ما نصه...

ثم ساق الإمام ابن باز رحمته الله جواب الشيخ محمد عطية خميس كاملاً، ثم قال رحمته الله:

«ولقد أجاد وأفاد، وصدع بالحق، فجزاه الله عن ذلك خيرًا وزاده من الهدى والتوفيق، وكثر في المسلمين من أمثاله من الصادعين بالحق بين الظلمة اللثام، والحمد لله الذي أوجد في مصر من ينطق بالحق ويصدع بالرد على من حاد عنه، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن بالزوايا خبايا، وأن في الرجال بقايا، ولا شك أن ذلك من حفظ الله لدينه وحمائته لخاتم أنبيائه وسيد أصفياه محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٣٢٦ - ٣٣٠).



## مكاتبته ورده على كبار المسؤولين من الحكام وغيرهم

### في مقام الدفاع عن طعنهم في القرآن والسنة والنبي ﷺ

قال رحمته الله في رسالة له سماها «حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات أو وصف الرسول ﷺ بما يتضمن تنقصه أو الطعن في رسالته، والرد على من تجرأ على ذلك أو نُسب إليه»<sup>(١)</sup>.  
ثم شرع رحمته الله في كشف الشبه المذكورة في كلام ذلك المسؤول فقال في رسالته:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد نشرت «صحيفة الشهاب» اللبنانية في عددها الصادر في ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ، الموافق ١ نيسان سنة ١٩٧٤ م فقراتٍ خطيرةً من كلام مسؤول كبير ألقاه في إحدى المناسبات حول الثقافة الذاتية والوعي القومي يتضمن الطعن في القرآن الكريم بأنه متناقض، ومشتمل على بعض الخرافات، مع وصف الرسول ﷺ بأنه إنسان بسيط يسافر كثيرًا في الصحراء، ويستمع إلى

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٨٢-٩٤).

الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن الكريم!! وهذا نص ما نشرته الصحيفة المذكورة:

«القرآن متناقض حوى خرافات، مثل قصة أهل الكهف، وعصا موسى! في مناسبة عقدت بأواخر الشهر الماضي مؤتمر للمدرسين والمربين، لمناسبة الملتقى الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي القومي، وقد ألقى ذلك المسؤول خطاباً طويلاً تعرّض فيه لقضايا فكرية هامة، وأجرى عملية جريئة وعلنية لنصوص قرآنية ثابتة، خلص أنها متناقضة حيناً، وخرافية حيناً آخر! وقد نشرت نص الخطاب جريدة أخرى على جزأين في عددين صدرتا بتاريخ ٢٠ و ٢١ من شهر آذار مارس الماضي، وقد عملت وسائل الإعلام الرسمية على حذف النقاط النافرة في الخطاب، وسنورد النقاط المحذوفة التي سمعت حية من المذكور، ثمّ نورد ما نشرته الجريدة حرفياً:

١ - إنّ في القرآن تناقضاً لم يعد يقبله العقل بين: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾<sup>(١)</sup> و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - الرّسول محمد - عليه الصلاة والسلام - كان إنساناً بسيطاً يسافر

(١) سورة التوبة: الآية ٥١.

(٢) سورة الرعد: الآية ١١.

كثيراً عبر الصحراء العربية، ويستمتع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن، مثال ذلك عصا موسى، وهذا شيء لا يقبله العقل بعد اكتشاف باستور، وقصة أهل الكهف.

٣- إن المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد، فهم دائماً يكررون محمد ﷺ، الله يصلي على محمد، وهذا تأليه لمحمد، وقد دعا في ختام خطابه المريين وأهل التعليم إلى تلقين ما قاله حول الإسلام إلى تلاميذهم.

انتهى المقصود مما ذكرته صحيفة «الشهاب» عن كلام المذكور، وقد أفرغ هذا المقال كل مسلم قرأه أو سمعه؛ لما اشتمل عليه من الكفر الصريح، والجرأة على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ من مسؤول دولة تنتسب إلى الإسلام، كان من المفروض عليه أن يدافع عن دينه وعن كتاب ربه، وعن رسوله محمد ﷺ لو سمع مثل هذا المقال، أو ما هو أخف منه من أي أحد، ولكن الأمر كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨.

ولما قرأت هذا المقال في صحيفة «الشهاب» بادرْتُ بإرسال برقية للمذكور بتاريخ ٧/ ٤ سنة ١٣٩٤ هـ هذا نصها:

نشرت صحيفة «الشهاب» بعدد ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ حديثاً نسب إليكم غايةً في الخطورة، يتضمَّن الطعن في القرآن الكريم بالتناقض والاشتغال على الخرافات، والطعن في مقام الرسالة المحمدية العظيم.

وقد أزعج ذلك المسلمين واستنكروه غاية الاستنكار، فإن كان ذلك صدر منكم فالواجب شرعاً المبادرة إلى التوبة النصوح منه، وإعلانها بطرق الإعلان الرسمية، وإلاَّ وجب إعلان بيان رسمي صريح بتكذيبه واعتقاده خلافه كي يطمئن المسلمون وتهدأ ثائرتهم من هذه التصريحات الخطيرة.

ونسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وللتوبة من جميع الآثام سرّاً وجهراً، وأن يُعزِّز الإسلام وأهله وأوطانه إنه سميع مجيب.

ثمَّ أرسلت برقية أخرى منِّي ومن المشايخ: حسنين محمد مخلوف، وأبي الحسن علي الحسيني الندوي، وأبي بكر محمود جومي، والدكتور محمد أمين المصري، وذلك بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٣٩٤ هـ هذا نصها:

نسبت إليكم صحيفة «الشهاب» بعددها الصادر بتاريخ ٢٣ ربيع الأول

تصريحات مكفرة؛ لما فيها من الطعن في القرآن الكريم والمصطفى ﷺ، ودعوتكم لرجال التعليم لنشرها بين الطلاب. فإن كنتم قد اقترفتوها فالواجب عليكم المبادرة إلى التوبة والعودة إلى الإسلام، وإلاّ وجب عليكم المبادرة إلى التكذيب الصّريح، ونشره في العالم بجميع وسائل النشر، وإعلان عقيدتكم الإسلامية الصحيحة في الله - تعالى - وكتابه ورسوله، تبرئة من الكفر، وتسكيناً للفتن، وتطميناً للمسلمين في سائر الدول، وإن عدم التكذيب دليل على الإصرار على الرّدّة، ومثار فتن لا يعلم عواقبها إلا ربّ العالمين، تحمل وزرها ووزر من يرتكس فيها إلى يوم الدين، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) سورة النور: الآية ١١.

## رده واستنكاره ﷺ على بعض شركات الإعلام

### إنتاج فلم عن النبي ﷺ

وقد أثارت هذه القضية ردود فعل واسعة عند علماء المسلمين وعامتهم، وكان لسماحته ﷺ جهد كبير في ردّ ذلك من خلال كتاباته الخاصة والعامة، ومما قاله في هذا الشأن:

«... فقد اطلعت على ما نشرته مجلة «المجتمع» الكويتية في عددها ١٦٢ الصادر ١٣٩٣/٧/٩ هـ تحت عنوان «فيلم محمد رسول الله»، وقد تضمن الخبر المذكور أنه خلال الأيام الماضية تمّ التوقيع على عقد تأسيس الشركة العربية للإنتاج السينمائي العالمي، وتولى التوقيع ممثلو حكومات ليبيا والكويت والمغرب والبحرين، وأنّ الشركة المذكورة تعاقدت مع المخرج مصطفى عقاد لإنتاج فيلم عن النبي ﷺ حياته وتعاليمه بالسينما سكوب والألوان، يستمر عرضه ثلاث ساعات ويخرج بعشرين لغة عالمية بما فيها العربية.

وذلك بالاستناد إلى قصة أقرّها الأزهر والمجلس الشيعي الأعلى واشترك في صياغتها توفيق الحكيم وعبد الحميد جودة السحار وعبدالرحمن الشرقاوي، انتهى الخبر المذكور، ولكون ذلك فيما نعتقد أمراً منكراً، وحدثاً خطيراً يترتب

عليه مفسد كبرى وأضرار عظيمة واستهانة بالمصطفى ﷺ وتعريض لذاته الشريفة إلى التلاعب بها والاستهزاء والتقص، رأيت المساهمة في إنكار هذا المنكر، والإهابة بالدول الأربع الموافقة على إخراجهِ بالرجوع عن ذلك تعظيماً للنبي ﷺ واحتراماً له، واحترافاً عن تعريض ذاته الشريفة للتقص والاستهانة والسخرية...» إلى أن قال رحمته الله:

«ولكل ما تقدم وما سوف يفضي إليه الإقدام على هذا الأمر من الاستهانة بالنبي ﷺ وبأصحابه رضي الله عنهم، وتعريض سيرته وأعماله وسيرة أصحابه وأعمالهم للتلاعب والامتهان من قبل الممثلين وتجّار السينما يتصرفون فيها كيف شاءوا، ويبرزونها على الصفة التي تلائمهم بغية التكسب والاتجار من وراء ذلك، ولما في هذا العمل الخطير من تعريض النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم للاستهانة والسخرية، وجرح مشاعر المسلمين، فإنّي أكرّر استنكاري بشدة لإخراج الفيلم المذكور.

وأطلب من جميع المسلمين في كافة الأقطار استنكارهم لذلك، كما أرجو من جميع الحكومات والمسؤولين بذل جهودهم لوقف إخراجهِ، وفي إبراز سيرته ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم بالطرق التي درج عليها المسلمون من عهده ﷺ إلى يومنا هذا ما يكفي ويشفي ويغني عن إخراج هذا الفيلم.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُوَفِّقَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا وَحُكُومَاتِهِمْ لِكُلِّ مَا فِيهِ صَلَاحٌ  
الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَلِكُلِّ مَا فِيهِ تَعْظِيمٌ نَبِيهِمْ ﷺ التَّعْظِيمَ الشَّرْعِي  
اللَّائِقَ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، وَالْحَذَرَ مِنْ كُلِّ مَا يَفْضِي إِلَى التَّنْقِصِ لَهُمْ أَوْ  
السَّخَرِيَّةِ مِنْهُمْ أَوْ يَعْزِضُهُمْ لَذَلِكَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى عَبْدِهِ  
وَرَسُولِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٤١٣-٤١٧).



## الرد على بعض الصحفيين في مقالاتهم المسيئة للسنة

وهذا الأمر كثيرٌ في منهج سماحته، ومن خلال النظر في كتبه وفتاواه نجد أن رده على الصحفيين أمرٌ ظاهر، ومن ذلك قوله رحمته الله:

«... فقد اطلعت على ما نشر في جريدة «السياسة» بعددها ٦٦٨ في ١٩ / ٨ / ١٤٠٤ هـ لكاتبه حمد السعيدان، وقد نسب إليّ - هداه الله - كلاماً عن حلق اللحية تجراً فيه بشيء لم أقله، ومما ذكر أنّي قلت: أي فتوى تصدر باسمي يجب أن تكون ممهورة بخاتمي ومصدقة من وزارة الأوقاف الإسلامية. وهذا الكلام ظاهر البطلان؛ لأنني لم أشرط يوماً ما تصديق وزارة الأوقاف الإسلامية على ما يصدر مني من الفتاوى. ثم استرسل في الكلام عن حلق اللحية وغيرها وزعم أن قول النبي ﷺ: «خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى»<sup>(١)</sup> يقتضي بهذا العصر أن نحلق اللحى؛ لأنّ المجوس واليهود والسيخ وغيرهم يطلقون اللحى، وقال: وعليه يجب مخالفة هذه الفئات نحلق لحانا! وقد قام رجال الأزهر بتطبيق هذا الحديث وهو مخالفة المشركين وغيرهم وحلقوا لحاهم... إلى آخر ما قال.

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر ص ٢٦٤، ومسلم بشرح النووي في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة (١٤٧ / ٢) واللفظ له.

ولا شك أن هذا جرأة من الكاتب وسوء أدب منه مع سنة رسول الله ﷺ،  
فبيانهُ ﷺ واضح، وأمره واجب الامتثال والتنفيذ، ويخشى على مخالفه من  
العاقبة السيئة، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ  
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

وقال ﷺ في موضع آخر:

«فالواجب على جميع المسلمين أن يحذروا الشرك بالله ﷻ، وأن يتواصوا  
بتركه مع بيانه للناس والتحذير منه، والواجب على جميع القائمين على الصحف  
من أهل الإسلام ألا ينشروا ما يخالف شرع الله ﷻ، وأن يتحرّوا فيما ينشرونه ما  
ينفع الأمة ولا يضرّهم في دينهم ولا دنياهم، وأعظم ذلك خطرا ما يوقع في  
الشرك وأنواع الكفر والضلال.

أصلح الله أحوال المسلمين ووفقهم وجميع القائمين على وسائل الإعلام  
لكل ما فيه صلاح العباد ونجاتهم وسلامة أمر دينهم ودنياهم، إنه جواد كريم،  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النور: الآية ٦٣.

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٤١٠-٤١٣).



من جهود سماحة الشيخ ابن باز رحمته الله في الدفاع عن النبي ﷺ

## تحذيره رحمته الله من تلك المنشورات والأخبار المنتشرة المتداولة بين الناس وهي تتضمن كذباً وافتراء

كتب رحمته الله رسالة عنون لها بقوله:

«تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف<sup>(١)</sup>:

«من عبدالعزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين حفظهم الله بالإسلام، وأعاذنا وإياهم من شر مفتریات الجهلة الطغام، آمين.  
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد اطلعت على كلمة منسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف بعنوان: «هذه وصية من المدينة المنورة عن الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف» قال فيها:

«كنت ساهراً ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم، وبعد تلاوة قراءة أسماء الله الحسنى، فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم، فرأيت صاحب الطلعة البهية رسول

---

(١) نشرت هذه الوصية في كراسة برقم ١٧ عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٤٠٢هـ.

الله ﷻ الذي أتى بالآيات القرآنية، والأحكام الشريفة؛ رحمة بالعالمين سيدنا محمد ﷺ فقال: يا شيخ أحمد، قلت: لبيك يا رسول الله، يا أكرم خلق الله، فقال لي: أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة، ولم أقدر أن أقابل ربِّي ولا الملائكة؛ لأنَّ من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام، ثمَّ ذكر بعض ما وقع فيه الناس من المعاصي، ثمَّ قال: فهذه الوصية رحمة بهم من العزيز الجبار، ثم ذكر بعض أشراط الساعة، إلى أن قال: فأخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية؛ لأنها منقولة بقلم القدر من اللوح المحفوظ، ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد، ومن محل إلى محل، بني له قصر في الجنة، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن كتبها وكان فقيراً أغناه الله، أو كان مديوناً قضى الله دينه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية، ومن لم يكتبها من عباد الله اسودَّ وجهه في الدنيا والآخرة، وقال: والله العظيم - ثلاثاً - هذه حقيقة، وإن كنت كاذباً أخرج من الدنيا على غير الإسلام، ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار، ومن يكذب بها كفر».

ثم بعد سياق الإمام ابن باز رحمته الله لتلك الوصية المزعومة قال ما نصه:

«هذه خلاصة ما في الوصية المكذوبة على رسول الله ﷺ، ولقد سمعنا هذه الوصية المكذوبة مرَّات كثيرة منذ سنوات متعدِّدة تنشر بين الناس فيما بين

وقت وآخر، وتروج بين الكثير من العامة، وفي ألفاظها اختلاف، وكاذبها يقول:  
إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فحمّله هذه الوصية، وفي هذه النشرة الأخيرة التي  
ذكرنا لك أيها القارئ زعم المفتري فيها أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم عندما تهيأ للنوم،  
فالمعنى: أنه رآه يقظة!

زعم هذا المفتري في هذه الوصية أشياء كثيرة، هي من أوضح الكذب،  
وأبين الباطل...».

ثم ساق رحمته الله وجوهاً على بطلانها، وقال في أثناء ذلك:

«.. وفي هذه الوصية - سوى ما ذكر - أمور أخرى كلها تدل على بطلانها  
وكذبها، ولو أقسم مفتريها ألف قسم أو أكثر على صحتها، ولو دعا على نفسه  
بأعظم العذاب وأشد النكال، على أنه صادق لم يكن صادقاً، ولم تكن صحيحة،  
بل هي والله ثمّ والله من أعظم وأقبح الباطل، ونحن نشهد الله - سبحانه - ومن  
حضرنا من الملائكة ومن اطلع على هذه الكتابة من المسلمين شهادةً نلقى بها  
ربنا عز وجل أنّ هذه الوصية كذب وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخزى الله من كذبها  
وعامله بما يستحق...» إلى آخر ما جاء في كلام سماحته رحمته الله.

\* ومن تحذيره رحمته الله من تلك المنشورات والأخبار الشائعة ما جاء في  
جواب له على سؤال قال صاحبه: ما القول الحق فيما يروى عن أحد أئمة

الصوفية المعروفين - وهو السيد أحمد الرفاعي - من أنه زار مسجد المصطفى ﷺ بالمدينة ودعا عند القبر فمد الرسول ﷺ يده الشريفة له وقبلها، وهذا مستفيض عند أتباع طريقته وفي حكم الجزم عندهم مع أنه عاش في القرن السادس الهجري، فما مدى صحة ذلك؟

فأجاب سماحته ﷺ بقوله:

«هذا أمرٌ باطل ولا أساس له من الصحة؛ لأنه ﷺ قد توفي الموتة التي كتبها الله عليه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةَ سِيَاحِينَ فِي الْأَرْضِ يَبْلَغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْلَمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ إِلَيْكَ»<sup>(٣)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ خَيْرَ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك وقد أرمت؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ

(١) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٢) رواه النسائي في السهو برقم (١٢٦٥)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم (٣٤٨٤)، و٣٩٩٣ و٤٠٩٣، والدارمي في كتاب الرقائق برقم (٢٦٥٥).

(٣) رواه أبو داود في المناسك برقم (١٧٤٥)، وأحمد في باقي مسند المكثرين برقم (١٠٣٩٥).

أن تأكل أجساد الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ولم يقل في شيء منها إنه يصافح أحداً، فدلّ ذلك على بطلان هذه الحكاية، ولو فرضنا صحّة ذلك فإنّ ذلك يحمل على أنه شيطان صافحه ليلبس عليه أمره ويفتنه ومن بعد.

فالواجب على جميع المسلمين أن يتّقوا الله وأن يتمسّكوا بشرعه الذي دلّ عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين، وأن يحذروا ما يخالف ذلك. أصلح الله أحوال المسلمين ومنحهم الفقه في دينه والتمسك بشريعته، إنه جواد كريم»<sup>(٢)</sup>.

\* ومن ذلك قوله ﷺ:

«عرض عليّ بعض طلبة العلم نبذةً مشتملةً على حديث مطوّل في الإساءة والمعراج في أربعين صحيفة قد نسبها جامعها إلى ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ، ولما قرأتها وتدبّرت ما فيها تحققت أنها مكذوبة على النبي ﷺ وعلى ابن عباس، وليس فيها من الأحاديث الصحيحة المرفوعة إلى النبي ﷺ إلا

(١) رواه النسائي في الجمعة برقم (١٣٥٧)، وأبو داود في الصلاة برقم (٨٨٣)، و(١٣٠٨)، وأحمد في مسند المدنيين برقم (١٥٥٧٥).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ٣١٠-٣١١).

الشيء اليسير. أراد واضعها أن يروج بذلك باطله، وأن يشبه بذلك على ضعفاء البصيرة كالعامّة والمتسبين إلى العلم بدون تحقيق وعناية، وأحاديث الإسراء والمعراج محفوظة - بحمد الله تعالى - ليس فيها ما يدل على صحة ما افتراه هذا الواضع في هذه النبذة، وكل من تدبرها من أهل البصيرة والعلم بأسلوب كلام النبي ﷺ وأحاديثه الصحيحة الثابتة في قصة المعراج والإسراء يعلم - قطعاً - أنها موضوعة ليس فيها من كلام رسول الله ﷺ المعروف إلا الشيء اليسير.

\*ومن ذلك قوله ﷺ:

«فقد اطلعت على نشرة مصدرة بما نصه: قال رسول الله ﷺ: «يا علي، لا تنم إلا أن تأتي بخمسة أشياء وهي: قراءة القرآن كله، والتصدق بأربعة آلاف درهم، وزيارة الكعبة، وحفظ مكانك في الجنة، وإرضاء الخصوم. قال علي: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: أما تعلم أنك إذا قرأت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات فقد قرأت القرآن كله، وإذا قرأت الفاتحة أربع مرات فقد تصدقت بأربعة آلاف درهم، وإذا قلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات فقد زرت الكعبة، وإذا قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشر مرات فقد حفظت مكانك في الجنة، وإذا قلت: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي



القيوم وأتوب إليه عشر مرات فقد أَرْضِيتَ الخصوم». ولكون ما تَضَمَّنَتْه هذه النشرة لم يرد في كتاب من كتب الحديث المعتمدة، بل هو من الأحاديث الموضوعية المكذوبة على الرسول ﷺ، وقد نص أهل العلم - رحمهم الله تعالى - على أن الوصايا المنسوبة إلى النبي ﷺ أنه أوصى بها عليا، وكل ما صدر بياء النداء من الرسول لعلي كلها موضوعة، ما عدا قوله عليه الصلاة والسلام: «يا علي، أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>، ومَنْ نَصَّ على ذلك الشيخ ملّا علي القاري في كتاب: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعية» المعروف بـ«الموضوعات الكبرى»، والشيخ إسماعيل العجلوني في كتابه: «كشف الخفا ومزيل الإلباس».

\* ومن ذلك - أيضاً - أنه سُئِلَ عن الحديث المنسوب لخالد بن الوليد، ونص السؤال: ما رأيكم في الحديث المنسوب عن خالد بن الوليد، وتشتمل على بضع وعشرين سؤالاً، ويوزع على الناس لترقيق القلوب وهذا نصه: «اتق الله تكن أعلم الناس، قال: أريد أن أكون أغنى الناس؟ قال ﷺ: كن قانعا تكن أغنى الناس، قال: أحب أن أكون أخص الناس إلى الله؟ قال ﷺ: أكثر ذكر الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك برقم (٤٤١٦).

تكن أخص الناس إلى الله.

عن خالد بن الوليد قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، جئت أسألك عما يغنيني في الدنيا والآخرة، قال له رسول الله ﷺ: سل عما بدا لك، قال: أريد أن أكون أعلم الناس؟ فقال ﷺ: ... إلى آخر الحديث المكذوب.

فأجاب ﷺ بقوله:

«هذا الحديث جاء في «كنز العمال» باختلاف عمّا جاء هنا، ونصه - كما جاء في الجزء ١٦ من كتاب «كنز العمال» تحت الرقم ٤٤١٥٤، قال الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله: وجدت بخط الشيخ شمس الدين بن القماح في مجموع له عن أبي العباس المستغفري قال: قصدت مصر أريد طلب العلم من الإمام أبي حامد المصري والتمست منه حديث خالد بن الوليد فأمرني بصوم سنة، ثم عاودته في ذلك فأخبرني بإسناده عن مشايخه إلى خالد بن الوليد قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ...»، ثم قال ﷺ:

«والحديث المذكور موضوعٌ ورواته مجاهيل، وكأنّ واضعه جمع متنه من الأحاديث الصحيحة ومن بعض كلام أهل العلم، وبعض ألفاظه منكّرة لا توافق الأدلة الشرعية، ولا ريب أنّ العمدة فيما ذكره في هذا الحديث هو ما دلت

عليه الأحاديث الصحيحة، أمّا هذا المتن فلا يعتمد عليه ولا يحتج به؛ لأنه ليس له إسناد صحيح، والله ولي التوفيق»<sup>(١)</sup>.

\* وقال رحمه الله أيضاً:

«بلغني أنّ بعض الجهال يوزع نشرة مشتملة على حديث مكذوب على النبي ﷺ يتضمن هذا الحديث المكذوب ما نصه: عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان صبيحة في رمضان فإنه يكون معمعة في شوال، وتميز القبائل في ذي القعدة، وتسفك الدماء في ذي الحجة والمحرم، وما المحرم؟ يقولها ثلاث مرات...».

وبعد ما ساق تلك النشرة قال ما نصه:

«فهذا الحديث لا أساس له من الصحة، بل هو باطل وكذب، وقد مرّ على المسلمين أعوام كثيرة صادفت فيها ليلة الجمعة ليلة النصف من رمضان فلم تقع فيها - بحمد الله - ما ذكره هذا الكذب من الصحيحة وغيرها مما ذكر، وبذلك يعلم كل من يطلع على هذه الكلمة أنه لا يجوز ترويح هذا الحديث الباطل، بل يجب تمزيق ذلك وإتلافه والتنبيه على بطلانه...» إلى آخره<sup>(٢)</sup>.

(١) «مجموع فتاوى ومقالات» (٣٢ / ٢٦).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات» (٣٣٩ - ٣٤٠ / ٢٦).

وسئل ﷺ عن ورقة توزع بين الناس وتتضمن حديثاً منسوباً للنبي ﷺ وفيه: «من تهاون بالصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة..» إلى آخر ما جاء في الورقة، ويسأل عن صحة ذلك الحديث.

فأجاب: «هذا الحديث مكذوب على النبي ﷺ، لا أساس له من الصحة، كما بين ذلك الحافظ الذهبي ﷺ في «الميزان»، والحافظ ابن حجر في «لسان الميزان»، فينبغي لمن وجد هذه الورقة أن يحرقها، وينبه من وجدده يوزعها؛ دفاعاً عن النبي ﷺ من كذب الكذابين»<sup>(١)</sup>.

\* وسئل ﷺ عن صحة حديث روي عن علي ﷺ: «أنه دخل وفاطمة على رسول الله ﷺ فوجداه يبكي، فسئل عن ذلك فقال: ليلة أسري بي رأيت نساءً من أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن؛ لما رأيت من شدة عذابهن، رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها...» إلخ الحديث؟  
فأجاب ﷺ:

«هذا الخبر معروف يتداوله كثير من الناس، وهو باطل ومكذوب على النبي ﷺ، وليس له أصل، وهو من الموضوعات المكذوبة على النبي ﷺ، وعلى علي وفاطمة ﷺ، وما أكثر ما يكذبه بعض الشيعة على علي ﷺ! فينبغي

(١) «مجموع فتاوى ومقالات» (١٠/٢٧٧).



لمن وقع في يده شيء من هذا أن يتلفه، ويخبر من حوله بأنه كذب، والله المستعان»<sup>(١)</sup>.

\* وقال رحمته الله عن كتاب «درة الناصحين في الوعظ والإرشاد» ألفه أحد

علماء القرن التاسع الهجري اسمه عثمان بن حسن بن أحمد الخويري:

«هذا الكتاب لا يعتمد عليه، وهو يشتمل على أحاديث موضوعة وأحاديث

ضعيفة لا يعتمد عليها، ومنها هذان الحديثان فإنهما لا أصل لهما، بل هما حديثان

موضوعان مكذوبان على النبي ﷺ، فلا ينبغي أن يعتمد على هذا الكتاب وما

أشبهه من الكتب التي تجمع الغث والسمين، والموضوع والضعيف»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات» (٨ / ٣٠٥).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات» (٢٦ / ٣٣٢).

## تحذيره ﷺ من الروايات المكذوبة التي يذكرها بعض الوعاظ، وتذكيره لأولئك الوعاظ بالتثبت فيما يذكرون في مواعظهم للناس

وهذا المقام من مقام الدفاع عن النبي ﷺ.

وقد عني ﷺ بهذا الجانب عنايةً شديدة؛ ذلك لأن كثيراً من الناس يأمنون بكلام الوعاظ لما في أخبارهم من الرقائق والروايات المتنوعة، والغالب في الواعظ عدم العناية بصحة ما يذكر من الأحاديث، فنبه سماحته ﷺ إلى الحذر من تلك الروايات التي يذكرها أولئك الوعاظ دون تمييز لها، ومن شواهد كلام سماحته في هذا الباب جوابه على سؤال، وإليك نص السؤال والجواب.

قال السائل: «بعض المصلين بحي دار النعيم ببور سودان يقولون: ذات يوم في مسجدنا خطب علينا مدعي العلم بعد أن صلى بنا صلاة الظهر، حدثنا فقال: إن رسول الله ﷺ حينما توفيت زوجته خديجة ذبح عليها ناقة وأقام عليها العزاء لمدة ثلاثة أيام وقال: إن ذلك جاء في حديث قتادة، ثم ساق حديثاً آخر رفض أن يبين راويه فقال: قال رسول الله ﷺ: أنا شجرة وعلي ساقها وفاطمة فروعها والحسن والحسين ثمارها. ثم أورد حديثاً ثالثاً قال فيه: إن رسول الله ﷺ صادفه يوماً بأحد جبال مكة رجل يهودي، فقال له: ألم تؤمن

بي؟ قال اليهودي: لا أؤمن بك، فقال له: ادع تلك الشجرة، فقال لها: إنَّ محمدًا يدعوك، فجاءت إليه تضلله بأغصانها وتجر جذورها، فقال لها: من أنا؟ قالت: إنك محمد رسول الله، فنطق اليهودي بالشهادتين بعد ذلك، ثم صعدت الشجرة إلى السموات وطافت حول العرش والكرسي واللوح والقلم، وطلبت من الله الإذن لها بالصلاة على النبي ﷺ، وقال: أيها اليهودي، قبل كفي وقدمي رسول الله ﷺ.

ثم ساق قصة أخرى فقال: إن عثمان بن عفان رضي الله عنه وجد رجلًا يطوف بالكعبة فقال له: إنك زان، فقال له: كيف عرفت ذلك؟ قال: عرفته في عينيك، فقال الرجل: أنا لم أزن ولكني نظرت إلى يهودية، فقال الرجل لعثمان رضي الله عنه: وهل عرفت ذلك بالوحي؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن، ولما طولب بالأدلة كاد أنصاره أن يفتكوا بنا، نرجو معرفة رأي الشرع في ذلك».

فأجاب سماحته رحمته الله بقوله:

«هذه الأخبار التي ذكرها هذا الواعظ كلها باطلة ومكذوبة على النبي ﷺ، ولا أصل لها، فلم يفعل عزاء عند موت خديجة رضي الله عنها، ولم يذبح ناقة، ولم يدع الناس إلى عزاء كما يفعل بعض الناس اليوم.

وكان - عليه الصلاة والسلام - يدعو لخديجة رضي الله عنها كثيرًا، وفي بعض

الأحيان يذبح الشاة ويوزعها على خيلائها وصديقاتها من باب الهدية والإحسان، ويدعو لها ويحسن إليها بالدعاء.

وهكذا ما قاله عن الشجرة كل هذا باطل ولا أصل له، وكذلك ما قال عن اليهودي كل هذا كذب من كذب المفتريين المجرمين.

وكذلك ما روي عن عثمان رضي الله عنه مع الرجل، وقتادة ليس بصحابي، بل هو تابعي.

فالمقصود: أن هذه الأخبار الأربعة كلها باطلة، ولا صحة لها، لكن صحَّ عن النبي ﷺ في أحاديث أخرى أنه دعا بعض الشجر فانقاد له، وذلك من علامة النبوة، والقصة ثابتة في «صحيح مسلم»، وذلك أنه في بعض أسفاره أراد أن يقضي حاجته فدعا شجرتين فالتأمتا وجلس بينهما حتى قضى حاجته، ثم رجعت كل شجرة إلى مقرّها، وذلك من آيات الله سبحانه، ومن دلائل قدرته العظيمة، وأنه - جل وعلا - يقول للشيء: كن فيكون، وذلك - أيضًا - من دلائل صدق رسول الله، وأنه رسول الله حقًا، وهذا غير الخبر الذي ذكره هذا المفتري.

فينبغي التحذير من هؤلاء الكذابين، وينبغي للواعظ أن يتقي الله - سبحانه - إذا وعظ الناس، وأن يذكرهم بما ينفعهم في دينهم من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية، وفيها الكفاية والشفاء، وقد صحَّ عن





رسول الله ﷺ أنه قال: «من حدّث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين» رواه مسلم في «صحيحه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» متفق على صحته.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٤٥٠-٤٥١).

## عنايته بالحديث رواية

### ومن ذلك التحذير من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة

قال ﷺ:

«التحذير من الكذب على النبي ﷺ، والتنبيه على بعض الأحاديث

الموضوعة:

فقد ثبت في الصحيحين عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار»<sup>(١)</sup>، وفيها أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٢)</sup>. وفيها أيضا عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعا: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٣)</sup>. وفي «صحيح مسلم» عن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ برقم (١٠٦)، ومسلم

في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ برقم (١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ برقم (١٠٧)، ومسلم

في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ برقم (٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت برقم (١٢٩١)،

ومسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ برقم (٤).

سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»<sup>(١)</sup>.

وقد ضبط قوله: «يُرَى» بالضم والفتح، فعلى الضم يكون معناه: يعلم، كما نبّه عليه النووي رحمته الله في «شرح مسلم».

وهذه الأحاديث تدل على تحريم الكذب على النبي ﷺ، وتحريم رواية ما يعلم أو يظن أنه كذب على النبي ﷺ إلا مع التنبيه عليه، وقد جاء في هذا المعنى أحاديث كثيرة متواترة عن النبي ﷺ تدل على شدة الوعيد في حق من كذب على النبي ﷺ، وأن الكذب عليه من الكبائر العظيمة، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى كفر من تعمّد الكذب على النبي ﷺ، ولكن الأكثر من أهل العلم على خلاف ذلك إلا أن يستحله، فإن استحله كفر بالإجماع.

وعلى كلّ تقدير فالكذب عليه ﷺ من أكبر الكبائر؛ لعظم ما يترتب عليه من المفسدات الكثيرة، وما صاحبه عن الكفر ببعيد، أسأل الله العافية والسلامة.

وقد صرّح أهل العلم - رحمهم الله تعالى - بأنه لا تجوز رواية الحديث الموضوع إلا مقرونا ببيان حاله، فإن كان ضعيفا وليس بموضوع لم يجز الجزم بأن النبي ﷺ قاله، ولكن يروى بصيغة التمريض كـ «يُروى» عن النبي ﷺ أو

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات برقم (١).

«يُذكر» ونحو ذلك.

وإنما قال ذلك أهل العلم حذرًا من الكذب على النبي ﷺ، ورواية ما يخشى أنه كذب»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله:

«لا يجوز لأي أحد أن ينسب إلى الله أو إلى رسوله ﷺ إلا ما علم صحته، فإن شك في ذلك فالواجب ألا يجزم، بل يقول: روي عن الله - سبحانه - أنه قال:، أو يروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: وهكذا ما أشبه هذه الصيغة من صيغ التمريض التي ليس فيها جزم عن الله، ولا عن رسوله ﷺ، وقد صرح أهل العلم بذلك»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٦/ ٣١٥-٣١٦).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٦/ ٣٧٨).

## عنايته ﷺ ببيان الأحاديث والروايات الضعيفة

وهذا كثير مشهور عنه ﷺ في كتبه ومحاضراته وفتاواه، ومن أمثلة ذلك:

\* سئل ﷺ عن حديث: «من زار أهل بيتي بعد وفاتي كتبت له سبعون

حجة» فأجاب ﷺ بقوله:

«... أما ما ذكرت من زيارة القبور لعلِّي ﷺ والحسن والحسين أو غيرهم

أنها تعدل سبعين حجة، فهذا باطل ومكذوب على الرسول ﷺ، ليس له أصل،

وليست الزيارة لقبر النبي ﷺ - الذي هو أفضل الجميع - تعدل حجة. الزيارة

لها حالها وفضلها، لكن لا تعدل حجة، فكيف بزيارة غيره عليه الصلاة

والسلام؟ هذا من الكذب، وهكذا قولهم: «من زار أهل بيتي بعد وفاتي كتبت له

سبعون حجة» كل هذا لا أصل له، وكله باطل، وكله مما كذبه الكذابون.

فيجب على المؤمن الحذر من هذه الأشياء الموضوعة المكذوبة على الرسول

ﷺ (١).

\* وسئل ﷺ عن حديث: «لولا محمد ما خلقتك»؟ فأجاب ﷺ

بقوله:

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٣/ ٢٩٧).

«هذا الحديث موضوع كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ لأن الله سبحانه إنما خلق الجن والإنس ليعبد وحده لا شريك له، ومن جملة الإنس آدم عليه الصلاة والسلام، والله ولي التوفيق»<sup>(١)</sup>.

\* وسئل رحمه الله عن حديث: «إن الشيطان يلعب بالميت»؟ فأجاب رحمه الله بقوله:

«هذا باطل ولا أصل له فيما نعلم من الشرع المطهر»<sup>(٢)</sup>.

\* وسئل رحمه الله عن حديث: «من صلى عليَّ يوم الجمعة مئتي مرة غفر الله ذنبه مئتي عام»؟

فأجاب رحمه الله بقوله:

هذا الخبر لا صحة له، بل هو موضوع مكذوب على النبي ﷺ ولا أصل له، عامل الله واضعه بما يستحق»<sup>(٣)</sup>.

\* وسئل رحمه الله عن حديث: «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور»؟ فأجاب رحمه الله بقوله:

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٢٨ / ٢٦).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٤١ / ٢٦).

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٤٢ / ٢٦).

«هذا الحديث من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ، كما نبه على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه»<sup>(١)</sup>.

\* وسئل ﷺ عن حديث: «من كان اسمه محمداً فلا تضربه ولا تشتمه»؟ فأجاب ﷺ بقوله:

«هذا الحديث مكذوب وموضوع على الرسول ﷺ، وليس لذلك أصل في السنة المطهرة»<sup>(٢)</sup>.

\* وسئل ﷺ عن حديث: «تعلموا السحر ولا تعملوا به»؟

فأجاب ﷺ بقوله:

«هذا الحديث باطل لا أصل له، ولا يجوز تعلم السحر والعمل به، وذلك منكر بل كفر وضلال»<sup>(٣)</sup>.

\* وسئل ﷺ عن حديث «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أي من

قريش»؟ فأجاب ﷺ بقوله:

«قال الحافظ ابن كثير ﷺ في تفسيره لآخر سورة الفاتحة: لا أصل له.

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٤٥ / ٢٦).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٤٧ / ٢٦).

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٤٩ / ٢٦).

وقال العجلوني في «كشف الخفاء» ج ١ ص ٢٠٠ ما نصه: قال في «اللائي»: معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ، وأورده أصحاب الغريب، ولا يعرف له إسناد<sup>(١)</sup>.

\* وسئل رحمه الله عن حديث: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»؟ فأجاب رحمه الله بقوله:

«أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده روح بن جناح وهو ضعيف كما في التقريب»<sup>(٢)</sup>.

\* وصدر له أخيراً كتاب بعنوان «التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والسقيمة»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٨٠ / ٢٦).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٨٠ / ٢٦).

(٣) اعتنى به الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم.



## ثناؤه على من عني بالدفاع عن السنة ببيان الضعيف والموضوع

وهذا الثناء والدعاء من سماحته لأولئك من باب الدفع عن مقام النبي ﷺ وسنته؛ فبيان الأحاديث المكذوبة والروايات الباطلة من أعظم مقامات الدفع عن نبي الأمة ﷺ والنصح للأمة.

\* قال سماحته رحمته الله في مقدمة كتابه «التحفة الكريمة»:

«الحمد لله الذي حفظ لنا دين الإسلام وجعله أكمل الأديان، وحفظ علينا سنة نبينا ﷺ بأئمة تُقَاد من ذوي العلم والإيمان، والصدق والإتقان، أوضحوا للأمة صحيح الأحاديث من سقيمها، وحَسَنَها من ضعيفها، وبرزوا في هذا الميدان، ودَرَسُوا أحوال الرجال من نَقَلَة الأخبار، حتى عرفوا الثقات الأثبات، والصادقين من الرواة من ذوي الحفظ والأمانة، والرواية والدراية، ومن قد يلتبس بهم من المتهمين والكذابين، ومن حاله بين ذلك ممن ساء حفظه وفحش غلطه للاختلاط أو غيره من الأسباب، فبينوا جميع ذلك نصحاً للأمة وقياماً بواجب البلاغ والبيان، ف ﷺ جزاهم عن عملهم المشكور وجهادهم العظيم أحسن ما جزى به أهل الإيمان والإحسان، وجعلنا من أتباعهم

والمهتدين بهداهم بمنه وفضله وهو الكريم المنان<sup>(١)</sup>.

\* ومن ذلك قوله - أيضًا - في خطاب موجّه من سماحته للمحدّث الألباني

رحمهما الله تعالى:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرّم صاحب الفضيلة

الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني وفقه الله لما فيه رضاه، آمين.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، أما بعد:

فقد قرأت ردّكم القيمّ المسمّى بـ «الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد»

والردّ على من طعن في صحة نسبته وزعم أنّ القطيعي زاد فيه أحاديث كثيرة

موضوعة حتى صار ضعيفا وتحقيق أنه لا زوائد للقطيعي فيه، وسرّني ما تضمّنه

من النقد والتحقيق وإبطال شبهة المعارض وبيان الحق بأدلّته، فجزاكم الله خيراً

وزادكم من العلم والهدى ونصر بكم الحق وفسح في حياتكم على خير عمل،

وقد تأخّر كثيراً لكثرة مشاغلي وما يعرض من النسيان عن إتمام القراءة، فأرجو

المعذرة وهو إليكم برفقه، سائلاً المولى ﷻ أن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين،

وأن يعيذنا وإياكم وسائر إخواننا من مضلات الفتن، إنه سميع قريب. والسلام

(١) «التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة» (ص ٥).

عليكم ورحمة الله وبركاته»<sup>(١)</sup>.

\* ومما يدخل تحت هذا - أيضًا - خبر روي عن عمر ذكر بطلانه، ثم قال:

«... ولقد أحسن الشيخ أبو تراب الظاهري والشيخ محمد أحمد حساني

والدكتور هاشم بكر حبشي فيما كتبوه في ردّ هذه القصة وبيان بطلانها، وأنه لا يصح

مثلها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جزاهم الله خيرًا وضاعف مشوبتهم

وزادنا وإياهم علمًا وتوفيقًا، وجعلنا وإياهم وسائر إخواننا من أنصار الحق...»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) مقدمة «الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد» (ص ٧).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٦٨ / ٢٦).

## دفاعه ﷺ عن آل البيت وتحذيره من القدح فيهم

ومما قرره ﷺ في شأن مكانة النبي ﷺ:

عدم أذية أهل بيته والقدح فيهم والإساءة إليهم، وأن على المسلمين بعامة وعلى ولاية أمورهم بخاصة معرفة حق آل بيت النبي ﷺ، وهذا من عناية الشيخ ﷺ العظيمة بالدفاع عن مقام النبي ﷺ، فإذا كان هذا من دفاعه عن آل البيت النبوي، فإن أصله ومرده الدفاع عن مقام النبي ﷺ.

فقد ذكر ﷺ قول النبي ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي»، ثم قال ﷺ:

«.. يعني في الإحسان إليهم والرفق بهم ومعرفة منزلتهم وعدم إيذائهم، ومنهم فاطمة ومنهم علي ؑ، ومنهم أولاد علي وأولاد عباس، وأولاد عقيل ابن أبي طالب، وأولاد جعفر بن أبي طالب، وغيرهم من بني هاشم، ومنهم أزواج النبي ﷺ وأرضاهن، فأوصى بالجميع خيرًا.

وقد امثل الصحابة ومن بعدهم ذلك، فاعتنى بهم الصديق واعتنى بهم عمر، واعتنى بهم عثمان وعلي ومن بعدهم ؑ جميعًا، والمقصود من هذا كله أن أصحاب النبي ﷺ وأزواجه وأهل بيته يجب على ولاية الأمور أن يعتنوا بهم



ويحسنوا إليهم، وأن يمنعوا من تكلم فيهم بسوء أو آذاهم أو قدح فيهم؛ لأنّ ولاية الأمور هم النوّاب بعده ﷺ في إلزام الناس بالحق وزجرهم عن الباطل والأخذ على يدي السفیه، ومن ذلك إلزام الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والسير عليهما والاستضاءة بنورهما والحذر مما خالفهما، ثمّ العناية بأصحاب النبي ﷺ والترضي عنهم والكف عن مساوئهم وعن أزواج النبي ﷺ وأهل بيته، كل هذا مما يجب على ولاية الأمور - من الأمراء والعلماء وأعيان الناس - أن يكونوا شيئاً واحداً في هذا الباب ضد أهل الباطل وضد أهل الشر»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) «التعليقات البازية على شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ١١٥٥ - ١١٥٦).

## نصه ﷺ على تعظيم شأن الصحابة رضي الله عنهم

### وتحذيره من القدح في جماعتهم أو أحادهم

وهذا المقام من مقامات الدفاع عن النبي ﷺ؛ فتلک الثلة المباركة الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ هم في المنزلة العلية والمكانة الشريفة بمقام عظيم، ومن عظیم مقامهم تزكية الله تعالى لهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهم فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَقُهُ فَأَزَارَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

وكذلك تزكية رسوله ﷺ لهم: «لا تُسَبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه»<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا المنطلق عني سماحته ﷺ بتقرير منزلة الصحابة والتحذير من القدح فيهم؛ لأن القدح فيهم من القدح فيه ﷺ، كما روي في الحديث: «الله الله

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) رواه البخاري.

في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث - وإن كان في إسناده مقال - إلا أن ما ورد في فضل الصحابة والنهي عن سبهم كما تقدم يشفع لمعنى هذا الحديث.

وعوداً على بدء؛ جاء في كلام سماحته عن تعظيم الصحابة ﷺ:

«... فيحبّ المؤمن المؤمنين ويواليهم، ويبغض الكفار ويعاديهم، وعلى رأس المؤمنين من هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ؛ فأهل السنة والجماعة يحبّونهم ويوالونهم ويعتقدون أنهم خير الناس بعد الأنبياء؛ لقول النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»<sup>(٢)</sup>، ويعتقدون أن أفضلهم أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ﷺ أجمعين، وبعدهم بقية العشرة، ثم بقية الصحابة ﷺ أجمعين، ويمسكون عمّا شجر بين الصحابة، ويعتقدون أنهم في ذلك مجتهدون، من أصاب فله أجران

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦١)، وأحمد (٨٧/٤). وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٤٤٣/٦) رقم (٢٩٠١).

(٢) متفق على صحته.

ومن أخطأ فله أجر... ويتبرؤون من طريقة الرّوافض الذين ييغضون أصحاب رسول الله ﷺ ويسبّونهم ويغلون في أهل البيت، ويرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله ﷻ، كما يتبرؤون من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل»<sup>(١)</sup>.

وقال - بعد كلام له في العناية بالكتاب والسنة -: «... ثمَّ العناية بأصحاب النبي ﷺ والترضي عنهم والكف عن مساوئهم...»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/٢٣).

(٢) «التعليقات البازية على العقيدة الطحاوية» (٢/١١٥٦).



## عنايته ﷺ بالدفاع عن كتب السنة

ومن أمثلة ذلك ما يتعلق بكتاب «المسند» للإمام أحمد بن حنبل ﷺ، فقد طعن بعضهم في «المسند» وفي عقيدة راويه القطيعي، فطلب سماحته من الإمام الألباني النظر في دعوى المذكور والرد عليها، وأسوق بعض ما جرى بين الإمامين:

كتب الإمام الألباني إلى سماحة الإمام ابن باز ما نصه:

«فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وفقه الله لما يحبه ويرضاه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقيت من فضيلتكم صورةً عن كتابكم الكريم المرسل إلى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ومعها صورة أخرى من خطاب الشيخ خليل أحمد الحامدي إلى فضيلتكم، حول مقالة المدعو عبدالقدوس الهاشمي التي ذهب فيها إلى عدم صحة نسبة «المسند» إلى الإمام أحمد! وطعن فيها وفي عقيدة راويه أبي بكر القطيعي، وفي خُلُقِه أيضاً!! وبرفقة ذلك ترجمة المقال بقلم الشيخ عبدالغفار حسن، وذيلتم كتابكم بإبداء رغبتكم في اطلاعي على ذلك

والإفادة بما لدي في الموضوع، وعمّن سبق عبدالقدوس المذكور إلى هذا الكلام الباطل، شكر الله لكم حسن ظنكم بأخيكم، وجزاكم عن السنة خير الجزاء.

فنزولا عند رغبتكم اطلعت على المقال المذكور بترجمته، وأمعنت النظر فيه، فتبيّن لي أنه باطل كما قلت برؤمته، وقد احتوى على عدة دعاوى خطيرة، يحسن بي أن أخصها في الفقرات الآتية؛ تهيئة للرد عليها فقرة فقرة:

أن «مسند الإمام أحمد» ليس من مؤلفاته، وأنه لا يصح نسبته إليه!

وأنّ عبدالله ابن الإمام أحمد زاد في مروياته!

وأنّ ذلك كله وصل بطريقة مجهولة إلى القطيعي!

وأنّ القطيعي كان فاسد العقيدة، من أشرار الناس!

وأنه أدخل في «المسند» أحاديث موضوعه كثيرة حتى صار ضعيفا!!

ثم نشره على الناس في ستة مجلدات كبار باسم «مسند الإمام أحمد»!، وبعض رواته الأبرار، وهي كلها باطلة كاذبة لا يخفى ذلك على من كان عنده بهذا العلم أدنى معرفة.

ولم يتفوّه بشيء منها أحد من أهل العلم مطلقاً، لا قديماً ولا حديثاً، سواء كان منهم من أهل السنة أو البدعة! بل إنهم كلهم جروا على خلاف ذلك؛ فإنهم تلقوا «مسند الإمام أحمد» بالقبول والتكريم، واعتبروه من مصادر السنة

الواجب إحاطتها بالتبجيل والتعظيم، لا فرق في ذلك بين المحدثين، والفقهاء، والمفسرين، وغيرهم من علماء هذه الأمة الأكرمين... إلخ ما جاء في كلام الألباني رحمته الله<sup>(١)</sup>.

وبعد فراغ الألباني من تحقيق رغبة الشيخ ابن باز وإطلاعه عليه، كتب خطاباً إليه هذا نصه:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وفقه الله لما فيه رضاه، آمين. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، أما بعد:

فقد قرأت ردكم القيم المسمى بـ«الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد والرد على من طعن في صحة نسبته وزعم أنّ القطيعي زاد فيه أحاديث كثيرة موضوعة حتى صار ضعيفا وتحقيق أنه لا زوائد للقطيعي فيه». وسرّني ما تضمّنه من النقد والتحقيق وإبطال شبهة المعارض وبيان الحق بأدلته، فجزاكم الله خيراً وزادكم من العلم والهدى ونصر بكم الحق وفسح في حياتكم على خير عمل، وقد تأخر كثيراً لكثرة مشاغلي وما يعرض من النسيان عن إتمام القراءة،

(١) «الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد» للألباني (ص ٩-١٠).

فأرجو المعذرة وهو إليكم برفقه، سائلاً المولى ﷻ أن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وأن يُعيننا وإياكم وسائر إخواننا من مضلات الفتن إنه سميع قريب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) «الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد» للألباني (ص ٧).

## عنايته رحمته الله بطبع كتب السنة

وهذا الأمر مما عني به الشيخ رحمته الله وكان سبباً في نشر وطباعة بعض كتب السنة، ومن الأمثلة على ذلك: «ما جاء في مقدمة «كتاب السنة» لابن أبي عاصم رحمته الله قول الناشر أثابه الله تعالى: «وأول بحث جرى حول هذا الكتاب كان بيني وبين أستاذي المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني يوم كنّا نتدارس فيما يجب علينا تقديمه من كتب لأئمة الإسلام خدمة لأنفسنا ولأبناء ملتنا مما ينفع يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم...» إلى أن قال: «وبعد مدة كتب إليّ سماحة الأستاذ الفاضل العالم العامل الشيخ عبدالعزيز بن باز مستفهماً عما ترامي إليه من موضوع نشر هذا الكتاب، وسأل عن الطريقة التي سينشر بها ومنهج التحقيق، فكتبت إليه بما عندي، ثمّ قدّر الله لقاء بيني وبين الشيخ ناصر الدين الألباني، فتحدّثنا بهذا الموضوع وعرفت منهما بعد ذلك ما جرى بينهما».

وجاء في مقدمة كتاب «فضل الصلاة على النبي ﷺ» للإمام الجهضمي رحمته الله قول الشيخ ناصر رحمته الله: «فقد كنت في مذاكرة علمية في إدارة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة ١٣٨١ هـ مع فضيلة نائب رئيسها الشيخ عبدالعزيز بن باز، فجرى الحديث فيها عن كتب السنة ومخطوطاتها، فذكرت لفضيلته أنّ في المكتبة

الظاهرية بدمشق مخطوطاً قيماً بعنوان «كتاب فصل الصلاة على النبي ﷺ» للإمام الحافظ إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي، وأن المؤلف يسوق فيه الأحاديث والآثار الواردة في فضل الصلاة عليه ﷺ وذكر مواضعها بالأسانيد المتصلة منه إلى رواها من الصحابة والتابعين، كما هي طريقة المتقدمين من المحدثين، بحيث يتمكن العارف بعلم الحديث ورجاله من الحكم على أخباره بما تستحقه من صحة أو ضعف، فقال حفظه الله تعالى: لعله لا يوجد فيه من الموضوعات والخرافات مما يوجد - عادة - في كتب الفضائل والرقائق؟ أو نحو هذا من الكلام. فقلت: الذي أذكره - وعهدي بالكتاب بعيد - أنه ليس فيه شيء من ذلك. فقال: إذا انتهت السنة الدراسية ورجعت إلى دمشق - إن شاء الله تعالى - فأعد النظر في الكتاب، فإذا وجدته كما ذكرت فاستنسخه، ثمَّ خرج أحاديثه، وأظنه قال: على وجه الاختصار، ثم قدمه إلى الأخ زهير الشاويش ليطبعه على نفقتنا.

فلما انتهت السنة وعدت إلى دمشق في أواخر شهر محرم سنة ١٣٨٢هـ - واستقرَّ بي المقام في غرفتي الخاصة بي من المكتبة الظاهرية، وأعيدت إليها الكتب التي كانت فيها، وكنت سلمتها إلى أمين المكتبة قبل سفري إلى الجامعة الإسلامية في السنة السابقة ١٣٨١هـ، بادرت إلى تحقيق رغبة فضيلة الشيخ<sup>(١)</sup>.

(١) «الإمام الألباني دروس ومواقف وعبر» (ص ٢٥٥-٢٥٧) إعداد: عبدالعزيز بن محمد السدحان.

## وصيته وحثه ﷺ على العناية بكتب السنة

كان ﷺ كثيرًا ما يوصي في كتبه ومحاضراته بالعناية بكتب السنة، ومن ضمن كلامه في هذا المقام قوله ﷺ:

«... أحاديث الرسول ﷺ قد قدمها العلماء من أئمة السنة وبينوا صحيحها من سقيمها، فينبغي للمؤمن أن يعتني بالكتب الجيدة المفيدة مثل: الصحيحين، وكتب السنن الأربع، و«منتقى الأخبار» لابن تيمية، و«رياض الصالحين» للنووي، و«بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر، و«عمدة الحديث» للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، و«نصب الراية» للزيلعي، و«التلخيص الحبير» للحافظ ابن حجر، وأمثالها من الكتب المفيدة المعتبرة عند أهل العلم»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٦/٣٣٣).

## تحذيره وتنبئيه ﷺ على كثير من البدع

وهذا مستفيض في كلامه ومصنفاته، وهو من الدفاع عن حياض السنة ونبي السنة ﷺ.

ومن كلام سماحته ﷺ عندما ذكر بعض البدع والأباطيل، مثل: تصديق الكهنة والعرافين والاستغاثة بغير الله، قال ﷺ:

«ولقد حذر علماء الإسلام في مؤلفاتهم قديما وحديثا من هذه البدع.

وقد ساهمت في ذلك بثلاث رسائل مجموعة:

الأولى: في حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ.

الثانية: في حكم الاستغاثة بالجن والشياطين والنذر لهم.

الثالثة: في حكم التعبد بالأوراد البدعية والشركية»<sup>(١)</sup>.

وقد نصّ ﷺ على كثير من البدع من خلال محاضراته أو فتاواه، ومن

تلك البدع التي نص عليها ﷺ:

وضع المصحف على الميت.

تلقين الميت بعد الدفن.

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ١٥٠).



وضع حبوب الذرة داخل القبور.

قيام أهل الميت بذبح شاة عند وفاة ميتهم<sup>(١)</sup>.

رفع اليدين أثناء الدعاء بين السجدين وفي آخر الصلاة قبل السلام<sup>(٢)</sup>.

رفع المؤذن صوته بعد فراغه من الأذان بالدعاء الوارد بعد الأذان<sup>(٣)</sup>.

تخصيص ليلة النصف من شعبان بصلاة أو نهارها بصيام<sup>(٤)</sup>.

القيام بالمسيرات في مواسم الحج في مكة المكرمة باسم البراءة من المشركين

بدعة لا أصل لها<sup>(٥)</sup>.

إلى غير ذلك من البدع الكثيرة في أبواب الاعتقاد والعبادات التي نبّه

عليها وحذر منها رحمه الله؛ حمايةً لجناب السنّة والذبّ عنها مما يلوّث صفاءها.

\*\*\*

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٣/ ٤٢٣-٤٢٤).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ٢٩٣).

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٤٤٠).

(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ١٩١).

(٥) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ١٦٦).

## سياقه ﷺ لبعض الأخبار التي فيها عقوبات

### لن سخر بالنبي ﷺ في شخصه أو سننه

وسياق مثل تلك الأخبار مما يوقع في النفوس الرهبة من السخرية أو التنقص لمقام النبي ﷺ أو لشيء مما جاء في سنته.

قال ﷺ:

«ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في (ج/ ٤ ص ٥٣٨-٥٣٩) من «مجموع الفتاوى» قال: ذكر أبو سعد بن السمعماني عن الشيخ العارف يوسف الهمداني، عن الشيخ الفقيه أبي إسحاق الشيرازي، عن القاضي أبي الطيب الطبري قال: كنا جلوساً بالجامع ببغداد فجاء خراساني سألنا عن المصراة؟ فأجبناه فيها، واحتججنا بحديث أبي هريرة<sup>(١)</sup>، قطعن في أبي هريرة، فوقعن حية من السقف وجاءت حتى دخلت الحلقة وذهبت إلى ذلك الأعجمي فضربتة فقتلته.

(١) أخرجه البخاري (٢١٤٨)، ومسلم (٣٨١٥) بلفظ: «لا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، فإن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردّها وصاعاً من تمر». من تمر».

ونظير هذه ما ذكره الطبراني في «كتاب السنة» عن زكريا بن يحيى الساجي قال: كنّا نختلف إلى بعض الشيوخ لسامع حديث رسول الله ﷺ فاسترعنا في المشي، ومعنا شابٌّ ماجن فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة<sup>(١)</sup> لا تكسروها، قال: فما زال حتى جفته رجلاه.

ولهذا نظائر، نسأل الله الاعتصام بكتابه وسنة رسوله ﷺ، واتباع ما أقام من دليله.

وذكر ابن كثير في «البداية» (ج/ ١٣ ص ٢٤٩)<sup>(٢)</sup> في حوادث سنة خمس وستين وستمائة حكاية هذا نصها: «وحكى ابن خلكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال: بلغنا أنّ رجلاً يدعى أبا سلامة من ناحية بصرى كان فيه مجون واستهتار، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال: والله لا أستاك إلا في المخرج - يعني دبره - فأخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث

- 
- (١) إشارة واستهزاءً بحديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإنّ العالم ليستغفر له...» الحديث، أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، والإمام أحمد في «المسند» (١٩٦/٥).
- (٢) محلها في طبعة معالي الشيخ د. عبدالله التركي (٤٧٠/١٧).

بعد تسعة أشهر وهو يشكو من ألم في البطن والمخرج، فوضع ولدًا على صفة الجرذان له أربعة قوائم ورأسه كرأس السمكة، وله أربعة أنياب بارزة، وذنб طويل مثل شبر وأربع أصابع، وله دبر كدبر الأرنب، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث، وكان يقول: هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي.

وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حيًّا، ومنهم من رآه بعد موته<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) «الفوائد المتنوعة في العقائد والتفسير والحديث والتاريخ وغير ذلك» لسماحته ﷺ

(ص ١٤٤-١٤٥-١٤٦) مع الهوامش.

## الهداية والفلاح في اتباعه ﷺ

كان سماحته ﷺ يُعنى بهذا الأمر كُلَّ العناية، وكلامه مملوء بهذا الأمر، وهو من أعظم الأمور في تقرير اتباع النبي ﷺ ولزوم أمره والحذر من مخالفته؛ لأنَّ مخالفته فيها مجانبة لطريق الهداية والفلاح، وبيان هذا الأمر العظيم من لوازمه الدِّفاع عن مقام النبي ﷺ والقُدح والنكير على من خالف ذلك. إذ إنَّ القادح في مقامه ﷺ داع إلى الانحراف عن طريق الفلاح والهداية. وممَّا جاء في كلام لسماحته ﷺ في هذا المقام قوله:

«.. وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه خاتم النبيين، وهذا أمر بحمد الله مجمع عليه ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وقد أجمع المسلمون على أنَّ من ادَّعى النبوة بعده فهو كافر كاذب يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرًا. والله ﷻ قد أرسله إلى الناس كافة بإجماع المسلمين أيضًا، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أنه - عليه الصلاة والسلام - رسول الله إلى الجميع، إلى العرب والعجم والأحر والأَسود والجن والإنس، هو رسول الله إلى الجميع، من حين - بعثته عليه الصلاة والسلام - إلى أن تقوم الساعة، كما يدل على ذلك قوله جل وعلا: ﴿ قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ  
الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

فعلق الله - جل وعلا - الهداية على اتباعه والإيمان به، فعلم أن لا هداية  
ولا إيمان إلا من طريق اتباع محمد - عليه الصلاة والسلام - والسير على منهاجه  
بعد ما بعثه الله.

قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.  
أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فعلم أنه لا طريق إلى محبة الله ومغفرته إلا باتباعه عليه  
الصلاة والسلام، وأنه لا يحصل الفلاح لكل من كان في زمانه من الأمم، وهكذا  
ما بعد ذلك إلى قيام الساعة إلا بالإيمان به ونصره وتعزيزه واتباع النور الذي  
أنزله معه.

ثم قال - سبحانه - بعد ذلك تأكيداً للمقام وبياناً لعموم الرسالة: ﴿قُلْ  
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ رَسُلُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣١.

إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

ومن هذه الآية وما قبلها من الآيات يتضح لكل عاقل أنَّ الهداية والنجاة والسعادة إنما تحصل لمن آمن بمحمد ﷺ واتبع ما جاء به من الهدى، ومن حاد عن ذلك فهو في شقاق وضلال وبعد عن الهدى، بل هو الكافر حقا وله النار يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله جلا وعلا: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٢) سورة هود: الآية ١٧.

(٣) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٥) سورة الفرقان: الآية ١.

النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾. فعلق الله - جل وعلا - الهداية على اتباعه والإيمان به، فعلم أنه لا هداية ولا إيمان إلا من طريق اتباع محمد - عليه الصلاة والسلام - والسير على منهاجه بعدما بعثه الله.

قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.  
أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فعلم أنه لا طريق لمحبة الله ومغفرته إلا باتباعه عليه الصلاة والسلام<sup>(٤)</sup>.  
«فالواجب على كل ذي لب أن ينظر فيما خلق له، وأن يحاسب نفسه ويجاهدها لله حتى يؤدي حقه وحق عباده، وحتى يحذر ما نهاه الله عنه ليفوز بالسعادة والعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، وهذا العلم هو أنفع العلوم وأهمها وأفضلها وأعظمها؛ لأنه أساس الملة وزبدة ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).



والسلام، وخلاصة دعوتهم، ولا يتم ذلك ولا يحصل به النجاة إلا بعد أن يضاف إليه الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم إمامهم وسيدهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ، ومقتضى هذا الإيمان تصديقه ﷺ في إخباره، وطاعة أوامره وترك نواهيه، وأن لا يُعبد الله - سبحانه - إلا بالشرعية التي جاء بها عليه الصلاة والسلام.

وهكذا كل أمة بعث الله إليها رسولا لا يصلح إسلامها ولا يتم إيمانها ولا تحصل لها السعادة والنجاة إلا بتوحيدها لله، وإخلاص العباد له ﷻ، ومتابعة رسولها ﷺ، وعدم الخروج عن شريعته، وهذا هو الإسلام الذي رضي الله لعباده، وأخبر أنه هو دينه، كما في قوله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

انتهى المراد من كلام سماحته ﷺ.

وبه تم الكتاب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٥٤).

## قائمة المراجع

- (١) «الإمام الألباني دروس ومواقف وعبر»، إعداد: د. عبدالعزيز بن محمد السدحان.
- (٢) «التعليقات البازية على العقيدة الطحاوية»، لساحة الشيخ ابن باز.
- (٣) «الجامع»، لأبي عيسى الترمذي.
- (٤) «الذَّبُّ الأحمَد عن مسند الإمام أحمد»، للألباني.
- (٥) «السُّنَن»، لابن ماجه.
- (٦) «السُّنَن»، لأبي داود.
- (٧) «الشَّفا بتعريف حقوق المصطفى»، للقاضي عياض بن موسى.
- (٨) «الصَّارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- (٩) «الصَّحاح»، للجوهري.
- (١٠) «الصَّحيح»، للبخاري.
- (١١) «الصَّحيح»، لمسلم بن الحجاج.
- (١٢) «الفوائد المتنوعة في العقائد والتفسير والحديث والتاريخ وغير ذلك»، لساحة الشيخ ابن باز.
- (١٣) «الكواكب الدرية من تعليقات ساحة الشيخ ابن باز على الفتوى الحموية».
- (١٤) «المجتبى»، للنسائي.



- (١٥) «المسند»، الإمام أحمد بن حنبل.
- (١٦) «تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف»،  
لسماحة الشيخ ابن باز.
- (١٧) «سنن الدارمي».
- (١٨) «فتاوى نور على الدرب»، ترتيب: محمد الشويعر.
- (١٩) «مجلة البحوث الإسلامية».
- (٢٠) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة».

\*\*\*





# معالم الرحمة في دين الإسلام ونبيه

لدى العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله

إعلاء

د. عاصم بن عبد الله القريوتي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

ابيض

## المقدمة

إنَّ الإسلام دين السَّماحة والرَّحمة، وقد قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال عن النَّبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال النَّبي ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَّهْدَاةٌ»<sup>(١)</sup>.

وإنَّ معالم الرحمة في دين الله ﷻ ونبيِّ الرَّحمة ظاهرةٌ للعيان، لا تحتمل الجدل والنكران، وإنَّ كابر في ذلك بعض أهل الكفر والطُّغيان بالاتِّهامات الظاهرة البطلان.

ولقد اعتنى أئمة الإسلام وشيوخه بإجلاء مظاهر الرَّحمة والسَّماحة واليُسْر في دين الله ﷻ وتشريعهِ، وفي هدي نبيِّ الله ورسوله ﷺ، وكان من أولئك الجهابذة الأفذاذ ناصر السُّنة والدِّين الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ١/ ٩١ والبزار، والطبراني في المعجم الكبير للطبراني (٤٩٧/ ١٨) وغيرهم، وقال الهيثمي ٨/ ٢٠٤: «رجال البزار رجال الصحيح». وقال الحاكم: «صحيح على شرطها، فقد احتجا جميعا بمالك بن سعيّر، والتفرد من الثقات مقبول» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة ٤٩٠.

(ت ١٤٢٠هـ) ﷺ.

فكانت له جهودٌ عظيمةٌ مشهودةٌ، رَبَّتْ على سِتَّةِ عقودٍ من عمره، بين الدَّعوة إلى الله والتَّدریس والتَّأليف.

ولما كانت «الجمعية العلمية السعودية للسُّنة وعلومها» بالملكة العربية السعودية مشكورةً، ممثلةً بهيئتها الإداريَّة وفضيلة رئيسها، قد نظَّمتْ لمؤتمر عالميٍّ عن نبى الرَّحمة ﷺ، وما هذا إلا إدراكٌ منها لعظم المسؤولية والواجب المحتم تجاه نبى الرحمة ﷺ، رأيتُ أن يكون موضوع بحثي في مشاركتي بهذا المؤتمر العالمي المبارك:

«معالم الرحمة في دين الإسلام ونبیه ﷺ لدى العلامة الألباني ﷺ»

وإنَّ الحديث عن هذا الجانب لدى العلامة الألباني -ﷺ- واسع الخطب، ولكن طبيعة البحوث في المؤتمرات لها نمطٌ محدَّدٌ، ينبغي على المشاركون التقيد فيه، لذلك جعلت البحث في فصلين:

• الفصل الأول: عناية العلامة الألباني بالسنة والسيرة النبوية ودفاعه عنها، وفيه ستة مباحث:

○ المبحث الأول: عنايته في تحقيق التوحيد، والتحذير من الشرك.

○ المبحث الثاني: عنايته بأهمية السُّنة وحجَّيتها.





- المبحث الثالث: تحذيره من الابتداع.
- المبحث الرابع: عنايته بتجريد المتابعة للرسول ﷺ.
- المبحث الخامس: حثه على لزوم اتباع نهج السلف.
- المبحث السادس: عنايته بالذبّ عن الرّسول ﷺ فيما لم يصح عنه.
- الفصل الثاني: إبراز العلامة الألباني لمعالم الرحمة في الإسلام ونبي الرحمة ﷺ، وفيه ثمانية مباحث:
  - المبحث الأول: إبرازه لمعالم الرحمة في وسطية الإسلام في مجال التشريع.
  - المبحث الثاني: إبرازه لمعالم الرحمة في النهي عن الافتراق.
  - المبحث الثالث: إبرازه رحمة الإسلام ونبيه ﷺ بالمرأة.
  - المبحث الرابع: إبرازه لمعالم الرحمة بالأطفال.
  - المبحث الخامس: إبرازه لمعالم الرحمة في جوانب الأخلاق.
  - المبحث السادس: إبرازه لمعالم الرحمة في الرفق بالحيوان.
  - المبحث السابع: إبرازه لمعالم الرحمة في عناية الإسلام بالزراعة.
  - المبحث الثامن: إبرازه لمعالم الرحمة في شؤون البيئة.
- وصدّرتُ البحثَ بترجمة موجزةٍ للعلامة الألباني رحمه الله.
- ولما كانت الأحاديثُ المذكورة في الغالب في ثنايا كلام شيخنا الألباني رحمه الله

مخرجةً بتوسع في عدد من كتبه، فاكتفيت في الغالب بالتوثيق من عدد من مصادر التخريج، وأحلت للمصدر الذي توسع الشيخ فيه؛ لأن الغرض يتعلق بإبراز الشيخ لمعالم الرحمة من خلال مؤلفاته رحمته الله.

والله أسأل أن يوفق القائمين على هذا المؤتمر، والمشاركين فيه، والمستمعين، وكل من أسهم فيه لكل ما يخدم دينه وسنة نبيه، وأن يجزيهم خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

د. عاصم بن عبدالله القريوتي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض

alqaryoti@gmail.com

\*\*\*

## ترجمة موجزة<sup>(١)</sup>

### للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله

ولد الشيخ العلامة المحدث الفقيه أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي بن آدم الألباني سنة ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م في مدينة «اشقودرة» التي كانت حينئذ عاصمة «ألبانيا» آنذاك.

ونشأ الشيخ في أسرة فقيرة متدينة، عليها الطابع العلمي، إذ تخرّج والده نوح نجاتي رحمته الله في المعاهد الشرعيّة، في العاصمة العثمانية «الآستانة»، ورجع إلى بلاده حيث صار مرجعاً للناس، يعلمهم ويرشدهم، ثم هاجر أبوه إلى دمشق بعد تحويلها إلى بلاد علمانيّة<sup>(٢)</sup>.

- (١) ترجمت له في كتابي: «كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى»، وينظر «صوت العرب تسأل ومحدث الشام يحيب»، و«علماء ومفكرون عرفتهم» للشيخ محمد المجذوب، و«ترجمة موجزة لفضيلة محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني» للأستاذين محمد عيد العباسي وعلي خشان، و«الألباني حياته وآثاره وثناء العلماء عليه»، للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني، وأعدّ الدكتور زكي صلاحى رسالة دكتوراه بعنوان: «الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألباني محدثاً»، وبحث: «جهود الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في خدمة السنة المطهّرة» للدكتور خالد علي.
- (٢) انظر: ترجمة موجزة لفضيلة الشيخ الألباني.

يقول الشيخ رحمه الله عن أثر هذه الهجرة على سيرته:

«فجنيت - بفضل الله ورحمته - بسبب هجرته هذه إلى (دمشق الشام) ما لا أستطيع أن أقوم لربي بواجب شكره، ولو عشت عمر نوح عليه الصلاة والسلام؛ فقد تعلّمت فيها اللغة العربية السوربة أولاً، ثم اللغة العربية الفصحى ثانياً، الأمر الذي مكّني أن أعرف التّوحيد الصحيح الذي يجهله أكثر العرب الذين كانوا من حولي - فضلاً عن أهلي وقومي - إلا قليلاً منهم، ثم وفقني الله - بفضلله وكرمه دون توجيه من أحد منهم - إلى دراسة الحديث والسنة أصولاً وفقهاً، بعد أن درست على والدي وغيره من المشايخ شيئاً من الفقه الحنفي، وما يعرف بعلوم الآلة، كالنحو والصرف»<sup>(١)</sup>.

تلّقى الشيخ عن والده القرآن الكريم، وختمه عليه بقراءة حفص عن عاصم تجويداً، وعلم الصرف، ومن الفقه «مختصر القدوري». كما درس على الشيخ سعيد البرهاني - رحمه الله - «مراقي الفلاح» في الفقه، و«شذور الذهب» في النحو، وبعض كتب البلاغة المعاصرة. وأجازته الشيخ المسند محمد راغب الطباخ رحمه الله.

(١) السلسلة الصحيحة (٣٢٠٣).

ولقد برع الشيخ في تخريج الحديث ونقده، وعلم التخريج كما يقول السيوطي رحمته الله: «العمدة في علم الحديث على معرفة صحيح الحديث وسقيمه، وعلله واختلاف طرقه، ورجاله جرحاً وتعديلاً، وأما العالي والنازل ونحو ذلك، فهو من الفضلات، لا من الأصول المهمة»<sup>(١)</sup>.

وتأهل الشيخ للتدريس، ودرّس عدداً من الكتب في علوم متعددة: في العقيدة والحديث وعلومه والأدب، ومما درّس من كتب الحديث الشريف وعلومه:

«الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» للمحدث أحمد شاكر، و«الترغيب والترهيب» للمنذري، و«الأدب المفرد» للإمام البخاري، و«رياض الصالحين» للنووي، و«الإمام في أحاديث الأحكام» لابن دقيق العيد، ولكنه لم يتم الكتابين الأخيرين.

كان شيخنا غيوراً على السنة النبوية والدين، داعياً إلى توحيد الله عز وجل، ومحذراً من الشرك والبدع، ولا يخشى في ذلك لومة لائم، وذاهمة عالية في البحث والتّحقيق والجلّد، مع تواضع جم.

(١) طبقات الحفاظ للسيوطي (١/١١٢).

ولقد أثنى على الشيخ كثيرٌ من العلماء على مرِّ العقود ومن ذلك:  
أثنى عليه شيخنا العلامة محمد عطاء الله حنيف<sup>(١)</sup> رحمته الله مؤلف «التعليقات  
السلفية على سنن النسائي»، وكان يصفه بأستاذنا المبارك.  
وقال عنه العلامة الشيخ السيد محب الدين الخطيب رحمته الله: «من دعا  
السنة، الذين وقفوا حياتهم على العمل لإحيائها».  
ووصفه الشيخان علي الطنطاوي رحمته الله وناجي الطنطاوي قديماً في  
تحقيقيهما لـ «صيد الخاطر» لابن الجوزي بأنه: «المرجع اليوم في رواية الحديث في  
البلاد الشامية».

ووصفه مفتي المملكة العربية السعودية الأسبق سماحة العلامة الشيخ  
محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله بأنه «صاحب سنة، ونصرة للحق، ومصادمة  
لأهل الباطل»<sup>(٢)</sup>.

وقال عنه سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي المملكة العربية  
السعودية السابق رحمته الله: «معروفٌ لدينا بحسن العقيدة والسيرة، ومواصلة  
الدعوة إلى الله سبحانه، مع ما يبذله من الجهود المشكورة في العناية بالحديث

(١) ترجمت له ضمن كتابي: «كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى».

(٢) فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ٩٢/٤.

الشريف، وبيان الحديث الصحيح من الضعيف من الموضوع، وما كتبه في ذلك من الكتابات الواسعة، كله عملٌ مشكورٌ، ونافعٌ للمسلمين. نسأل الله أن يضاعف مثوبته، ويعينه على مواصلة السير في هذا السبيل الطيّب، وأن يكمل جهوده بالتوفيق والنجاح»<sup>(١)</sup>.

كما قال عنه الشيخ ابن باز رحمته الله: «لا أعلم تحت قبة الفلك في هذا العصر أعلم من الشيخ ناصر»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ العلامة حمود التويجري رحمته الله فيما ذكره أخونا الشيخ عبدالسلام بن برجس رحمته الله: «الألباني الآن علّم على السنة، الطعن فيه إعانة على الطعن في السنة».

ووصفه العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمته الله بأنه طويل الباع، واسع الاطلاع، قوي الإقناع»<sup>(٣)</sup>.

كما وصفه شيخنا حماد بن محمد الأنصاري رحمته الله بأنه ذو اطلاع واسع في

---

(١) انظر صورة خطاب الشيخ عبدالعزيز للشيخ محمد إبراهيم الشيباني في آخر كتابه «حياة الألباني».

(٢) سمع ذلك منه فضيلة الدكتور محمد الصباغ.

(٣) انظر الكوكبة ص ٢٢٨ و«حياة الألباني» للشيباني، آخر الكتاب.

علم الحديث.

وقال شيخنا العلامة عبدالمحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله<sup>(١)</sup>:

«له جهود عظيمة في خدمة السنة، وفي العناية بحديث رسول الله ﷺ، وبيان مصادر تلك الأحاديث والكتب التي ذكّرتها، وبيان درجتها من الصحة والضعف، وخدمته للسنة مشهورة، ودافع عن عقيدة السلف ومنهج السلف دفاعاً عظيماً».

وقال عنه معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ - وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية -:  
«علمٌ من أعلام الأمة، ومُحدِّثٌ من مُحدِّثيهم، وبهم حفظ الله جل وعلا هذا الدين، ونشر الله بهم السنة، وله مآثر عديدة في نُصرة العقيدة السلفية ومنهج أهل الحديث، وله مؤلفاتٌ عظيمةٌ عديدةٌ في خدمة الحديث، وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف، وأثره في العالم الإسلامي كبير، ويعدُّ من علماء الأمة بمآثره الجليلة والعظيمة»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر كوكبة من أئمة الهدى ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) جريدة عكاظ في ٢٣/٦/١٤٢٠هـ.





وقال فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن سليمان المنيع عضو هيئة كبار العلماء - حفظه الله -:

«له باع طويل في محاربة البدع والضلالات، والردّ على أصحابها من كتاب الله وسنة رسوله»<sup>(١)</sup>.

وقال سماحة الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العقيل - حفظه الله -:

«جاء الشيخ العلامة محمد ناصر الألباني فخدم السنّة، وحقّق علوم الحديث روايةً ودرايةً، واعتمد الناس على أقواله في نسبة الحديث وتصحيحه وتضعيفه، وغير ذلك، وبذلك أصبح الإمام الألباني محدّث العصر بلا منازع؛ فإنّا لا نعلم أحدًا أفاد في الحديث من بعد أصحاب الحافظ ابن حجر إلى وقتنا الحاضر مثله، فقد ألّف المؤلفات العظيمة النافعة، وعلى رأسها «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة»، ومختصري الصحيحين، و«إرواء الغليل»، وهذا الأخير خدّم كتب الحنابلة خدمةً عظيمةً لم يسبق إليها، ومن حسنات هذا الإمام: أنه أحيى في الأمة الاهتمام بتمحيص الحديث الصحيح من الضعيف، سواءً في كتب الحديث والفقه وغيرهما، كما أشاع مبدأ التّفقيد بالسنّة والحذر من البدعة، ونصرة العمل بالدليل.. أشاع هذه الأمور في

(١) كوكبة من أئمة الهدى ص ٢٥٦-٢٥٧.

طبقات تجاوزت العلماء وطلبة العلم إلى عموم المثقفين ومحبي السُّنة<sup>(١)</sup>.  
كما كان للشيخ الألباني رحمه الله مكانةً عليّةً لدى المؤسسات العلميّة، إذ  
اختارته كلية الشريعة في جامعة دمشق؛ ليقوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة  
بموسوعة الفقه الإسلامي، التي عازمت الجامعة على إصدارها عام (١٩٥٥م).  
كما اختير عضواً في لجنة الحديث، التي شكّلت في عهد الوحدة بين مصر  
وسوريا، للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها.

كما طلبت منه «الجامعة السلفية» في بنارس بالهند أن يتولى مشيخة  
الحديث، فاعتذر عن ذلك؛ لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد، بسبب الحرب  
بين الهند وباكستان آنذاك.

كما طلب منه معالي وزير المعارف في المملكة العربية السعودية الشيخ  
حسن بن عبدالله آل الشيخ عام ١٣٨٨هـ أن يتولى الإشراف على قسم  
الدراسات الإسلامية العليا في جامعة أم القرى بمكة، وقد حالت ظروفه دون  
تحقيق ذلك.

كما اختير عضواً للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة من عام  
١٣٩٥هـ - ١٣٩٨هـ.

(١) الإمام الألباني دروس ومواقف وعبر ص ٥-٦.

كما تمّ منحه جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤١٩هـ، وموضوعها (الجهود العلمية التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقاً وتخریجاً ودراسة)، ووُصف الشيخ في قرار الجائزة بأنّه شخصيّة علميّة رائدة، وصاحب مدرسة متميّزة، وله عطاءٌ حديثيٌّ أغنى الحقل العلمي، وأصبحت جهوده وأعماله مراجع لطلاب العلم وعوناً لدارسي السنة النبوية.

ولقد تنقل الشيخ كثيراً داخل مدن سوريا للدعوة، كما رحل لعدة دول منها السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة، وقطر، ومصر، والمغرب وبريطانيا، وإسبانيا.

كما زحرت المكتبات بمؤلفات الشيخ وتراثه العلمي، وسأذكر طائفةً منها<sup>(١)</sup> على النحو التالي:

العقيدة: «التَّوَسَّلْ أنواعه وأحكامه»، و«الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخریجها وبيان صحيحها من سقيمها»، و«تعليقاته على عقيدة أبي جعفر الطحاوي»، و«تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، وفي مقدمة تحقيقه لكتاب العلو للذهبي.

(١) انظرها مبسوطاً في ترجمتي له ضمن كتابي: «كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى»، و«ثبت مؤلفات الشيخ الألباني» للشمراني، و«الألباني محدثاً»، للدكتور زكريا صلاحي.

تخريج الأحاديث: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث: (منار السبيل)»، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة»، و«تخريج سنن أبي داود» وهو من أوسع كتبه وأنفعها، و«ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم».

تمييز الصحيح من الضعيف: «صحيح (الأدب المفرد) للبخاري وضعيفه»، و«صحيح (الترغيب والترهيب) للمنذري وضعيفه»، و«صحيح: (الجامع الصغير وزيادته) وضعيفه للسيوطي»، و«صحيح (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان)، وضعيفه للهيثمي» مع استدراكات مهمة نفيسة.

التحقيق والتعليق: «مشكاة المصابيح؛ للخطيب التبريزي»، و«رياض الصالحين؛ للنووي»، و«كتاب الإيمان، لابن أبي شيبة»، و«كتاب الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام»، و«تمام المنة في التعليق على: فقه السنة».

فقه الحديث: «صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها»، و«تحريم آلات الطرب»، و«أحكام الجنائز وبدعها»، و«آداب الزفاف في السنة المطهرة»، و«حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر ﷺ»، و«مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف».



علوم الحديث ومصطلحه<sup>(١)</sup>: مقدمة «تمام المنة»، والحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ووجوب الأخذ بالآحاد في العقيدة والأحكام، والرّد على شبه المخالفين ومقدّمة صحيح موارد الظمآن، ومن خلال إجابات الشيخ على أبي الحسن المأربي في علوم الحديث، ومن سؤالات المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله لأبي عبدالله أحمد بن إبراهيم أبي العينين.

رواة الحديث: من خلال تحقيقاته المتناثرة ودراسته لهم في مصنفاته أسماء شيوخ الطبراني في: (المعجم الأوسط)، و«الجمع بين (ميزان الاعتدال)، و(لسان الميزان) للحافظين الذهبي، وابن حجر»، وأنفعها «تيسير انتفاع الخلان بكتاب ثقات ابن حبان».

الاختصار مع التعليق والتخريج: «مختصر: (الشئال المحمدية)؛ للترمذي»، و«مختصر: (صحيح البخاري)»، و«مختصر: (العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها)؛ للذهبي».

السيرة النبوية: «خلاصة السيرة» و«صحيح: (السيرة النبوية)»، ولكنه لم يتمّه، وصل فيه إلى الإسراء والمعراج.

الفهرسة: «فهرس مسانيد الصحابة ل: (مسند الإمام أحمد)»، و«المنتخب من مخطوطات الحديث»، إضافةً إلى الفهارس العلمية الدقيقة التفصيلية في

السلسلتين الصحيحة والضعيفة في أسماء الرواة والفوائد والترتيب للأحاديث على الموضوعات في السلسلتين الصحيحة والضعيفة.

المراجعة والتعليق: التعليق على تحقيق «صحيح ابن خزيمة»، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، فراجعته الشيخ، وأضاف إليه من تخريجه.

الردود العلميّة: «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة»، و«الذبُّ الأحمَد عن مسند الإمام أحمد»، و«الردُّ على رسالة: «التعقيب الحثيث»؛ لعبدالله الحبشي»، و«الردُّ على كتاب: «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، لمحمد عبدالحليم أبو شقة»، و«الردُّ على كتاب: «المراجعات»، للمدعو عبدالحسين! شرف الدين الشيعي».

ولقد توفيَّ شيخنا العلامة الألباني رحمته الله في الثاني والعشرين من جمادى الثانية، عام عشرين وأربعمئة وألف للهجرة، الموافق الثاني تشرين الأول (أكتوبر) عام تسع وتسعين وألف ميلادية، في مدينة عمّان عاصمة الأردن، عن عمرٍ يقارب ثمانية وثمانين عاماً.

وقد أوصى الشيخ بمكتبته للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في وصيّة مكتوبة<sup>(١)</sup>.

رحمته الله وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) انظرها في الكوكبة ص ٢٥١.



## الفصل الأول

### عناية العلامة الألباني

### بالسنة والسيرة النبوية ودفاعه عنها

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: عنايته في تحقيق التوحيد، والتحذير من الشرك.
- المبحث الثاني: عنايته بأهمية السنّة وحجّيتها.
- المبحث الثالث: تحذيره من الابتداع.
- المبحث الرابع: عنايته بتجريد المتابعة للرسول ﷺ.
- المبحث الخامس: حثّه على لزوم اتباع نهج السلف.
- المبحث السادس: عنايته بالذبّ عن الرّسول ﷺ فيما لم يصح عنه.





## المبحث الأول

### عنايته بتحقيق التوحيد والتحذير من الشرك

لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ رَحْمَةٌ فِي التَّشْرِيعِ أوردتُ هذا المبحث، وذلك لأنَّ للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ لَهُ جُهودٌ عَظِيمَةٌ مَبَارَكَةٌ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالرَّدِّ عَلَى مَا يَخَالِفُهَا، تَأْلِيفًا وَتَدْرِيسًا دَعْوَةً وَمَنَظَرَةً.

ولقد درَّس الشيخ كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، كما أبان فيما علَّقَ به على الطحاوية<sup>(١)</sup> عن أنواع الشرك بالله تعالى فقال:

«إن نفي الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك:

الأول: الشرك في الربوبية وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقاً آخر تَعَالَى، كما هو اعتقاد المجوس القائلين بأنَّ للشرِّ خالقاً غير الله - سبحانه - وهذا النوع في هذه الأمة قليل والحمد لله وإن كان قريباً منه قول المعتزلة: إنَّ الشرَّ إنما هو من خلق الإنسان، وإلى ذلك الإشارة بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «القدرية مجوس هذه الأمة...»<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ٣١.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب السنة باب في القدر ٣٥٧/٤ ح: ٤٦٩٣، وأحمد ٨٦/٢ والحاكم =

الثاني: الشرك في الألوهية أو العبودية، وهو أن يعبد مع الله غيره من الأنبياء والصالحين، كالاستغاثة بهم وندائهم عند الشدائد، ونحو ذلك. وهذا مع الأسف في هذه الأمة كثير ويحمل وزره الأكبر أولئك المشايخ الذين يؤيدون هذا النوع من الشرك باسم التَّوسُّل، «يسمونها بغير اسمها».

الثالث: الشرك في الصفات، وذلك بأن يصف بعض خلقه تعالى ببعض الصفات الخاصّة به ﷻ، كعلم الغيب مثلاً، وهذا النوع منتشر في كثير من الصوفيّة ومن تأثر بهم، مثل قول بعضهم في مدح النبي ﷺ:

فإن من جودك الدنيا وضررتها \* ومن علومك علم اللوح والقلم  
ومن هنا جاء ضلال بعض الدجالين يزعمون أنهم يرون رسول الله ﷺ  
اليوم يقظَةً، ويسألونه عما خفي عليهم من بواطن نفوس من يخالطونهم،  
ويريدون تأميرهم في بعض شؤونهم، ورسول الله ﷺ ما كان ليعلم  
مثل ذلك في حال حياته، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ  
السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فكيف يعلم ذلك بعد وفاته وانتقاله إلى الرفيق  
الأعلى؟!

هذه الأنواع الثلاثة من الشرك من نفاها عن الله في توحيده إياه، فَوَحَّده في

ذاته وفي عبادته وفي صفاته، فهو الموحد الذي تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين، ومن أخل بشيء منه فهو الذي يتوجه إليه مثل قوله تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فاحفظ هذا فإنه أهم شيء في العقيدة، فلا جرم أن المصنف رحمته الله بدأ به، ومن شاء التفصيل فعليه بشرح هذا الكتاب وكتب شيوخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، وغيرهم ممن حذا حذوهم واتبع سبيلهم، ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

كما ردّ الألباني التوسل المبتدع في الدعاء، وأبان التوسل المشروع في رسالته الماتعة: «التوسل وأحكامه».

كما ذبّ الشيخ الألباني عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، ودافع عنه فيما ينسب إليه<sup>(١)</sup>.

عندما خرّج حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قوله: «اللهم بارك لنا في مكننا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في شامنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدُننا»، فقال رجل: يا رسول الله! وفي عراقنا، فأعرض عنه، فرددها ثلاثاً، كلّ ذلك يقول الرجل: وفي عراقنا، فيعرض عنه،

(١) السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٤٥).

فقال: «بها الزلازل والفتن، وفيها يطلع قرن الشيطان»<sup>(١)</sup>، فقال: وإنما أفضت في تخريج هذا الحديث الصحيح وذُكر طريقه وبعض ألفاظه؛ لأنَّ بعض المبتدعة المحاريين للسنة والمنحرفين عن التوحيد، يطعنون في الإمام محمد بن عبد الوهاب، مجدّد دعوة التّوحيد في الجزيرة العربية، ويحملون الحديث عليه باعتباره من بلاد نجد المعروفة اليوم بهذا الاسم، وجعلوا أو تجاهلوا أنها ليست هي المقصودة بهذا الحديث، وإنّما هي العراق، كما دلّ عليه أكثر طرق الحديث، وبذلك قال العلماء قديماً كالإمام الخطابي وابن حجر العسقلاني وغيرهم. وجعلوا أيضاً أنّ كون الرجل من بعض البلاد المذمومة لا يستلزم أنه هو مذمومٌ أيضاً إذا كان صالحاً في نفسه، والعكس بالعكس. فكم في مكة والمدينة والشّام من فاسقٍ وفاجرٍ، وفي العراق من عالمٍ وصالحٍ. وما أحكم قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء حينما دعاه أن يهاجر من العراق إلى الشام: «أما بعد، فإنّ الأرض المقدّسة لا تقدس أحداً، وإنما يقدّس الإنسان عمله»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٤٥).

(٢) وذكر الشيخ أيضاً أنه في مقابل أولئك المبتدعة من أنكر هذا الحديث وحكم عليه بالوضع لما فيه من ذم العراق.

## المبحث الثاني

### عنايته بأهمية السنة وحجيتها

إنَّ للشيخ العلامة الألباني جهوداً كبيرةً جليّةً في خدمة حديث النبي ﷺ والذّبَّ عنه، وقد ألّف ما يربوا على مائتين وخمسين مصنفًا، بين تأليفٍ وتحقيقٍ وتعليقٍ واختصار، وقد كُتبت عدّة رسائلٍ جامعّة<sup>(١)</sup> في جوانبٍ عدّةٍ عنه، كما سُجّلت أخرى في دراسةٍ جوانبٍ من جهود هذا الإمام<sup>(٢)</sup>، ولكنني سأذكر هنا أبرز ما يظهر لي من عنايته في الدفاع عن النبي ﷺ من خلال ما يلي:

إنَّ السنة النبويّة وحْيٌ من الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وهي محفوظةٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩ - ١٠]، وهي مبيّنة للقرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

(١) منها: «جهود الشيخ الألباني في الحديث رواية ودراية» لعبد الرحمن بن محمد العيزري، و«جهود في بيان عقيدة السلف الصالح في الإيمان بالله رب العالمين» للجبوري.

(٢) منها: «منهج العلامة الألباني في تقرير اعتقاد السلف والردّ على المخالف»، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، و«منهجه في الدعوة» في جامعة أم القرى، و«منهجه في تحليل الأحاديث» في الجامعة الأردنية.

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [النحل: ٤٤]. وهي الحكمة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ [آل عمران: ١٦٤]، وقد أوجب الله على المسلمين اتباع الرسول ﷺ فيما يأمر وينهى، فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ولقد أصَّل الشيخ الألباني رحمه الله في مؤلفاته ودعوته لهذا الأمر العظيم، وكتب رسالة بعنوان: «الحديث حجة بنفسه في العقيدة والأحكام»، وأصلها محاضرة ألقاها في مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين الذي انعقد في غرناطة عام ١٣٩٢ هـ الموافق سنة ١٩٧٢ م، وأبان فيها عن وجوب الرجوع إلى السنة، وتحريم مخالفتها؛ لأن القرآن يأمرنا بالاحتكام إلى سنة رسول الله، ثم أثبت بالدلائل القرآنية، وبالأحاديث النبوية الصحيحة لزوم اتباع النبي ﷺ، وأبان عن موقف المسلم الصحيح من السنة النبوية ومكانتها في الإسلام وحجيتها، وواجب المسلمين في الرجوع إليها والتحذير من مخالفتها، ثم تكلم عن تحكُّم بعض الخلف بالسنة بدل التَّحاكُم إليها، وإهمالهم السُّنَّة بسبب أصول أو قواعد تبناها بعض علماء الكلام أو بعض الفقهاء علماء الأصول. ثم أجاب عن هذه الأصول أو القواعد التي صرفتهم عن دراسة السُّنَّة واتباعها.

كما تحدّث عن بطلان تقديم القياس وغيره على الحديث النبويّ، وذكر شدّة نكير السلف وغضبهم على من عارض الحديث برأيٍ أو قياسٍ أو استحسانٍ أو قول أحدٍ من النّاس كائناً من كان. وأكّد الشيخ أنّ عدم الاحتجاج بحديث الآحاد في العقيدة بدعةٌ محدّثةٌ، لا يعرفها السلف، وأنّ هذا التّفريق باطلٌ بإجماع الأئمة<sup>(١)</sup>.

وأما في رسالته الأخرى «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين» فقد فنّد فيها دعاوى الذين يفرقون بين العقائد والأحكام في الاحتجاج بالحديث، وأجاب عن الشبهات التي أثّرت حول هذا الموضوع، ونقض دعاوى الذين لا يستدلّون بأخبار الآحاد في العقيدة ببراہين ساطعة، وردّ على من ادّعى الإجماع في هذا الموضوع، وأبان خطورة هذا القول الذي يؤدي في حقيقة الأمر إلى إنكار ما عليه المسلمون من عقائد صحيحة، لا تثبت إلا بأحاديث الآحاد، مع كون بعض الأحاديث التي ينكرونها إنما هي متواترة أيضاً.

كما أنّه ذكر في تعليقٍ له على قول الإمام الطحاوي رحمته الله: (وجميع ما صحّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله من الشّرْع والبيان كلّ حقّ):

(١) الحديث حجة بنفسه ص ٢٦.

«يعني دون تفريق بين ما كان منه خبر آحاد أو تواتر، ما دام أنَّه صحَّ عن رسول الله ﷺ، وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، والتفريق بينهما إنما هو بدعة وفلسفة دخيلة في الإسلام، مخالف لما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدون»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) التعليق على الطحاوية ص ٦٤.



### المبحث الثالث

#### تحذيره من مخالفة الهدي النبوي والابتداع في الدين

قَرَّرَ الشيخ رحمته الله أَنَّ مما يجب العلم به أَنَّ معرفة البدع التي أدخلت في الدين أمرٌ هامٌّ جداً؛ لأنه لا يتم للمسلم التَّقَرُّبُ إلى الله تعالى إلا باجتنابها، ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة مفرداتها إذا كان لا يعرف قواعدها وأصولها، وإلا وقع في البدعة وهو لا يشعر، فهي من باب «ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب» كما يقول علماء الأصول -رحمهم الله تعالى-. ومثل ذلك معرفة الشرك وأنواعه، فإنَّ من لا يعرف ذلك وقع فيه، كما هو مشاهدٌ من كثيرٍ من المسلمين الذين يتقَرَّبون إلى الله بما هو شركٌ، كالنَّذر للأولياء والصالحين، والحلف بهم، والطواف بقبورهم، وبناء المساجد عليها، وغير ذلك مما هو معلومٌ شرَّكه عند أهل العلم؛ ولذلك فلا يكفي في التَّعَبُّدِ الاقتصار على معرفة السُّنَّة فقط، بل لا بد من معرفة ما يناقضها من البدع، كما لا يكفي في الإيِّان التوحيد دون معرفة ما يناقضه من الشَّرَكِيَّات، وإلى هذه الحقيقة أشار رسول الله ﷺ بقوله: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه وحسابه على الله»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيِّان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله =

فلم يكتفِ ﷺ بالتوحيد، بل ضمَّ إليه الكفر بما سواه، وذلك يستلزم معرفة الكفر وإلا وقع وهو لا يشعر، وكذلك القول في السنة والبدعة ولا فرق في ذلك؛ لأن الإسلام قام على أصليْن عظيمين:  
أن لا نعبد إلا الله، وأن لا نعبد إلا بما شرع، فمن أخلَّ بأحدهما فقد أخلَّ بالآخر، ولم يعبد الله -تبارك وتعالى-.

وتحقيق القول في هذين الأصلين تجده مبسوطاً في كتب شيخني الإسلام ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله تعالى-.  
فثبت مما تقدّم أن معرفة البدع أمرٌ لا بدّ منه؛ لتسلم عبادة المؤمن من البدعة التي تنافي التّعبّد الخالص لله تعالى، فالبدع من الشرِّ الذي يجب معرفته لا لإتيانه، بل لاجتنابه، على حد قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه \* ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه  
وهذا المعنى مستقى من السنّة، فقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: «يا رسول الله إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «نعم وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: «نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا... الحديث»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «ولهذا كان من الضروري جداً تنبيه المسلمين على البدع التي دخلت في الدين، وليس الأمر، كما يتوهم البعض: أنه يكفي تعريفهم بالتوحيد والسنة فقط، ولا ينبغي التعرض لبيان الشراكات والبدعيات، بل يسكت عن ذلك، وهذا نظرٌ قاصرٌ، ناتجٌ عن قلة المعرفة والعلم بحقيقة التوحيد الذي يباين الشرك والسنة التي تباين البدعة، وهو في الوقت نفسه يدل على جهل هذا البعض بأن البدعة قد يقع فيها حتى الرجل العالم، وذلك لأن أسباب البدعة كثيرة جداً لا مجال لذكرها الآن، ولكن أذكر سبباً واحداً منها، وأضرب عليه مثلاً، فمن أسباب الابتداع في الدين الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فقد يخفى على بعض أهل العلم شيء منها، ويظنها من الأحاديث الصحيحة فيعمل بها،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٦/٧١٢ ح: ٣٦٠٦ مع الفتح) ومسلم كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال (٣/١٤٧٥ ح: ١٨٤٧).

ويتقرب إلى الله - تعالى - ثم يقلده في ذلك الطلبة والعامة فتصير سنة متبعة<sup>(١)</sup>. ولخطر الابتداع والإحداث في دين الله نبه الشيخ رحمه الله في كتابه «حجة النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup> على البدع التي يقع فيها بعض الحجاج، منذ عزمهم على السفر، حتى رجوعهم إلى أهلهم.

كما عقد في كتابه «أحكام الجنائز»، فصلاً خاصاً<sup>(٣)</sup> ببدع الجنائز، ذكر فيه ما وقف عليه من البدع، منصوصاً عليه في كتاب من كتب أهل العلم قديماً وحديثاً، عازياً كل بدعة إلى موضعها من كتبهم، وما لم يعزه إليهم، فهو مما يحكم المنهج العلمي في أصول البدع أنه منها، ولكنه لم ير من نص منهم عليها، وكثير منها من بدع العصر الحاضر، كما قال رحمه الله.

وكما حقق كتاب «إصلاح المساجد من البدع والعوائد»، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، وخرج أحاديثه وعلّق عليه. وكذلك نبه على البدع في كتابه الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد

---

(١) الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة (ص ٦٥)، وينظر: تحريم آلات الطرب (ص ١٦٢).

(٢) حجة النبي ص ١٠٠.

(٣) أحكام الجنائز ص ٢٣٩.



الجامعة<sup>(١)</sup>، بل له مشروعُ تأليفِ كتابٍ باسم: «قاموس البدع»، وقد طُبِعَ أخيراً  
بجمع فضيلة الشيخ مشهور حسن مما نصَّ عليه الألباني رحمته الله.

\*\*\*

## المبحث الرابع

### عنايته بتجريد المتابعة للرسول ﷺ

لقد عني الشيخ الألباني رحمه الله كثيراً بتحقيق تجريد المتابعة للرسول ﷺ؛ لأنه المتمم لتجريد التوحيد لله ﷻ، إذ المعنى الحقيقي للشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هو أفراد الله ﷻ بالعبادة، وإفراد رسوله ﷺ بالاتباع.

ونجد من عنايات الشيخ رحمه الله في تجريد المتابعة للنبي ﷺ ما سطره خلال كتابه صفة صلاة النبي ﷺ<sup>(١)</sup>؛ إذ نقل أقوال الأئمة في اتباع السنة، وترك أقوالهم المخالفة لها، منها قول الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا؛ ما لم يعلم من أين أخذناه»، و«حرامٌ على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي»، وقول الإمام مالك: «ليس أحدٌ - بعد النبي ﷺ - إلا ويؤخذ من قوله ويترك؛ إلا النبي ﷺ»، وقول الإمام الشافعي رحمه الله: «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنةٌ لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قولٍ، أو أصلت من أصلٍ فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت؛ فالقول ما قال

(١) أصل صفة صلاة النبي ﷺ ص ٢٣.

رسول الله ﷺ، وهو قولي»، و«أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد»، وقول الإمام أحمد رحمه الله: «رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة؛ كله رأي، وهو عندي سواء، وإنها الحجة في الآثار»، وقوله: «من ردَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة».

كما أكَّد على ذلك في ثنايا كتابه «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام»، وقد نقل الألباني عن ابن القيم -رحمهما الله تعالى-<sup>(١)</sup> قوله:

«وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم على من عارض حديث رسول الله ﷺ برأي أو قياس أو استحسان، أو قول أحد من الناس كائناً من كان، ويهجرون فاعل ذلك، وينكرون على من يضرب له الأمثال، ولا يسوغون غير الانقياد له ﷺ، والتسليم والتلقي بالسمع والطاعة، ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله حتى يشهد له عمل أو قياس، أو يوافق قول فلان وفلان، بل كانوا عاملين بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وبقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وبقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٤٦٤ - ٤٦٥.

تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ [الأعراف: ٣ - ٤] وأمثالها، فدفعنا إلى زمان إذا قيل لأحدهم: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا يقول: من قال هذا؟ دفعا في صدر الحديث، ويجعل جهله بالقائل حجة له في مخالفته وترك العمل به، ولو نصح نفسه لعلم أن هذا الكلام من أعظم الباطل، وأنه لا يحل له دفع سنن رسول الله ﷺ بمثل هذا الجهل، وأقبح من ذلك عذره في جهله، إذ يعتقد أن الإجماع منعقد على مخالفة تلك السنة، وهذا سوء ظنٌ بجماعة المسلمين، إذ ينسبهم إلى اتِّفاقهم على مخالفة سنة رسول الله ﷺ، وأقبح من ذلك عذره في دعوى هذا الإجماع، وهو جهله وعدم علمه بمن قال بالحديث، فعاد الأمر إلى تقديم جهله على السنة. والله المستعان<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) آداب الزفاف ص ١٩٥.



### المبحث الخامس

### حثُّه على لزوم اتباع نهج السلف

لقد عُنِيَ الشيخ الألباني رحمته الله بهذا الأمر كثيراً، تقعيداً واستدلالاً، بل كان هذا سمةً غالبيةً على دعوته رحمته الله، ومن تقريراته تلك قوله:

«عليك بطريقة السلف؛ فإنها أعلم وأحكم وأسلم، ودع طريقة التأويل التي عليها الخلف الذين زعموا: «أنَّ طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم»؛ فإنه باطلٌ من القول، وفيه ما لا يخفى من نسبة الجهل إلى السلف، والعلم إلى الخلف!! وسبحان الله كيف يصدر مثل هذا القول ممن يؤمن بفضائل السلف التي لا تخفى على أحد»<sup>(١)</sup>.

وأكد على لزوم اتباع نهج السلف، فقال:

«إنَّ مما لا يرتاب فيه عالم من علماء المسلمين العارفين حقاً بفقه الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح الذين أمرنا بالتمسُّك بنهجهم، ومُهِينَا عن مخالفة سبيلهم، في مثل قوله - تعالى - : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

---

(١) أحال الشيخ لبطان هذا القول إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومقدمته: «مختصر العلو للعلي العظيم» للحافظ الذهبي.

الْهَدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلَّيْ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ [النساء: ١١٥-١١٦].

كما قال: «إنَّ السلف رضوان الله عليهم أفقه بالحال وأعرف بالمقال، فما يسعنا إلا اتِّباعهم فيما فعلوه»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة ص ٣٤.

## المبحث السادس

### عنايته بالذب عن الرسول ﷺ فيما لم يثبت عنه

لقد اتفق العلماء على أَنَّ تعمُّد الكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر، لقول النبي ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>. ولقوله ﷺ: «من حدّث عني بحديثٍ يرى أنه كذبٌ فهو أحد الكاذبين»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا قيّض الله ﷻ على مرّ القرون جهابذة نقاداً، يذبُّون عن رسول الله ﷺ ما نُسب إليه، وهذا من حفظ الله لدينه لأنَّ السُّنة هي المبيّنة والموضّحة لكتاب الله، وهي مبيّنة للقرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ولقد سئل الإمام عبدالله بن المبارك المروزي عن الأحاديث الموضوعة فقال: «تعيش لها الجهابذة» ثم تلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت (٣/ ١٩١: ح ١٢٩١ مع الفتح)، ومسلم في المقدمة، باب في تغليظ الكذب على رسول الله (١/ ٩: ح ١) عن المغيرة.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين ٧/ ١.

[الحجر: ٩ - ١٠] <sup>(١)</sup>.

ولذا قد اعتنى علماء الإسلام من المحدثين في التحذير من الضعيف والموضوع من حديث الرسول ﷺ، وكان للشيخ العلامة الألباني رحمه الله نصيبٌ كبيرٌ من ذلك، وقد قال سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل حفظه الله: «ومن حسنات هذا الإمام: أنه أحْيَى في الأمة الاهتمام بتمحيص الحديث الصحيح من الضعيف، سواءً في كتب الحديث والفقه وغيرهما، كما أشاع مبدأ التَّقيُّد بالسُّنَّة والحذر من البدعة، ونصرة العمل بالدَّليل.. أشاع هذه الأمور في طبقاتٍ، تجاوزت العلماء وطلبة العلم إلى عموم المثقِّفين ومحبي السُّنَّة» <sup>(٢)</sup>.

وعناية الألباني في بيان الضعيف والموضوع بارزةٌ للعيان، من خلال سائر كتبه، لاسيما كتابه «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة»، وبلغ عدد الأحاديث التي تصدى لها هذا الكتاب في أربعة عشر مجلداً، وتزداد أهمية هذا الكتاب في نقده للمتون، إضافةً للأسانيد في بيان وهاء هذه الأحاديث، وهذا ما يعرف بنقد المتن، وما عليه أئمتنا النقاد الأولون، خلافاً لدعاوى المستشرقين وأتباعهم أنَّ علماء الحديث لم يتجهوا لنقد المتن في الحديث.

(١) أخرجه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات ٤٦/١.

(٢) الإمام الألباني دروس ومواقف وعبر ص ٥-٦.



## الفصل الثاني إبراز العلامة الإلحاني

### لمعالمة الرحمة في الإسلام ونبي الرحمة ﷺ

وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول: إبرازة لمعالمة الرحمة في وسطية الإسلام في مجال التشريع.
- المبحث الثاني: إبرازة لمعالمة الرحمة في النهي عن الافتراق.
- المبحث الثالث: إبرازة رحمة الإسلام ونبيه ﷺ بالمرأة.
- المبحث الرابع: إبرازة لمعالمة الرحمة بالأطفال.
- المبحث الخامس: إبرازة لمعالمة الرحمة في جوانب الأخلاق.
- المبحث السادس: إبرازة لمعالمة الرحمة في الرفق بالحيوان.
- المبحث السابع: إبرازة لمعالمة الرحمة في عناية الإسلام بالزراعة.
- المبحث الثامن: إبرازة لمعالمة الرحمة في شؤون البيئة.



## الفصل الثاني

### إبراز العلامة الألباني لمعالم الرحمة في دين الإسلام ونبي الرحمة ﷺ

لقد اعتنى الشيخ الألباني رحمته الله عناية عظيمة بالسنة النبوية التي تعدّ رحمةً للعالمين، -كما سبق في الفصل الماضي-، وتناول أحاديث متعددة في سماحة الإسلام ويُسره، والنهي عن الغلو والتَّطَع، كما ذكر الرُّخص في السَّفر والصَّيام والوضوء، وعدم المؤاخذه بالخطأ والنسيان، والتيسير في الحجّ، وفي المعاملات، وفي مجال الرِّفق بالأطفال والعناية بهم، وبأصحاب الاحتياجات الخاصّة، وشؤون الأسرة، والعناية بالمرأة وشؤونها، وبالأيتام، والأرامل والمساكين وبالموتى، وبالرِّفق بالحيوان، وغير ذلك مما يطول المقام بالتفصيل فيه، بالإضافة لعنايته بالشّائل المحمدية للإمام الترمذي، ولكنني أحاول في هذا الفصل تقريب أبرز الجوانب التي أظهرها الشيخ في جوانب الرحمة بما تسمح له طبيعة البحث، مستعيناً بالله عزّ وجلّ.

\*\*\*

## المبحث الأول

### إبرازه لمعالم الرحمة في التشريع

#### ١ - تبياناه لوسطية الإسلام.

يقرر الشيخ رحمه الله أن الإسلام وسط بين الإفراط، فيقول:

«ومما لا شك فيه أن تحقيق الاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط وتمييز الصحيح من الضعيف لا يكون بالجهل أو بالهوى، وإنما بالعلم والاتباع، وأن ذلك لا يكون إلا بالفقه الصحيح عن رسول الله ﷺ، وهذا الفقه لن يكون إلا بمعرفة ما كان عليه الرسول ﷺ، من قول وفعل وتقرير.

وإذا الأمر كذلك فإنه لا يمكن أن ينهض به إلا من كان من الفقهاء عالماً أيضاً بعلم الحديث وأصوله، أو على الأقل يكون من أتباعهم وعلى منهجهم، ولقد أبدع من قال:

أهل الحديث هم أهل النبي \* وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا  
وهم المقصودون بالحديث المشهور - على الاختلاف في ثبوته - : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٥٩ و ٢٠٢) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» =



بل وبالحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُحَّالًا فُسِّئُوا، فَأَفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»<sup>(١)</sup>.

وقال عندما ذكر أثر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها اتَّخَذَتْ خَنْجَرًا زَمَنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ لِلصُّوَصِ، وَكَانُوا قَدْ اسْتَقَرُّوا فِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَتْ تَجْعَلُهُ تَحْتَ رَأْسِهَا<sup>(٢)</sup>: «إِنَّ هَذَا مِنْ آثَارِ تَرْبِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهْنٌ عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ الَّتِي لَا إِفْرَاطَ فِيهَا وَلَا تَفْرِيطَ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

= (٥ و ٥٢-٥٨) والترمذي (٢٦٦٩) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٤٠) وأبو خيثمة زهير بن حرب (٤٥) والدارمي (١٣٦/١) وأبو نصر السجزي في «الإبانة» وأبو نعيم وابن عساكر عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري وهو مختلف في صحبته كذا في «جمع الجوامع» (ص ٩٩٥). وسئل أحمد بن حنبل عن حديث معان بن رفاعة عن إبراهيم ابن عبد الرحمن العذري قال رسول الله ﷺ فذكره. وقيل لأحمد كأنه كلام موضوع قال هو صحيح. انظر «جمع الجوامع» و«شرف أصحاب الحديث» (٥٥)، وحسنه العلائي كما في «إرشاد الساري» (١/ ٤) وانظر «فتح الباري» (٦/ ٤٩٨).

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ٥٠/١ ح:، ومسلم كتاب العلم باب هلك المتنطعون ٤/ ٢٠٥٨ ح: ٢٦٧٣.

(٢) تحريم آلات الطرب ص ٦٩.

(٣) أخرجه ابن سعد ٨/ ٢٥٣، بسند صحيح. ينظر: الرد المفحم (١/ ١٥٦).

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۖ [آل عمران: ١١٠]، وقال:  
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ  
شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ثم قال: «على هذا المنهج النبوي الكريم يجب على المشايخ والدعاة أن يقوموا بتربية الناس رجالاً ونساءً، ولن يستطيعوا ذلك إلا إذا تعرّفوا على السنّة والسيرة النبويّة الصحيحة التي تشمل: قوله ﷺ وفعله وتقريره، وما كان عليه سلفنا الصالح مما صحّ عنهم، فإنّ فقه العالم لا يستقيم إلا بهذا كله، مستعيناً على ذلك بأقوال الأئمة المجتهدين والعلماء المحققين، وإلا حاد عن الحق وسبيل المؤمنين. والله در شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين نبه على هذا - وهو من نفائسه ولم أره لغيره - بقوله: «والمنقول عن السلف والعلماء يحتاج إلى معرفة ثبوت لفظه ودلالته، كما يحتاج إلى ذلك المنقول عن الله ورسوله».

كما تناول الوسطيّة في مسألة فقه الواقع اليوم، إذ يقرّر الشيخ أنّ فقه الواقع بمعناه الشرعي الصحيح واجبٌ بلا شكٍّ، ولكن وجوباً كفائياً إذا قام به بعض العلماء سقط عن سائر العلماء، فضلاً عن طلاب العلم، فضلاً عن عامّة المسلمين.

فلذلك يجب الاعتدال بدعوة المسلمين إلى معرفة (فقه الواقع)، وعدم

إغراقهم بأخبار السياسة وتحليلات مفكري الغرب، وإنَّما الواجب دائماً وأبداً الدَّندنة حول تصفية الإسلام مما علق به من شوائب، ثم تربية المسلمين: جماعاتٍ وأفراداً على هذا الإسلام المصفَّى، وربطهم بمنهج الدعوة الأصيل: الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة<sup>(١)</sup>.

## ٢ - تبيانُه لعدالة الإسلام.

لقد أبان الشيخ عن أهمية العدالة وأثرها من خلال جوابه عندما سئل عن قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إِنَّ اللَّهَ يَقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَقِيمُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً» فقال: إِنَّ آيَةَ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، وقد ذكر بعض علماء التفسير ذلك بأنَّ الظلم هو سبب خراب البلاد، وهلاك العباد، فإذا كانت الأمة أو الدولة كافرة، ولكنَّها تحكم بالعدل فيما بينها، هذا العدل الذي يعرفه الناس بفطرتهم، فإذا كانوا يحكمون بذلك؛ تقوم دولتهم، وتستمرَّ مدَّةً طويلةً، والتَّاريخ يشهد بهذا، وعلى العكس من ذلك، إذا بغى الحكام وجاروا على العباد؛ كان ذلك سبباً لقيام الثَّورات، وما يسمى اليوم

(١) فقه الواقع للألباني ص ٢٥.

بالانقلابات العسكرية، ولن تستقر الأوضاع في تلك البلاد، حتى يهلك الشعب الواحد بعضه بعضاً، ويكون ذلك سبباً لفتح الطريق لأمة أخرى لكي تستعبدوها، ولا شك أن الإسلام جاء بكل ما فيه خير الدنيا والآخرة، ومن ذلك الأمر بالعدل، والأمر بإقامة الحدود بين الناس، حتى قال - عليه الصلاة والسلام - : «حدٌ يقام في الأرض خيرٌ من مطر أربعين صباحاً»<sup>(١)</sup>، وما هذا إلا لتحقيق العدالة في المجتمع الإسلامي، فإذا افترضنا مجتمعاً إسلامياً لا يقيم حكم الله ﷻ في الأرض، وذلك مما لا يمكن إقامته إلا على إقامة العدل بين المسلمين، فلا يمكن أن تقوم قائمة هذه الدولة؛ لأنها حين ذاك تحكم بغير ما أنزل الله، ومن حكم بغير ما أنزل الله فقد عرّض أمته ودولته للانحيار»<sup>(٢)</sup>.

- (١) خرجه ابن ماجه كتاب الأطعمة باب إقامة الحدود/ (٢٥٣٨) والنسائي كتاب الحدود باب إقامة الحدود/ ح: ٧٥ / ٨ / وأحمد (٤٠٢ / ٢) وابن حبان ٢٤٤ / ١٠ ح: ٤٣٩٨ وابن الجارود في «المنتقى» (٨٠١) وأبو يعلى في «مسنده» (١ / ٢٨٧) وجاء في بعض المصادر: «ثلاثين» بدل «أربعين»، وجمع بينهما على الشك الإمام أحمد (٣٦٢ / ٢)، والحديث بمجموع طرقه حسن لغيره كما في «السلسلة الصحيحة» ١ / ٤٠٩ حديث ١٣١، وانظرها للمزيد حوله.
- (٢) من دروس الشيخ الألباني المفرغة. ٩ / ٣٤، المكتبة الجامعة للخطب المنبرية والدروس والمحاضرات:

('http://www.3lsooot.com/alkhotab/options.php?do=word&LID=174

كما تناول الشيخ رحمه الله العدل بين الأولاد جميعاً، الذكور والإناث، وذلك من وحي السنة، حتى في التقبيل، لحديث أنس رضي الله عنه قال: كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل، فجاء ابنٌ له فقبله وأجلسه على فخذه، ثم جاءت بنتٌ له فأجلسها إلى جنبه، قال: «فَهَلَا عَدَلْتُ بينهما؟!»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ الألباني بعد أن حكم بحسن إسناد الحديث السابق<sup>(٢)</sup>:  
«وقد استدل به الطحاوي رحمه الله لقول أبي يوسف رحمه الله: إنه يسوّي في العطية بين الأنثى والذكر؛ خلافاً لمحمد بن الحسن رحمه الله الذي قال: بل يجعلها على قدر الموارث للذكر مثل حظ الأنثيين، فردّه الطحاوي بما رواه بالسند الصحيح عن النعمان بن بشير: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سوُّوا بين أولادكم في العطية، كما تحبون أن يُسووا بينكم في البر»<sup>(٣)</sup>.

قال أبو جعفر الطحاوي: «فيه دليلٌ على أنه أراد من الأب لولده ما يريد

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح المعاني» (٨٦/٤) وغيره.

(٢) وانظر السلسلة الصحيحة ٣٠٩٨.

(٣) شرح معاني الآثار (٨٦/٤) وأخرجه البيهقي (١٧٨/٦)، ومسلم كتاب الهبات باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (٥/٦٦-٦٧ ح: ١٦٢٣)، وابن حبان ٥٠٥/١١ ح: ٥٠٨٢ بنحوه.

من ولده له، وكان ما يريد من الأنثى من البرّ مثل ما يريد من الذّكر، فأراد النبي ﷺ منه لهم من العطية للأنثى مثل ما أراد للذّكر»<sup>(١)</sup>.

ثم قال الألباني رحمه الله: «إنّ العدل المذكور بين الأولاد قد اختلفوا في حكمه؛ فمن قائل بأنّه واجب، ومن قائل بأنّه مستحب، وهذا مذهب الحنفية، وانتصر له الطحاوي، والحقّ الوجوب، كما فصله الحافظ في «الفتح»؛ فليرجع إليه من شاء البسط، ويكفي للدلالة على ذلك أن راوي الحديث - وهو النعمان ابن بشير رحمه الله - قال في بعض الطُّرق الصحيحة عنه: رجع أبي، فردّ تلك الصّدقة. أخرجه الشيخان<sup>(٢)</sup>، وهو مخرج في «الإرواء» (٦ / ٤١)»<sup>(٣)</sup>.

### ٣- تقريره لقاعدة: «لا ضرر ولا ضرار» في شريعة الإسلام.

ذكر الشيخ حديث «لا ضرر ولا ضرار» في السلسلة الصحيحة<sup>(٤)</sup>، وأفاض

(١) شرح معاني الآثار - (٨٩ / ٤).

(٢) البخاري كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الإشهاد في الهبة حديث ٢٥٨٧، ومسلم كتاب الهبات باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ٣ / ١٢٤١ ح: ١٦٢٣.

(٣) السلسلة الصحيحة (٢٦ / ٩) حديث ٣٠٩٨.

(٤) ٤٤٣ / ١ برقم ٢٥٠ وعزاه للدارقطني (٥٢٢) والحاكم (٥٧ / ٢ - ٥٨) عن أبي سعيد الخدري، ووافق الذهبي الحاكم: على قوله «صحيح على شرط مسلم» وهو حديث حسن =

في تخريجه فيه، وفي إرواء الغليل<sup>(١)</sup>.

ومن التطبيقات التي ذكرها في هذه القاعدة أنه يحرم في الوصية أن يوصي المسلم بما يضرُّ بالورثة، فقال:

«ويحرم الإضرار في الوصية، كأن يوصي بحرمان بعض الورثة من حقهم من الإرث، أو يفضل بعضهم على بعض فيه، لقوله - تبارك وتعالى -: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، وفي الأخيرة منها: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّهِ يُوصِي بِهَا أَوْ ذَيْنَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، ولقوله ﷺ: «لا ضرر، من ضار ضاره الله، ومن شاق شاقه الله»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وكذا استخدمها في تطبيقات أخرى، ومنها ما يتعلق بالإضرار بالبيئة وغيرها في جوابه عن حكم شرب الدخان، كما سيأتي - إن شاء الله -.

= كما قال النووي في «الأربعين» وابن تيمية في «الفتاوى» (٢٦٢/٣) لطرقه وشواهد الكثرة.

(١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤٠٨/٣).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) أحكام الجنائز ص ٧.

#### ٤ - تقريره للرخص الشرعية.

قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَئِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِمْزَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

وروى أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ أَنْ تُؤْتَى رَخْصُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر العلامة جمال الدين القاسمي رحمته الله في كتابه المسح على الجوربين الذي أخرجه الشيخ الألباني واعتنى به؛ أنه «قد يظن قومٌ أَنَّ التَّشَدُّدَ فِي الْعِزَائِمِ وَمَجَافَةَ الرُّخْصِ مِنَ التَّقْوَى، وَحَاشَا لِلَّهِ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَشَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتَلَكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارِ، وَرَهْبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبَتْهَا عَلَيْهِمْ» [الحديد: ٢٧]<sup>(٢)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجِبُ أَنْ تُؤْتَى رَخْصُهُ، كَمَا

(١) المسند ١٠٨/٢ ح: ٥٨٧٣ وأخرجه كذلك ابن خزيمة ٣/٢٥٩ وابن حبان ٦/٥١

وغيرهم عن ابن عمر بسند صحيح على شرط مسلم، كما في صحيح الترغيب (١/٢٥٦).

(٢) ص ٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود، باب في الحسد ٤/٢٨ ح: ٤٩٠٦، والمقدسي في المختارة ٢/٤٧٠ =



يحب أن تؤتى عزائمهم»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: «هلك المتنطعون»<sup>(٢)</sup>.

نعم يوجد من خيار العباد ذوي الجِدِّ والاجتهاد من لا يأخذون إلا بالعزائم، لا زهداً في المأثور، ولا رغبةً عن المرخص فيها المبرور، بل تربيةً للنفس على الأفضل وأخذاً بها إلى الأمثل والأكمل، وهو ما يسميه الفقهاء بالاحتياط والخروج من الخلاف، إثاراً لما يكون فيه إجماع وائتلاف، وأصله ما صحَّ في السنة «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم الليل حتى ترم قدماه فليل له: أتكلّف هذا»<sup>(٣)</sup>.

وذكر الشيخ الألباني رحمته الله<sup>(٤)</sup> أنَّ الشدة شرٌّ لا تأتي إلا بالشرِّ، ولذلك

= وغيرهما عن أنس رضي الله عنه. انظر: السلسلة الصحيحة ٣١٢٤.

(١) رواه البزار كما في المجمع ٣/ ٢١١ والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٣٢٣ وابن حبان ٢/ ٦٩، وحسنه المنذري ٢/ ٨٨ عن ابن عباس، وورد عن جماعة من الصحابة. وهو حديث صحيح مخرج في إرواء الغليل (٥٥٧).

(٢) أخرجه مسلم كتاب العلم باب هلك المتنطعون، ٤/ ٢٠٥٥ ح: ٢٦٧٠، عن ابن مسعود.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب سجود القرآن، باب الصبر عن محارم الله ١/ ٣٨٠ ح: ١٠٧٨ ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ٤/ ٢١٧١ ح: ٢٨١٩، عن المغيرة.

(٤) الرد المفحم (١/ ١٤٦).

تكاثرت الأحاديث وتنوّعت عباراتها في التحذير منها، كقوله ﷺ: «إنّ الدين يسرٌّ، ولن يشادّ الدين أحدٌ إلّا غلبه، فسددوا وقاربوا...»<sup>(١)</sup>.

قوله ﷺ: «إياكم والغلوّ في الدّين، فإنّما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدّين»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «لا تشدّدوا على أنفسكم، فإنّما هلك من قبلكم بتشديدكم على أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصّوامع والديّارات»<sup>(٣)</sup>.

وأبان الشيخ في كتبه عن الرّخصة في الفطر للحامل والمرضع<sup>(٤)</sup>، والرخصة في المسح على الجوربين والنّعلين<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك مما جاءت السنة فيه.

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب الدين يسر وقول النبي ﷺ أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة ٢٣/١ ح: ٣٩ عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه ابن ماجه كتاب المناسك باب قدر حصي الرمي ١٠٠٨/٢ ح: ٣٠٢٩ وأحمد ٣٤٧/١ وابن خزيمة ٢٧٤/٤ وابن جبان ١٠١١ والحاكم ٦٣٧/١ والضياء ٨٤/٤ وغيرهم، عن ابن عباس، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٢٨٣).

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الطب، باب في الحسد ٤٢٨/٤ ح: ٤٩٠٦، والمقدسي ٤٧٠/٢ وغيرهم، وهو مخرج في «الصحيحة» (٣١٢٤).

(٤) انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١٩/٤).

(٥) ينظر تحقيقه لكتاب: «المسح على الجوربين والنعلين» للقاسمي، وما أضافه: «تمام النصح»

## ٥ - سماحة الإسلام.

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينٌ سَمَاحَةٌ وَيُسْرٌ، قَالَ - تعالى - : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٨٥ - ١٨٦].

فَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَىٰ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿ [البقرة: ١٨٥ - ١٨٦].

وقد ذكر الشيخ الألباني رحمته الله عدة أحاديث تدل على يسر الإسلام

وسماحته، منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سئل النبي ﷺ أي الأديان أحب إلى الله ﷻ؟ قال: الحنيفية السمحة»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا الدين يسر، ولن

= في أحكام المسح».

(١) أخرجه أحمد ٢٣٦/١ والطبراني في «الكبير» ٢٢٧/١ والبخاري في المجمع ٥٠/١ وغيرهم، ورجاله ثقات لكن ابن إسحاق مدلس وقد عنعنه، وله شواهد تقويه خرّجها الشيخ في «تمام المنة في التعليق على فقه السنة» ص ٣٨.

يشاد هذا الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدلجة»<sup>(١)</sup>.

ومن وحي هذه النصوص الشرعية كان الشيخ يحثُّ على التيسير على العامة، وقد قال في كتابه: «مناسك الحج والعمرة»:

«ومما ينبغي على الداعية أن يلتزمه التيسير على الناس عامة، وعلى الحجاج خاصة؛ لأنَّ التيسير أصلٌ من أصول الشريعة السمحة، كما هو معلوم. ما دام أنه لا نصٌّ على خلافه، فإذا جاء النصُّ لم يجز التيسير بالرأي، وهذا هو الموقف الوسط العدل الذي يجب على كل داعية أن يلتزمه، ولا عبرة بعد ذلك بأقوال الناس واعتراضاتهم، وقولهم: شدد أو سهل؟».

كما بين الشيخ رحمه الله أنَّ إعمال العقل في أمور الدنيا وأخذ علومها من الأمم الأخرى أمرٌ مطلوبٌ بضوابط، فقال عندما سئل عن أخذ العلوم الدنيوية من غير المسلمين:

«إنَّ العلوم المختلفة عامةٌ شاملةٌ لدى الأمم الأخرى، ولا يمكن أن نهمل أو نطرح ما يأتي به الأجانب وغير المسلمين من تقدُّمٍ علميٍّ، أو تفوقٍ حضاريٍّ في بعض العصور؛ لأنَّ العلم الدنيوي غير خاصٍّ بالمسلمين، والعقل الإنساني

(١) تقدم تخرجه.

يعمل، والأمم الأخرى تعمل وتنهض، والحضارة والتقدم العلميّ الدينيّ كما يقال: متداول بين الأمم، فيومٌ يكون الحكم لهذه الأمة ويوم لتلك، وهي جميعاً تسير وتعمل وتبني هذه الحضارة المادية، في ناحية العلم لم يخرج علينا ربنا ﷺ أن نأخذ عنهم العلم الدينيّ المحض الصناعيّ، الذي يفيد، مثلاً: علم الزراعة، وعلم الكيمياء، وعلم الفيزياء، والفلك، ولكن شريطة ألا يخالف شيءٌ من هذه العلوم ومن هذه المبتكرات ما جاءنا به الإسلام الخفيف؛ لأنّ هناك من مبتكرات العلم ومن نظرياته أموراً قد نجد لها تخالف الإسلام فلا يجوز أن نقبلها؛ لأنّ الإسلام حقٌّ لا يتطرق إليه الرّيب والشك، أمّا هذه العلوم فهي من فعل بشرٍ، وهي من صفات أناسٍ يحتملون الخطأ والصواب، ولا يخلون من أغراض ومن أهواء، فلذلك إذا اصطدم النصُّ الشرعيُّ الواضح الصريح القطعيّ بنظريّة علميّة، أو أفكارٍ خبيثة فيجب أن تكون ثقتنا بما جاء عن الله ورسوله لا غير، فيجب أن نقدمهم على هذه الأمور التي تأتينا من آخرين.

ثم قال: «لا حرج من قبول هذه العلوم بهذا الشّكل، وعمدتنا في ذلك قول النبي ﷺ في الحديث المشهور الذي هو حديث تأبير النّخل، وخلاصته<sup>(١)</sup>

(١) كان هذا من حفظ الشيخ رحمه الله، ولفظ الحديث كما في مسند أحمد ١٥٢/٣ عن أنس قال: سمع رسول الله ﷺ أصواتاً فقال: ما هذا؟ قالوا: يلقحون النّخل، فقال: لو تركوه فلم =

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما جاء المدينة وجد أهل المدينة يؤبرون النخل، فسألهم عما يفعلون، فقالوا: شيءٌ اعتدنا عليه، فقال: لو لم تفعلوا لكان خيراً، فتركوه، فنقصت ثمرته، فأخبروا النَّبِيَّ ﷺ بذلك فيما بعد فقال: إذا حدثتكم عن أمرٍ من أمور دينكم فخذوا به، وإذا حدثتكم عن أمرٍ من أمور دنياكم فأنتم أعلم بأمور دنياكم» أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-<sup>(١)</sup>.

إذاً: هناك أمران من الأمور: أمورٌ دينيَّةٌ تتضمَّن العقائد، والأخلاق، والأفكار، والتَّصورات، والقيم، والثَّقافة، والأدب، فهذه يجب ألا نقبلها إلا عن

=يلقحوه لصلح، فتركوه فلم يلحقوه فخرج شيصاً، فقال النبي ﷺ: ما لكم؟ قالوا: تركوه لما قلت. فقال رسول الله ﷺ: «إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، فإذا كان من أمر دينكم فإليّ».

والحديث في صحيح مسلم ٤/١٨٣٦ ح: ٤٣٦٣ عن أنس أن النَّبِيَّ ﷺ مرَّ بقوم يلحقون، فقال: لو لم تفعلوا لصلح قال فخرج شيصاً فمر بهم، فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم. والشيص: بكسر الشين المعجمة وإسكان الياء المثناة تحت وبصاء مهملة، وهو البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفاً، وقيل: أردأ البسر، وقيل: تمر رديء، وهو متقارب. شرح النووي على مسلم ٨/٨٨.

(١) هذا من احتياط الشيخ رحمه الله في تحري ألفاظ رسول الله ﷺ، وهو ما كان عليه سلف الأمة فعن أنس بن مالك أنه كان إذا حدث عن النبي ﷺ حديثاً، كان يقول: أو كما قال. التمييز للإمام مسلم ص ١٠.



طريق كتابنا، وألا نأخذها إلا من طريق الوحي الصادق الصحيح الذي جاء به  
- عليه الصلاة والسلام -.

وهناك أمورٌ دنيويةٌ بحثٌ واجتماعيةٌ وعلميةٌ، فيجوز أن نأخذها منهم، بل  
يجب، لكن بالشَّرْطِ السَّابِقِ ألا نأخذ ما يخالف ما جاءنا به الوحي الصادق، وعن  
طريق خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام».

\*\*\*

## المبحث الثاني

### إبرازة لمعالم الرحمة في النهي عن الافتراق

لقد حث الإسلام على الوحدة والاجتماع، فقال - تعالى - ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ وذلك لما يعود على الأمة من الفرقة والاختلاف من ضعفٍ وهوانٍ، كما قال - تعالى - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٧].

والخلاف واقعٌ في الأمة، لقول رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود كتاب السنة باب شرح السنة ٤/ ٣٢٣ ح: ٤٥٩٨، والترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق الأمة ٥/ ٢٥ ح: ٢٦٤٠ وابن ماجه كتاب الفتن باب افتراق الأمم ٢/ ١٣٢٢ ح: ٣٩٩٣ وأحمد ٣/ ١٢٠ وغيرهم، والحديث صحيح، له طرقٌ عديدةٌ عن جمعٍ من الصحابة، وصحَّحه جمعٌ من الحفاظ. انظر: السلسلة=



ومن رحمة النبي ﷺ بأُمَّته أَنْ أرشدهم إلى المخرج، وسبيل النّجاة عند الافتراق، إذ روى العَرَبَاضُ بن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، ثم أَقْبَلَ علينا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً، ذَرَفَتْ منها العيونُ وَوَجَلَتْ منها القلوبُ، فقال قائلٌ: يا رسولَ الله كأنها مَوْعِظَةٌ مُودِّعٍ! فماذا تَعْهَدُ إلينا؟ فقال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مِنْ يَعْشُ مِنْكُمْ بَعْدِي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ؛ تَسْكُوبُوا بها وَعَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ وإياكم ومُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنْ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً، وزاد في حديثه: «فقد تركتكم على البيضاء

=الصحيحة ٢٠٣.

(١) أخرجه أبو داود كتاب السنة باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠٠-٢٠١ ح: ٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥/ ٤٤-٤٥ ح: ٢٦٧٦)، وابن ماجه كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ١٥-١٦ ح: ٤٢)، والحاكم ١/ ١٧٤، وغيرهم، عن العرباض بن سارية، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ليس له علة. وقال البغوي في شرح السنة: هذا حديث حسن (١/ ٢٠٥) كما صححه الضياء المقدسي في «جزء اتباع السنن واجتناب البدع» والهروي في «ذم الكلام». وللمزيد انظر: «السلسلة الصحيحة» ٢٧٣٥.

ليُلهَا كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالكٌ»<sup>(١)</sup> وهي زيادةٌ ثابتةٌ صحيحةٌ.  
ومن رحمة النبي ﷺ وشفقته على أمته أنه لما أخبر عن الافتراق، وأنه واقعٌ لا محالة، لم يترك الناس حيارى، فأخرجهم من هذه الحيرة وأرشدهم ﷺ إلى الخلاص وإلى المخرج من هذه الفتنة، فقال ﷺ بعدما قال ما قال: «وإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً» وقال ﷺ: «فعلیکم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»، فالتمسك بالكتاب والسنة هو المخرج من الاختلاف، ومن الفرقة ومن التنازع.

ولقد أكد العلامة الألباني على التمسك بالسنة والاعتصام كثيراً في كتبه ودعوته، كما حذر من العصبية المذهبية التي يصاحبها التفرق، وتكلم على حديث «اختلاف أمتي رحمة» وأبان أنه لا أصل له<sup>(٢)</sup>، وأن معناه مستنكرٌ عند المحققين من العلماء، وأنه مخالفٌ للقرآن الكريم، لما فيه من الآيات التي تنهى عن الاختلاف في الدين، وتأمّر بالاتفاق فيه، وأنها أشهر من أن تُذكر، وذكر منها قول الله - تعالى - : ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِجْهُمُ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا

(١) المسند ٣٦٧/٢٨.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ١/ ١٤١.

شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ [الروم: ٣١ - ٣٢]. وقوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿ [هود: ١١٨ - ١١٩].

ثم قال: «إذا كان من رحم ربك لا يختلفون، وإنما يختلف أهل الباطل؛ فكيف يعقل أن يكون الاختلاف رحمة؟! فثبت أن هذا الحديث لا يصح؛ لا سنداً ولا متناً، وحينئذ يتبين بوضوح أنه لا يجوز اتخاذه شبهة للتوقف عن العمل بالكتاب والسنة، الذي أمر به الأئمة»<sup>(١)</sup>.

كما نقل عن ابن حزم رحمه الله<sup>(٢)</sup> بعد أن أشار إلى أنه ليس بحديث: وهذا من أفسد قول يكون ح لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً، وهذا ما لا يقوله مسلم؛ لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف، وليس إلا رحمة أو سخط.

وانتقد الألباني بحزم جهل بعض المتأخرين الذين جعلوا المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة! حيث جعلوا كثيراً من المساجد فيها أربعة محاريب، يصلي فيها أربعة من الأئمة<sup>(٣)</sup>! ولكل منهم جماعة ينتظرون الصلاة مع إمامهم، كأنهم أصحاب أديان مختلفة! وكيف لا وعالمهم يقول: إن مذاهبهم كشرائع

(١) أصل صفة صلاة النبي ﷺ ٣٩ / ١.

(٢) «الإحكام في أصول الأحكام» ٦٤ / ٥.

(٣) وكانت هذه أيضاً في الحرم المكي إلى أن أزالها الملك الفذ عبدالعزيز بن سعود رحمه الله.

متعددة! يفعلون ذلك وهم يعلمون قوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»<sup>(١)</sup>، ولكنهم يستجيزون مخالفة هذا الحديث وغيره محافظة منهم على المذهب، كأن المذهب معظم عندهم، ومحفوظ أكثر من أحاديثه - عليه الصلاة والسلام -!

وذكر الشيخ رحمه الله أن الاختلاف مذموم في الشريعة، فالواجب محاولة التخلص منه ما أمكن؛ لأنه من أسباب ضعف الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، أما الرضا به وتسميته رحمة فخلاف الآيات الكريمة المصروفة بدمه، ولا مستند له إلا هذا الحديث الذي لا أصل له عن رسول الله ﷺ.

ونقل عن المزني صاحب الإمام الشافعي - رحمهما الله - : «وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ؛ فخطأ بعضهم بعضاً، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها، ولو كان قولهم كله صواباً عندهم؛ لما فعلوا ذلك، وغضب عمر بن الخطاب من اختلاف أبي بن كعب وابن مسعود في الصلاة في الثوب الواحد؛ إذ قال أبي: إن الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل. وقال ابن مسعود: إنما كان

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع

ذلك والشباب قليلة. فخرج عمر مغضباً، فقال: اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن ينظر إليه، ويؤخذ عنه! وقد صدق أبيّ، ولم يأل ابن مسعود، ولكني لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا؛ إلا فعلت به كذا وكذا<sup>(١)</sup>.

وذكر الشيخ أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينكرون الاختلاف، ويفرون منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وأن الصحابة رضي الله عنهم مع اختلافهم المعروف في الفروع كانوا محافظين أشد المحافظة على مظهر الوحدة، بعيدين كل البعد عما يفرق الكلمة، ويصدع الصنفوف؛ فقد كان فيهم - مثلاً - من يرى مشروعية الجهر بالبسملة، ومن يرى عدم مشروعيتها، وكان فيهم من يرى استحباب رفع اليدين، ومن لا يراه، وفيهم من يرى نقض الوضوء بمس المرأة، ومن لا يراه؛ ومع ذلك فقد كانوا يصلّون جميعاً وراء إمام واحد، ولا يستنكف أحد منهم عن الصلاة وراء الإمام لخلاف<sup>(٢)</sup>.

كما حذر الشيخ من العصبية إذ سمعته في أحد مجالسه يقول ما معناه: «.. وإن كانت العصبية المذهبية ذهبت أو لم توجد في بعض هؤلاء، فقد حل محلها عصبية عصرية أخرى ألا وهي العصبية للأحزاب والجماعات».

(١) جامع بيان العلم ٢/ ٨٤.

(٢) أصل صفة صلاة النبي ﷺ ١/ ٤٥.

﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلْ لِلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ  
لِيَجْمَعَٰكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ ﴾  
[الأنعام: ١٢].

ولم تكن هذه فترة مؤقتة من حياته المباركة ﷺ ليجمع العبيد والضعفاء حوله  
فيتقوى بهم، أو ليكثر أتباعه، بل كانت آخر وصيته ﷺ، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت:  
إنه كان عامّة وصيّة نبيّ الله ﷺ عند موته: «الصلاة، الصلاة، وما ملكت  
أيمانكم» حتى جعل نبي الله ﷺ يلجلجها في صدره، وما يفيض بها لسانه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه أحمد ٣١٥ / ٦، وإسناده صحيح كما في «إرواء الغليل» (٢٣٨ / ٧).

### المبحث الثالث

#### إبرازه لمعالم رحمة الإسلام ونبيه بالمرأة

لقد أكرم الإسلام المرأة أيّما إكرام، بل لم تحطّ في دين من الأديان، ولا في زمنٍ من الأزمان مثل ما حظيت به في دين الإسلام، وسنة نبيّ الرحمة ﷺ.

ولقد اعتنى العلامة الألباني رحمه الله بإبراز معالم الرحمة بالمرأة من خلال القول والعمل، بتدريسه للنساء لكتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري، في دروس خاصّة لهنّ، وهذا أسوة برسول الله ﷺ، لما روى البخاري<sup>(١)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدّم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: واثنين». ولهذا بوّب البخاري بباب: «هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم».

كما صنّف الشيخ كتاباً في «آداب الزفاف»، وصنّف كتاب «حجاب المرأة

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب، هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم ٥٠/١ ح:

المسلمة»، وكتاب «الجلباب»، وحقق كتاب «المرأة المسلمة» لحسن البنا.  
ويؤكد الشيخ أن المرأة في الحقوق في دين الإسلام كالرجل ولا فرق، إلا  
ما خصّه الشارع الحكيم فيقول: «الأصل أن كل ما يجب للذكور وجب للإناث،  
وما يجوز لهم جاز لهن ولا فرق، كما يشير إلى ذلك قوله ﷺ: «إنما النساء شقائق  
الرجال»، رواه الدارمي وغيره<sup>(١)</sup>، فلا يجوز التفريق إلا بنص يدل عليه.  
وعلق على كتاب «حقوق النساء في الإسلام، وحظهن من الإصلاح  
المحمدي العام» للشيخ محمد رشيد رضا.

وهذا الكتاب له أهمية كبيرة؛ لأنه تناول في وقته حالة النساء قبل البعثة  
المحمدية، وما جاء به محمد ﷺ من الإصلاح بها، ويبين حقوق النساء في  
التعليم والتأديب، وأن النبي ﷺ كان يحث أصحابه على تعلم الكتابة، وقد أمر  
الله بها في آية الدين، وقد ثبت<sup>(٢)</sup> من عدة طرق أن الشفاء بنت عبد الله المهاجرة

---

(١) أخرجه ابن الجارود حديث ٩٠ وأبو داود كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة  
(١/ ٦١ ح: ٢٣٦) والترمذي كتاب الطهارة باب فيمن يستيقظ فيرى بطلاً ولا يذكر  
احتلاماً (١/ ١٨٩-١٩٠ ح: ١١٣)، وأحمد (٤٣/ ٢٦٤-٢٦٥) عن عائشة. انظر: السلسلة  
الصحيحة ٢٨٦٣.

(٢) علق عليه الألباني بقوله: «وكان ذلك بإقرار النبي ﷺ إياها على ذلك، والحديث إسناده  
صحيح كما حققته في الأحاديث الصحيحة رقم ١٧٨».



القرشية العدوية علّمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة». وأثبت الشيخ رشيد رضا أنّ الإصلاح الذي جاء به الإسلام في شأن المرأة لا يساويه دين آخر ولا مصلح آخر، حتى نستطيع أن نقول بأنّ نبينا محمداً ﷺ هو مصلح النساء الأعظم، والخير كلّ الخير في الاهتداء بالإصلاح الإسلامي التام.

ولقد حرّر الشيخ الألباني مسألة تعليم النساء الكتابة تحريراً أكّد فيه على حقهنّ في ذلك؛ لأنهن شقائق الرجال، عندما ذكر حديث: «أرقيه، وعلمّيهما حفصة، كما علمتيها الكتاب»، وفي رواية: «الكتابة»<sup>(١)</sup> في «السلسلة الصحيحة» عندما قال:

«في الحديث فوائد كثيرة أهمها اثنتان:

الأولى: مشروعية ترقية المرأة لغيره بما لا شرك فيه من الرقى، بخلاف طلب الرقية من غيره فهو مكروهٌ لحديث: «سبقك بها عكاشة» وهو معروفٌ مشهورٌ.

والأخرى: مشروعية تعليم المرأة الكتابة. ومن أبواب البخاري في الأدب

---

(١) أخرجه أحمد ٣٧٢/٦ وأبو داود كتاب الطب باب ما جاء في الرقى ١٣/٤ ح: ٣٨٨٩ وغيرهما.

المفرد»<sup>(١)</sup>: «باب الكتابة إلى النساء وجوابهن».

ثم روى بسنده الصحيح عن موسى بن عبدالله قال: «حدثتنا عائشة بنت طلحة قالت: قلت لعائشة، وأنا في حجرها، وكان الناس يأتونها من كل مصر، فكان الشيوخ يتتابون لمكاني منها، وكان الشباب يتأخون فيهدون إلي، ويكتبون إلي من الأمصار، فأقول لعائشة: يا خالة هذا كتاب فلان وهديته. فتقول لي عائشة أي بنية! فأجيبه وأثيبه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك، قالت: فتعطيني»!.

ثم قال: «والحق أن الكتابة والقراءة نعمة من نعم الله -تبارك وتعالى- على البشر، كما يشير إلى ذلك قوله ﷺ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ - ٥]»، وهي كسائر النعم التي امتنَّ الله بها عليهم، وأراد منهم استعمالها في طاعته، فإذا وجد فيهم من يستعملها في غير مرضاته، فليس ذلك بالذي يخرجها عن كونها نعمة من نعمه، كنعمة البصر والسمع والكلام وغيرها، فكذلك الكتابة والقراءة، فلا ينبغي للآباء أن يجرموا بناتهم من تعلمها، شريطة العناية بتربيتهن على الأخلاق الإسلامية، كما هو الواجب عليهم بالنسبة لأولادهم الذكور أيضاً، فلا فرق في هذا بين الذكور والإناث.

---

(١) (رقم ١١١٨).

والأصل في ذلك أن كل ما يجب للذكور وجب للإناث، وما يجوز لهم جاز  
لهن ولا فرق، كما يشير إلى ذلك قوله عليه السلام: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>، رواه  
الدَّارِمِيُّ وغيره، فلا يجوز التَّفْرِيقُ إِلَّا بِنَصٍّ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وهو مفقودٌ فيما نحن فيه،  
بل النَّصُّ عَلَى خِلَافِهِ، وعلى وفق الأصل، وهو هذا الحديث الصحيح، فتشَبَّثَ  
به، ولا ترض به بديلاً، ولا تُصْغِرِ إِلَى مَنْ قَالَ: مَا لِلنِّسَاءِ وَلِلْكِتَابَةِ وَالْعِمَالَةِ  
وَالْخُطَابَةِ، هَذَا لَنَا وَلِهِنَّ مِمَّا أَنْ يَبْتَنَى عَلَى جَنَابَةٍ! فَإِنَّ فِيهِ هُضْماً لِحَقِّ النِّسَاءِ وَتَحْقِيراً  
لهن، وهنَّ كما عرفت شَقَائِقُ الرِّجَالِ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإنصاف  
والاعتدال في الأمور كلها.

كما أن من الرَّحْمَةِ بِالنِّسَاءِ التَّوَسُّعُ عَلَيْهِنَ فِي الزَّوْجِ وَالْعِيدِ.  
إقراره أهله على سماع الغناء المباح من الجارية يوم العيد، والنَّظَرُ إِلَى اللَّهِوَ  
المباح:

يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا صَحَّ عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّهَا قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ  
اللَّهِ وَعِنْدِي جَارِيتَانِ تُغْنِيَانِ بِغِنَاءٍ بُعَاثَ؛ فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ،  
فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَأَقْبَلَ  
عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «دَعِيهَا». فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزَتْهُمَا فَخَرَجَتَا، قَالَتْ: وَكَانَ

(١) تقدم تخريجه.

يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحَرَابِ، فَإِنَّمَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا قَالَ: «تَشْتَهِيَنَّ تَنْظُرِينَ». فَقَالَتْ: نَعَمْ. فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَيَقُولُ: «دُونَكُمْ بَنِي أَرْفَدَةَ». حَتَّى إِذَا مَلَلْتُ قَالَ: «حَسْبُكَ!». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «فَاذْهَبِي»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث جواز النَّظَرِ إِلَى اللَّهِو المباح، وفيه حُسْنُ خَلْقِهِ ﷺ مع أهله، وكرم معاشرته»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العيدين باب الحراب والدراق يوم العيد ٣٢٣/١ ح: ٩٠٧.

(٢) فتح الباري (١/٥٤٩).

## المبحث الرابع

### إبرازه لمعالم الرحمة بالأطفال

لقد حرصت شريعة الإسلام ونبيّ الرحمة ﷺ على شؤون الطُّفل، منذ ولادته بل قبل ذلك، من حين اختيار كلّ من الزَّوجين للآخر، فعن أبي حاتم المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ»، قالوا: يا رسول الله! وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مراتٍ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة ؓ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدِّين تربت يداك»<sup>(٢)</sup>، إذ هما الأصل في

(١) أخرجه الترمذي كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه/ ٣٩٥ ح: ١٠٨٥، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب وأبو حاتم المزني له صحبة ولا نعرف له عن النبي ﷺ غير هذا الحديث». وقال الألباني: حسن لغيره. انظر للمزيد: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» (٢٦٦/٦) و«السلسلة الصحيحة» (١٠٢٢).

(٢) متفقٌ عليه: أخرجه البخاري كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين ١٩٥٨/٥ ح: ٤٨٠٢، ومسلم كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين ١٠٨٦/٢ ح: ١٤٦٦.

الذرية وتوجيهها، وقد صنّف الشَّيْخ كتاباً خاصّاً في «آداب الزفاف»، وما يتعلّق بالعروسين، وحقوق كلّ منهما على الآخر، والآداب المتعلّقة بهما، وهذا من رحمة الشَّرع فيهما، بأن يعرف المرء حدود واجباته، ولا يكلف فوقها.

وإنَّ مِنْ عناية الإسلام بالمولود أن شرع العقيقة عنه، لما في حديث سمرة -رضي الله عنه- أن نبيَّ الله ﷺ كان يقول: «كُلُّ غلامٍ مرتين بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويأط عنه الأذى ويسمّى»<sup>(١)</sup>، وكان ابن سيرين يقول: «إنَّ لم يكن إمطة الأذى حلق الرأس فلا أدري ما هو؟»<sup>(٢)</sup>.

ويأمر الإسلام بالعدل بين الأطفال جميعاً، الذكور والإناث؛ لأنَّ العدل أساس الرِّحمة، وقد قال ﷺ كما في حديث النُّعمان بن بشير: «اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم»<sup>(٣)</sup>، وقال الألباني رحمه الله: «إنَّ

(١) أخرجه أحمد ١٧/٥ ح: ٢٠٢٠١ وابن ماجه كتاب الذبائح باب العقيقة ١٠٥٦/٢

ح: ٣١٦٥، وأحمد ١٧/٥ وابن الجارود ١/٢٢٩ وغيرهم. انظر: الإرواء ١١٦٥.

(٢) انظر: الإرواء ١١٧١.

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الإجارة باب في الرجل يفضل بعض ولده في النحل (٣/٣١٧ ح:

٣٥٤٦) والنسائي كتاب النحل باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير في

النحل (٦/٢٦٢ ح: ٣٦٨٧) وأحمد (٤/٢٧٥). وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة

العدل المذكور بين الأولاد واجباً».

ومن رحمة الإسلام بالأطفال أنه عند بكائهم في صلاة الجماعة في المسجد، يخفف نبي الرحمة ﷺ صلاته لأجلهم، كما في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «جَوَزَ ﷺ ذات يومٍ في الفجر (وفي حديث آخر: صلى الصبح، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن)، ف قيل: يا رسول الله! لم جَوَزْتَ؟ قال: «سمعت بكاء صبيٍّ<sup>(١)</sup>، فظننت أن أمّه معنا تصلي؛ فأردت أن أُفرِّغَ له أمّه».

وما لا شك فيه أن اصطحاب الأطفال للمساجد ومجالس الذكر والعلم مما يستفيد منه الطفل، ويتأثر الطفل الصغير، ولو في المهد، بما يسمع ويرى، وهذا يؤيِّده علماء النفس الحديث، وأمّا كبار الأطفال فتأثرهم بذلك واضحٌ مسلمٌ<sup>(٢)</sup>.

يقول العلامة الألباني في هذا الحديث وأمثاله: جوازُ إدخال الصِّبيان المساجد، وأمّا الحديث المتداول على الألسنة: «جنَّبوا مساجدكم صبيانكم...» الحديث، فضعيفٌ، لا يحتجُّ به اتِّفاقاً. وممن ضَعَّفَه ابن الجوزي، والمنذري، والهيثمي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والبوصيري، وقال عبد الحقِّ الإشبيلي:

(١) أي: خفف.

(٢) انظر: الثمر المستطاب ١/ ٧٦٢.

«لا أصل له»<sup>(١)</sup>.

ومن حرص الألباني رحمه الله على العناية بتربية الأطفال تحقيقه لرسالة «لفتة الكبد في نصيحة الولد» للإمام ابن الجوزي، وهي رسالةٌ بديعةٌ يوصي فيها ابن الجوزي ولده بالحرص على طلب العلم، ومما لا شكَّ فيه أنَّ من الرَّحمة بالأمَّة وبالأبن تعليمه، ودلالته على الأخلاق، وينابيع الخير وطرق الهداية.

\* \* \*

---

(١) صفة صلاة النبي ﷺ الأصل ص ٣٩١.



## المبحث الخامس

### إبرازه لمعالم الرحمة في الأخلاق

لقد تجلّت هذه المعالم لدى شيخنا رحمته الله من خلال الأحاديث المتعددة الدالة على مكارم الأخلاق وفضائلها، وفي التحذير من مساوئ الأخلاق ورذائلها، ولعلّ من أجمع الكتب التي اعتنى بها الألباني في ذلك كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري رحمته الله، حيث تولّى الألباني شرحه، وكتاب: «الشّمايل المحمديّة» للإمام الترمذي الذي تولّى اختصاره وتهذيبه، وهذه بعض الجوانب مما أبرزها الشيخ رحمته الله من معالم الرحمة في الأخلاق:

#### تقرير الأخوة الإسلاميّة ونبد العصبية القومية:

لقد رفع الإسلام من شأن كرامة الإنسان وحقوقه، وحضّ كلّ إنسانٍ أن يتخلّق بأخلاقٍ حميدة، وأن يتجنّب من الأخلاق السيّئة، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً»<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: «بعثت لأتمّم حُسن الأخلاق»<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: «الرّاحمون يرحمهم الرّحمن، ارحموا من في الأرض،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ١٣٠٥/٣ ح: ٣٣٦٦، وأخرجه مسلم ٤/١٨١٠ ح: ٢٣٢١.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٨١ والحاكم ٢/٦٧٠ وابن أبي شيبة ٦/٣٢٤ وغيرهم. وقال الحاكم: =

يرحمكم من في السماء»<sup>(١)</sup>.

ولأخوة الإسلام منزلةً خاصّةً، ذكر الشيخ طائفةً منها: قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(٣)</sup>، وقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضاً، ثم شبَّك بين أصابعه»<sup>(٤)</sup>.

= هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. انظر السلسلة الصحيحة ٤٥.

(١) أخرجه أبو داود ٤/٤٤٠ ح: ٤٩٤٣، والترمذي ٤/٣٢٣ ح: ١٩٢٤ وغيرهم. وقال: هذا حديث حسن صحيح والحاكم ٤/١٧٥ وصححه ووافقه الذهبي. وذكره الألباني في الصحيحة، ٩٢٥.

(٢) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/١٩٩٩ ح: ٢٥٨٦.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٤/١ ح: ١٣ ومسلم كتاب الإيمان باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/١٢١٩ ح: ١٥٩٩.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري المساجد باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ١/١٨٢ ح: ٤٦٧ ومسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم =

ولما ذكر الشيخ رحمه الله حديث جابر رضي الله عنه الذي كان في حجة الوداع، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنَكُمُ﴾»، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فيبلغ الشاهد الغائب»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: «وهذا الحديث من النصوص الدالة على نظرة الإسلام إلى الناس عموماً، بأن لا فرق بينهم ولا مفاضلة، وهذا نابغ من قوله - تعالى -: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنَكُمُ﴾، مهما تباعدت اللغات وتباينت الألوان؛ لأن المعيار الحق إنما يكون في تقوى الله عز وجل.

كما أبان الشيخ الألباني<sup>(٢)</sup> أن الإسلام لا يرتبط عزه بالعرب فقط، بل قد يعزه الله بغيرهم من المؤمنين. وأنه لا تنافي أن يكون جنس العرب أفضل من

= ١٩٩٩/٤ ح: ٢٥٨٥.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٠/٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» والمحامي في «الأمال» (٢/٤٤/٤) وغيرهم بإسناد صحيح، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (ص ٦٩): «إسناده صحيح». وانظر لتفصيل تحريجه والحكم عليه: «السلسلة الصحيحة» حديث ٢٧٠٠.

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٠٤/١.

جنس سائر الأمم، بل إنَّ أفضلية جنس العرب هو الذي عليه أهل السُّنة والجماعة، ويدل عليه مجموعة من الأحاديث، منها قوله ﷺ: «إنَّ الله اصطفى من ولد إبراهيم، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: «لكنه ينبغي ألا يحمل العربي على الافتخار بجنسه، لأنَّه من أمور الجاهلية التي أبطلها نبينا محمد العربي ﷺ على ما سبق بيانه، كما ينبغي أن لا نجهل السبب الذي به استحق العرب الأفضلية، وهو ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، الأمر الذي أهلهم لأن يكونوا حملة الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأخرى، فإنَّه إذا عرف العربي هذا وحافظ عليه أمكنه أن يكون مثل سلفه عضواً صالحاً في حمل الدَّعوة الإسلامية، أما إذا تجرَّد من ذلك فليس له من الفضل شيءٌ، بل الأعجمي الذي تخلَّق بالأخلاق الإسلامية هو خير منه دون شك ولا ريب، إذ الفضل الحقيقي إنما هو أتباع ما بعث به محمد ﷺ

(١) قال الشيخ الألباني بعد أن عزاه لأحمد (١٠٧/٤) والترمذي (٣٩٢/٤) وصححه: أصله في «صحيح مسلم» (٤٨/٧) وكذا البخاري في «التاريخ الصغير» (ص ٦) من حديث واثلة بن الأسقع، وذكر له شواهد. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣٠٣/١).

من الإيمان والعلم، فكلّ من كان فيه أمكن كان أفضل، والفضل إنّما هو بالأسماء المحدّدة في الكتاب والسنة، مثل الإسلام والإيمان والبر والتقوى والعلم، والعمل الصالح والإحسان ونحو ذلك، لا بمجرد كون الإنسان عربياً أو أعجمياً، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»<sup>(١)</sup>.

### حثّه على السّاحة الماليّة:

إنّ دين الإسلام دين السّاحة واليُسْر، ومن ذلك حثّه على السّاحة في المعاملات الماليّة، وقد ذكر في ذلك أحاديث منها: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»<sup>(٢)</sup>. وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «غفر الله لرجلٍ كان قبلكم، كان سهلاً إذا باع سهلاً إذا اشترى سهلاً إذا اقتضى»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٣٠٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب السهولة والسّاحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف ٢/ ٧٣٠: ١٩٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٣/ ٦١٠ ح: ١٣٢٠، وأحمد ٣/ ٣٤٠ والبيهقي ٥/ ٣٥٧ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني في الصحيحة ١١٨١.

ولقد ذكر الشيخ الألباني من الأحاديث النبوية في إنظار المعسر، مثل حديث بريدة رضي الله عنه: «من أنظر معسراً فله بكل يوم صدقة، قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره، فله بكل يوم مثليه صدقة»<sup>(١)</sup>.

وذهب الشيخ رحمته الله في مسألة البيع بالتقسيط، مع الزيادة على سعر النقد، وهي من المسائل التي اختلف أهل الاجتهاد فيها - إلى تحريمه مستدلاً بحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من باع بيعتين في بيعة، فله أو كسهما أو الربا»<sup>(٢)</sup>.

قائلاً: «هذا ما بدا لي من طريقة الجمع بين الأحاديث والتفقه فيها، وما اخترته من أقوال العلماء حولها، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، والله أسأل أن يغفره لي، وكلّ ذنب لي».

ثم قال: «واعلم أخي المسلم! أن هذه المعاملة التي فشت بين التجار اليوم،

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ١٢٦: رواه أحمد (٣٦٠/٥) وإسناده صحيح رجاله ثقات محتج بهم في «صحيح مسلم». ثم رأيت في «المستدرک» (٢/ ٢٩) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي فأخطأ، لأن سليمان هذا لم يخرج له البخاري، وإنما الذي أخرج له الشيخان هو أخوه عبدالله بن بريدة.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١١١٠) والحاكم (٤٥/٢) والبيهقي (٣٤٣/٥) وسنده حسن، وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وابن حزم في «المحلّى» (٩/ ١٦) وغيرهم وراجع السلسلة الصحيحة ٢٣٢٦ وأنظرها للمزيد من فقه هذا الحديث.

وهي بيع التقسيط، وأخذ الزيادة مقابل الأجل، وكلّما طال الأجل زيد في الزيادة، إنّ هي إلا معاملة غير شرعيّة من جهة أخرى؛ لمنافاتها لروح الإسلام القائم على التيسير على الناس والرّأفة بهم، والتّخفيف عنهم، كما في قوله ﷺ: «رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى»<sup>(١)</sup>، وقوله: «من كان هيئناً، ليئناً، قريباً حرّمه الله على النار»<sup>(٢)</sup>.

فلو أنّ أحدهم اتقى الله - تعالى -، وباع بالدين أو بالتقسيط بسعر النقد، لكان أربح له، حتى من النّاحية الماديّة؛ لأنّ ذلك مما يجعل الناس يقبلون عليه، ويشترون من عنده، ويبارك له في رزقه، مصداق قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

\*\*\*

- 
- (١) تقدم تخرجه.
- (٢) أخرجه الحاكم ٢١٥/١ وغيره، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

## المبحث السادس

### إبرازة لمعالم الرحمة بالرفق بالحيوان

إنَّ رحمة الإسلام عمَّت الحيوان أيضاً، وفي ذلك نصوصٌ عديدة، ولقد جَلَّى الشيخ رحمه الله معالم رحمة الإسلام بالحيوان وضرورة الرفق به، وأبان أنَّ الإسلام هو الذي وضع للنَّاس مبدأ الرفق بالحيوان، خلافاً لما يظنُّه بعض الجُهَّال بالإسلام أنَّه من وضع الكفار الأوربيين.

وذكر رحمه الله من الأحاديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلبٌ يطيف بركيَّة، قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها، فاستقت له به، فسقته إياه، فغُفِر لها به»<sup>(١)</sup>.

وحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَت امرأة في هرةٍ سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النَّار، لا هي أطعمتها وسقتهها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»<sup>(٢)</sup>، و(خشاش الأرض) هي

(١) عزاه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١ / ٣٥ إلى البخاري كتاب بدء الوحي ٦٧ ٣٤، ومسلم باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها ٥٥ ٢٤، والركية: بئرٌ تطو أو طويت.

(٢) «السلسلة الصحيحة» ١ / ٣٤.



الحشرات والهوام.

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه أَنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، أو قال: إني لأرحم الشاة إن أذبحها، فقال: «والشاة إن رحمتها رحمك الله»<sup>(١)</sup>.

ثم ساق عددًا من الآثار في الفرق بالحيوان وهي:  
عن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب ضرب جملًا، وقال: «لم تحمل على بعيرك ما لا يطيق؟!»<sup>(٢)</sup>.

وعن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب أَنَّ رجلاً حَدَّ شفرة وأخذ شاة ليذبحها، فضربه عمر بالدرة وقال: «أتعذّب الرّوح؟! ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها؟!»<sup>(٣)</sup>.

وعن محمد بن سيرين: أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً يجرّ شاة ليذبحها فضربه

(١) أخرجه أحمد ٤٣٦/٣ والحاكم ٢٥٧/٤ وغيرهما، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح

الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وقد ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٦.

(٢) عزاه الألباني رحمته الله في السلسلة (٣٠) إلى ابن سعد في «الطبقات» (١٢٧/٧) وقال: «سنده صحيح إلى المسيب»، ونبه على أنه وقع في الطبقات «المسيب بن دارم»، وأن الصواب «المسيب بن دارم».

(٣) أخرجه البيهقي ٢٨٠/٩.

بالدرة وقال: «سقتها - لا أم لك - إلى الموت سوقاً جميلاً»<sup>(١)</sup>.

وعن وهب بن كيسان: أن ابن عمر رضي الله عنه رأى راعي غنم في مكان قبيح، وقد رأى ابن عمر مكاناً أمثل منه، فقال ابن عمر: ويحك يا راعي حولها، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «كلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته»<sup>(٢)</sup>.

وعن معاوية بن قرة قال: كان لأبي الدرداء جمل يقال له: (دمون)، فكان إذا استعاروه منه قال: «لا تحملوا عليه إلا كذا وكذا، فإنه لا يطيق أكثر من ذلك، فلما حضرته الوفاة قال: يا دمون لا تخصمني غداً عند ربي، فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عثمان الثقفي قال: كان لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه غلامٌ يعمل على بغلٍ له، يأتيه بدرهمٍ كلَّ يومٍ، فجاء يوماً بدرهمٍ ونصفٍ، فقال: أما بدا لك؟ قال: نفقت الشُّوق، قال: لا، ولكنك أتعبت البغل! أجمه ثلاثة أيام<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ٢٨١ / ٩.

(٢) أخرجه أحمد ١٠٨ / ٢ وقال عنه الألباني سنده حسن.

(٣) أخرجه أبو الحسن الأحميمي في «حديثه» ١ / ٦٣.

(٤) عزاه الألباني في الصحيحة إلى أحمد في «الزهد» ١٩ / ٥٩ / ١ بسند صحيح إلى أبي عثمان، وذكر أن أبا عثمان لم يجد له ترجمة.

ثم قال الشيخ الألباني رحمته الله: «تلك هي بعض الآثار التي وقفتُ عليها حتى الآن، وهي تدلُّ على مبلغ تأثر المسلمين الأولين بتوجيهات النبي ﷺ في الرفق بالحيوان، وهي في الحقيقة قل من جلّ ونقطة من بحر، وفي ذلك بيان واضح أن الإسلام هو الذي وضع للناس مبدأ الرفق بالحيوان، خلافاً لما يظنه بعض الجهال بالإسلام أنه من وضع الكفار الأوربيين، بل ذلك من الآداب التي تلقوها عن المسلمين الأولين، ثم توسّعوا فيها، ونظّموها تنظيمًا دقيقاً، وتبنتها دولهم، حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم اليوم، حتى توهم الجهال أنه من خصوصياتهم! وغرّهم في ذلك أنه لا يكاد يرى هذا النظام مطبقاً في دولة من دول الإسلام، وكانوا هم أحقّ بها وأهلها!

وقد روى البخاري وغيره عن النبي ﷺ قصة ذكرها لأصحابه عن رجل سقى كلباً عطشاً، فغفر الله له. فقالوا: «يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) وتام الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب وخرج، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب فشكر الله له، فغفر له، فقالوا: يا رسول الله =

وتتناول الرّحمة بالحيوان أموراً منها ما رواه مسلم عن شداد بن أوس قال:  
ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،  
فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ،  
فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

=وإنّ لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: في كلّ ذات كبدٍ رطبة أجرٌ». أخرجه البخاري كتاب

المساقاة - الشرب باب فضل سقي الماء ٢/ ٨٣٣ ح: ٢٢٣٤.

(١) صحيح مسلم كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان باب الأمر بإحسان الذبح  
والقتل وتحديد الشفرة ٣/ ١٥٤٨ ح: ١٩٥٥.

## المبحث السابع

### إبرازه لمعالم الرحمة في عناية الإسلام بالزراعة والثروة النباتية

لقد عني الإسلام بالثروة النباتية؛ وذلك لأنها مما تقوم به الحياة، وهذا من الرحمة بالإنسان، إذ مهّدت له ما يحتاجه من طعام ونباتات وفواكه، وظلّ ظليل، ونقاعة جو، وغير ذلك، كما كانت الغذاء للحيوان، وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسَهَا»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الشيخ الألباني - رحمته الله - عدداً من الأحاديث في ذلك في مطلع السلسلة لصحيحة، وكونه اعتنى بها في مطلع كتابه إبراز لأهميتها وقد عنون لها: «حضر الإسلام على استثمار الأرض وزرعها»، ومما قاله في ذلك:

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/١٨٣، ١٨٤، ١٩١) والطيالسي (رقم ٢٠٦٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٤٧٩) وابن الأعرابي في «معجمه» عن هشام بن زيد عنه. وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وتابعه يحيى بن سعيد عن أنس. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» ٣١٦/١، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٤/٦٣) مختصراً وقال «رواه البزار ورجاله أثبات ثقات، وفاته أنه في «مسند أحمد» بآتم منه، كما ذكرناه، والفسيلة: هي النخلة الصغيرة، وهي الودية. انتهى ملخصاً من السلسلة الصحيحة (٩).

«ولا أدلّ على الحُصّ على الاستثمار من هذه الأحاديث الكريمة، لاسيما الحديث الأخير منها فإنّ فيه ترغيباً عظيماً على اغتنام آخر فرصةٍ من الحياة، في سبيل زرع ما ينتفع به النَّاس بعد موته، فيجري له أجره، وتكتب له صدقته إلى يوم القيامة، وقد ترجم الإمام البخاريُّ لهذا الحديث بقوله: «باب اصطناع المال»، ثم روى عن الحارث بن لقيط قال: «كان الرجل ممناً تنتج فرسه فينحرها، فيقول: أنا أعيش حتى أركب هذه؟ فجاءنا كتاب عمر: أن أصلحوا ما رزقكم الله، فإنّ في الأمر تنفساً»<sup>(١)</sup>.

وروى أيضاً بسندٍ صحيحٍ عن داود قال: قال لي عبدالله بن سلام: إن سمعت بالدجال قد خرج وأنت على ودية تغرسها، فلا تعجل أن تصلحه، فإنّ للنَّاس بعد ذلك عيشاً. وداود هذا هو ابن أبي داود الأنصاري قال الحافظ فيه: «مقبول».

وروى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخٌ كبيرٌ، أموت غداً، فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسنها؟ فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي. كذا في «الجامع الكبير» للسيوطي<sup>(٢)</sup>، ولذلك اعتبر بعض

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/١٦٨ وقال الألباني: سنده صحيح. انظر: الصحيحة ٩.

(٢) ج ٣/٣٣٧.

الصحابة الرَّجل يعمل في إصلاح أرضه عاملاً من عمال الله ﷻ، فروى البخاري في «الأدب المفرد»<sup>(١)</sup> عن نافع بن عاصم أنه سمع عبد الله بن عمرو قال لابن أخ له خرج من (الوهط): أيعمل عمّالك؟ قال: لا أدري، قال: أما لو كنت ثقيفاً لعلمت ما يعمل عمالك، ثم التفت إلينا فقال: «إنَّ الرجل إذا عمل مع عمّاله في داره (وقال الراوي مرةً: في ماله) كان عاملاً من عمّال الله ﷻ. وسنده حسن -إن شاء الله تعالى-.

و(الوهط) في اللغة: هو البستان، وهي أرضٌ عظيمةٌ، كانت لعمر بن العاص بالطائف على ثلاثة أميال، من (وج) يبدو أنه خلفها لأولاده. وقد روى ابن عساكر في «تاريخه»<sup>(٢)</sup> بسندٍ صحيحٍ عن عمرو بن دينار قال: دخل عمرو بن العاص في حائطٍ له بالطائف، يقال له: (الوهط) فيه ألف ألف خشبة، اشترى كلّ خشبةٍ بدرهمٍ! يعني يقيم بها الأعناب. هذه بعض ما أثمرته تلك الأحاديث في جملتها من السلف الصالح ﷺ، قد ترجم البخاري في «صحيحه» للحديثين الأولين بقوله: «باب فضل الزرع إذا أكل منه».

(١) رقم ٤٤٨.

(٢) (٢/٢٦٤/١٣).

قال ابن المنير<sup>(١)</sup>: «أشار البخاريّ إلى إباحة الزرع، وأنّ من نهى عنه، كما ورد عن عمر، فمحلّه ما إذا شغل الحرث عن الحرب ونحوه من الأمور المطلوبة، وعلى ذلك يُحمّل حديث أبي أمامة المذكور في الباب الذي بعده». انتهى.

أقول: وقد كان الشيخ الألباني رحمته الله مع سياقه لهذه النصوص والآثار معتنياً بالزرع والنبات في بيته الذي كان فيه أيّما اعتناء، كما شاهدت ذلك، وكانت الطيور ترتع في حديقة منزله، فرحمه الله وجزاه خيراً.

\*\*\*



## المبحث الثامن

### إبرازة معالم الرحمة في شؤون البيئة

لقد حذر الإسلام مما يضرُّ بالبيئة في جوانب عدة، وأبان الشيخ الألباني رحمته الله مما يضرُّ بالمجتمع، والبيئة من خلال تطبيقه للقاعدة الشرعية: «لا ضرر ولا ضرار»، فقال عندما سئل عن حكم شرب الدخان<sup>(١)</sup> هل هو محرَّم؟ وما الدليل عليه من الكتاب والسنة؟

قال رحمته الله: «لا شك في تحريم الدخان، وهو حرامٌّ لأسبابٍ كثيرةٍ: أولاً: أنَّ المدخن يضرُّ نفسه، وهذا الضرر في النفس له صورتان: ضررٌ في بدنه، وضررٌ في ماله، ثم الضرر الذي في بدنه يتعدَّى إلى غيره؛ فيصير التَّحريم يعلو ويتضاعف.

والمعصية إمَّا أن يأتي بها العاصي سرًّا، وإمَّا أن يأتي بها جهراً أمام النَّاسِ، فإذا أتى بها سرًّا فهو عاصٍ لله مرَّةً، وإذا أتى بها جهراً فهو عاصٍ لله مرَّتين، والسَّبب في ذلك أنَّ عدوى معصيته تنتقل إلى غيره، فيتضرَّر الغير بمعصيته في نفسه.

(١) دروس للشيخ الألباني المفرغة رقم ٤٤.

ثانياً: كذلك الدُّخان الذي يشربه الإنسان لا يكتفي بأنَّه يضرُّ نفسه وماله، بل يتعدَّى في ضرره إلى غيره، وهذا الذي يسمَّى في لغة العرب: الإضرار ما يتعلق بنفسه الضرر، وما يتعلق بغيره الإضرار، ولذلك قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»<sup>(١)</sup>، فلا يجوز للمسلم أن يضرَّ نفسه فضلاً عن أن يضرَّ غيره.

فشارب الدُّخان جمع الخبيثتين: خبيثة الإضرار بنفسه على التفصيل السَّابق مادياً وبدنياً، وخبيثة الإضرار بالغير، لا أعني هنا بالإضرار بالغير كالذي يعلن شرب الدُّخان أمام النَّاس، هذا واضح، لكنَّه بهذا الدخان الذي يبثُّه في الجوّ الصَّافي النَّقي يضرُّ الآخرين، ومعلوم الآن من الأخبار والمجلات الطَّيِّبة، أنَّ سبب إضرار الدُّخان في بدن متعاطيه إنما يعود إلى المادة الكميَّنة فيه، وهي التي يسمُّونها بالنيكوتين، يقولون: هذا الدخان الذي ينفته شارب الدُّخان وفيه مادة النيكوتين، فهؤلاء الأبرياء الذين طهَّروا الله من شرب الدخان، مكرهون من هذا الشَّارب أن يشموا، وأن يبلعوا رغم أنوفهم شيئاً من مادة النيكوتين هذه.

إذاً: هو جمع المصيبتين في الحديث: الضرر بنفسه والإضرار بغيره، والنبي ﷺ من رأفته ورحمته بأُمَّته أنَّه جاءهم بكلِّ شيءٍ، وحذَّروهم من كلِّ شرٍّ، حتى وصل به الأمر إلى أن ينهى المسلم أن يتعاطى الطعام الحلال الذي فيه

---

(١) سبق تخريجه.

رائحة كريهة، إذا ما كان من الواجب عليه أن يحضر مجلساً فيشمّ الجالسون منه تلك الرائحة الكريهة، فنهاء عن هذا الطعام الحلال؛ لكي لا يؤدي غيره برائحة الطعام الحلال، وقد عرفت أن الطعام هو الثوم والبصل، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلاًنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»<sup>(١)</sup>، إذاً كأن الرسول ﷺ يقول: أيها المسلم المصلّي! لا تأكلن طعاماً فيه ثوم أو بصل وتحضر المسجد، كل الطعام الذي فيه الثوم والبصل قبل أن تحضر المسجد؛ أمّا إذا أكلت هذا الطعام قبيل حضورك المسجد فنحن في غنى عن حضورك المسجد، مع أن حضور المسجد فرض عليه كالصلاة نفسها، ولم يقتصر عليه الصلاة والسلام على هذا التوجيه: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلاًنا» بل طَبَّقَ ذلك عملياً، حيث دخل ذات يوم المسجد النبوي، فشمّ من أحدهم رائحة الثوم، فأمر بإخراجه من المسجد، وإلى أين؟ إلى البقيع - إلى المقابر -؛ لأنّه يشير بهذا التنفيذ العملي، أن

(١) أخرجه هكذا ابن حبان (٤٤٣/٥) وأبو يعلى في مسنده (١٥٩/٤) ح ٢٢٢٦ عن جابر ولفظه: «من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس»، وهو في صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها ١/٣٩٤ ح: ٥٦٤-٥٦٥ عن أبي سعيد بلفظ: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنا في المسجد»، وللحديث ألفاظ أخرى.

المسلم الذي يحضر مساجد المسلمين، وهو يحمل في فمه رائحة كريهة يؤذي المصلين، هذا لا يليق بأن يعيش مع المصلين، بل ولا مع الأحياء الذين خارج المسجد، بل عليه أن يعيش مع الأموات في المقابر».

\*\*\*

### خلاصة هذا الفصل

إنَّ جوانب الرَّحمة في دين الإسلام واسعة، إذ شرع الله - ﷻ - كله من كتاب وسنة - رحمة للعالمين، وما اعتنى به العلامة الألباني ﷺ كثير، ومن ذلك إضافة لما سبق بيانه:

الرَّحمة بأصحاب الاحتياجات الخاصَّة، كحديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «وفي روايةٍ عنه أنه سأل رسول الله ﷺ أيَّ الأعمال خير؟» وفي الرواية الأخرى: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله، وجهادٌ في سبيله». قيل: وفي الأخرى: قال: فأَيُّ الرِّقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها». قال: أفرأيت إن لم استطع بعض العمل؟ قال: «فتعين ضائعًا، أو تصنع لأخرق». قال: أفرأيت إن ضعفتُ؟ قال: «تَدَعِ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ؛ فإنها صدقةٌ تصدِّقُ بها على نفسك»<sup>(١)</sup>.

والرَّحمة بالأيتام، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم له أو لغيره، وأنا وهو كهاتين في الجنة»، وأشار مالك بالسَّبابة والوسطى<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري كتاب العتق باب أي الرقاب أفضل ٢/ ٨٩١ ح: ٢٣٨٢.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم =

والرَّحمة بالأرامل، كقوله ﷺ: «السَّاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصَّائم النَّهار»<sup>(١)</sup>.  
والرَّحمة بالموتى، لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ كسر عظم المؤمن ميتاً، مثل كسره حيّاً»<sup>(٢)</sup>.  
كما أن الرحمة شملت الحيوان في دين الإسلام كما سبق، وغير ذلك من

= ٢٢٨٧/٤ ح: ٢٩٨٣.

- (١) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب النفقات باب فضل النفقة على الأهل ٥/ ٢٠٤٧ ح: ٥٠٣٨. ومسلم كتاب الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ٢٢٨٦/٤ ح: ٢٩٨٢ عن أبي هريرة.
- (٢) أخرجه أبو داود كتاب الجنائز باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان. ٣/ ٢٠٤ ح: ٣٢٠٩، وابن ماجه كتاب الجنائز باب في النهي عن كسر عظام الميت ١/ ٥١٦ ح: ١٦١٦ وابن حبان ٧/ ٤٣٧ وابن الجارود ١/ ١٤٣ وأحمد (٦/ ٥٨) وغيرهم.
- قال الألباني بعد تحريجه والكلام في فقهه: «ومنه تعلم تحريم ما ترتكبه بعض الحكومات الإسلامية من درس بعض المقابر الإسلامية ونبشها من أجل التنظيم العمراني دون أي مبالاة بحرمتها أو اهتمام بالنهي عن وطئها وكسر عظامها ونحو ذلك. ولا يتوهم أحد أن التنظيم المشار إليه يرر مثل هذه المخالفات كلا فإنه ليس من الضروريات وإنما هي من الكماليات التي لا يجوز بمثلها الاعتداء على الأموات فعلى الأحياء أن ينظموا أمورهم دون أن يؤذوا موتاهم». تلخيص أحكام الجنائز ١/ ٩١.



معالم الرحمة في دين الإسلام ونبي الرحمة ﷺ، مما يطول المقام بالتفصيل فيه، ولكن اللبيب تكفيه الإشارة، وعلى ما قيل: «يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق».

وأضيف هنا أن العلامة الألباني رحمه الله تأسّى في سيرته العملية بهدي نبي الرحمة ﷺ، وما دعا إليه، ولقد سطرت للشيخ في ذلك مواقف عدّة، منها: ما ذكرها الشيخ محمد الخطيب أن الشيخ قال له مرة: يا محمد أنت لا تملك سيارة وأولادك لا بدّ أنهم بحاجة إلى استجمام.... فهيئ نفسك في أي يوم تريد حتى نذهب سوياً في نزهة، ترفّه بها عن أولادك، وفعلاً بعد يومين رتبنا أمرنا، وخرجنا بصحبة الشيخ وزوجته إلى بعض الأحراش خارج عمان، وقد أحضر لنا طعاماً وفاكهةً منوعةً، وسرّ أولادي أيّ سرور.

ويقول أيضاً: «كنت مرةً أعمل للشيخ على سطح بيته، وأصلح بعض الأمور فحملت قضيباً طويلاً أرفعه من مكانٍ لآخر؛ فغلبني القضيب وأنا في أعلى السطح، فكدت لولا فضل الله أن أهوي من أعلى السطح، فعلم الشيخ بالخبر فحمد الله على سلامتي، وسارع ساجداً لله: سجد وشكر، وذرفت عيناه بالبكاء، وأخرج من جيبه مائة دينار أعطاني إياها».

وفي مساعداته للفقراء والأرامل والمحتاجين يذكر أخونا الشيخ محمد

الخطيب أنه جاء رجلٌ مريضٌ، وعلاجه بإبر (أي حقن)، تكلفه الواحدة منها عشرون ديناراً، يحتاج إلى (١٥) إبره، فطلب منِّي الشَّيخُ الذَّهابَ لبيته، والتَّأكُّدَ من صحَّةِ ما قال، فلما علمنا صدقه أعطاني الشَّيخُ المالَ، واشترينا له الإبر.

وقصةٌ أخرى حصلت للشَّيخِ ﷺ في المستشفى قبيل وفاته، حيث جاءته امرأةٌ تشكي له وقوعها في براثن البنوك؛ حيث أنها اقترضت من أحد البنوك مبلغَ تسعة آلاف دينارٍ، وتضاعف عليها المبلغ من الرِّبا، فجاءت تستنجد بالشَّيخِ للخلاص من ذلك، فطلب الشَّيخُ -كالعادة- التَّحرِّيَ في ذلك، وبعد التَّحرِّي والتَّأكُّد من صدق المرأة وافق الشَّيخُ على أن يُقرضها مبلغ سبعة آلاف دينارٍ، فحضرت المرأة وحضر معها أولادها، فقال الشَّيخُ: هذه ألف دينارٍ هدية، وهذا المبلغ المطلوب، وفرحت المرأة وفرح أولادها، ودعوا للشَّيخِ، ودعوت أنا، وجزيت الشَّيخَ خيراً، فنظر الشَّيخُ إلينا، وقال: يا إخوان، والله إنني أتمنى أن أصبح مليونيراً؛ حتى أُخرج الألف من أمثال هذه المرأة من قيود الرِّبا.

وغير ذلك من القصص والمواقف كثيرٌ، مما يضيق المقام عن تبيانهِ، فما أجهل ديننا، وما أحكمه، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، رحم الله العلامة الألباني وجزاه على ما قدَّم كل خير.

\*\*\*



## مخاتمة

إنَّ الإسلام دين الرَّحمة في كلِّ شؤونه، - كما تدلُّ على ذلك الأدلَّة البيِّنة الواضحة - والتي يشهد بها عددٌ من المنصفين من غير المسلمين.

وإنَّ العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله واسع العناية بالسنة والسيرة النبويَّة ودفاعه عنها من حيث دعوته لحجية السنَّة، وتجريد المتابعة للرسول صلَّى الله عليه وآله، وتحذيره من مخالفة الهدى النبويِّ، وحثَّه على لزوم اتِّباع نهج السلف، وما برع فيه في الذَّبِّ عن الرِّسول صلَّى الله عليه وآله، من خلال المؤلفات العديدة التي قاربت مئتين وخمسين، بين تصنيفٍ وتحقيقٍ.

وإنَّ عنايته العظيمة بالسنة والسيرة النبوية ذاتها لأهمِّ معلمٍ في إظهار الرحمة في دين الإسلام، من خلال الوقوف على صحيح السنة النبوية وآثار السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ولقد أبرز العلامة الألباني رحمته الله من خلال تأليفاته ودعوته معالم الرحمة في الإسلام ونبي الرحمة صلَّى الله عليه وآله في تبيانهِ لوسطية الإسلام والاعتدال فيه ونبذ الغلو والتطرّف.

كما أبان عن إكرام الإسلام للمرأة أيما إكرام، وأنها في الحقوق في دين الإسلام كالرجل ولا فرق، إلا ما خصّه الشارع الحكيم.

كما أبرز الرحمة في العناية بشؤون الطفل، منذ ولادته كما أمر الإسلام بالعدل بين الأطفال جميعاً، ذكوراً وإناثاً، وأن العدل أساس الرحمة.

كما أنّ من سماحة الإسلام تقرير الأخوة الإسلامية، ونبذ العصبية القومية والحث على اليسر في المعاملات، ومكارم الأخلاق والنهي عن رذائلها.

وقد عمّت رحمة الإسلام الحيوان بالرّفق به، مما يدلّ على أنّ الإسلام هو الذي وضع للناس مبدأ الرفق بالحيوان، خلافاً لما يظنّه بعض الجهال بالإسلام أنه من وضع غيرهم.

كما شملت رحمة الإسلام العناية بالثروة النباتيّة؛ وذلك لأنها مما تقوم به الحياة، وهذا من الرّحمة بالإنسان، بل بكلّ كائن حيّ.

كما أنّ القاعدة الشرعيّة «لا ضرر ولا ضرار» تشتمل التحذير من الإضرار بالنفس وبالبيئة في جوانب عدّة، تعد من معالم الرّحمة الكبرى للإنسانية أجمع.

وكان العلامة الألباني رحمه الله متأسياً بهدي نبيّ الرّحمة ﷺ، في سيرته العمليّة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

والحمد لله رب العالمين.



## توصيات الباحث

وفي ختام هذا البحث يوصي مُحَرِّره بما يلي:

ضرورة إبراز جوانب الرحمة في دين الإسلام ونبيه مع الاعتناء بالجوانب التي لم تُحَدِّم فيُتَوَسَّع فيها.

ضرورة ترجمة معالم الرحمة في الإسلام إلى لغاتٍ عدَّة، لكي يقف العالم على حقيقة الأمر في نبي الرحمة ﷺ.

ضرورة عقد ندوات ومحاضرات بلغات مختلفة، وفي دول متعددة، لتعريف غير المسلمين بين الحين والآخر برحمة الإسلام وسماحته.

الحرص على انتقاء الكتب الدالة على سماحة الإسلام ورحمته، وترجمتها وطباعتها.

ضرورة اهتمام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في تبيان معالم الرحمة في دين الإسلام ونبيه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

\*\*\*

## قائمة المراجع

- (١) الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤٣٠ هـ.
- (٢) الإحسان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣ هـ.
- (٣) أحكام الجنائز، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- (٤) آداب الزفاف في السنة المطهرة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، طبع ١٤٠٩ هـ.
- (٥) الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٦) إرشاد الساري، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن محمد القسطلاني، الطبعة الأولى.
- (٧) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م.
- (٨) أصل صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.



- (٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ط: ١٣٨٨هـ.
- (١٠) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، للشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، نشر مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية: ١٣٦٩هـ.
- (١١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لابن بلبان، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- (١٢) الألباني حياته وآثاره وثناء العلماء عليه، للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني.
- (١٣) الإمام الألباني دروس ومواقف وعبر، للدكتور عبد العزيز السدحان، الطبعة الأولى، دار ١٤٣٠هـ.
- (١٤) الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألباني محدثاً، للدكتور زكي صلاح، رسالة دكتوراه، قيد النشر.
- (١٥) البحر الزخار، لأبي بكر البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وغيره، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة: الأولى، من ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م.
- (١٦) تحريم آلات الطرب، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة الدليل، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.
- (١٧) ترجمة موجزة لفضيلة محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، للأستاذين محمد عيد العباسي وعلي خشان، نشرتها في مجلة الجامعة السلفية بالهند، بقليل من التصرف والإضافة.

- (١٨) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
- (١٩) تلخيص أحكام الجنائز، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٠هـ.
- (٢٠) تمام المنة في التعليق على فقه السنة، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار الراية، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- (٢١) تمام النصيح في أحكام المسح = وهو ملحق بكتاب «المسح على الجورين».
- (٢٢) التمييز، للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق د. مصطفى الأعظمي.
- (٢٣) ثبت مؤلفات الشيخ الألباني» للشمراني.
- (٢٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر بن عبد البر النمري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٣٩٨هـ.
- (٢٥) جزء في اتباع السنن واجتناب البدع، للضياء المقدسي.
- (٢٦) جهود الألباني في بيان عقيدة السلف الصالح في الإيـان بالله رب العالمين، لأحمد صالح الجبوري، الدار الأثرية، الأردن، ١٤٣٠هـ، ط ١.
- (٢٧) جهود الشيخ مُحَمَّدٍ نَاصِرِ الدِّينِ الأَلْبَانِيّ في خدمة السنة المطهّرة، للدكتور خالد علي، ضمن بحوث ندوة «الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية، من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم»، في الإمارات.

- (٢٨) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩ هـ.
- (٢٩) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، ط ١، ١٤٢٥ هـ.
- (٣٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ هـ.
- (٣١) ذم الكلام وأهله، لعبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق عبد الرحمن عبدالعزيز الشبل، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، عام ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٣٢) الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدد وتعصب، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- (٣٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار المعارف، - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- (٣٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- (٣٥) سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، نشر دار الفكر - بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٣٦) سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، ط دار الفكر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

- (٣٧) سنن الدار قطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، نشر دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- (٣٨) سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- (٣٩) سنن النسائي (المجتبى من السنن)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٤٠) شرح النووي على صحيح مسلم = انظر المنهاج شرح صحيح مسلم.
- (٤١) شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تحقيق د. محمد سعيد خطي أوغلي، نشر دار إحياء السنة النبوية، بأنقرة.
- (٤٢) شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.
- (٤٣) صحيح ابن حبان = انظر الإحسان.
- (٤٤) صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- (٤٥) صحيح البخاري تحقيق د. مصطفى ديب البغا نشر دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٤٦) صحيح الترغيب والترهيب، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف، بالرياض.



- (٤٧) صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط ٣، ١٤٠٣هـ.
- (٤٨) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٤٩) صفة صلاة النبي ﷺ (الأصل)، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- (٥٠) طبقات الحفاظ، لجلال الدين لسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة بمصر، ط ١، ١٣٩٣هـ.
- (٥١) الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٦٨م.
- (٥٢) علماء ومفكرون عرفتهم، للشيخ محمد المجذوب، دار الشَّوَّاف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة.
- (٥٣) فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، مطبعة الحكومة بمكة، ١٣٩٩هـ.
- (٥٤) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- (٥٥) فقه الواقع، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني = مفرغ في المكتبة الشاملة من سؤال وجه للشيخ رحمه الله.
- (٥٦) الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عد الجرجاني تحقيق: يحيى مختار غزاوي، نشر دار الفكر - بيروت.

- (٥٧) كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى، للدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- (٥٨) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحريр الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر.
- (٥٩) مجموع الفتاوى لابن تيمية دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- (٦٠) مختصر العلو للعلي الغفار، للحافظ الذهبي، اختصره وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤١٢هـ.
- (٦١) المسح على الجورين والنعلين، لعلامة الشام محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق المحدث ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٤، ١٣٩٩هـ.
- (٦٢) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- (٦٣) مسند البزار = البحر الزخار.
- (٦٤) مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، نشر دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.



## معالم الرحمة في دين الإسلام ونبيه لدى العلامة محمد الألباني

(٦٥) مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ.

(٦٦) مسند الطيالسي، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٦٧) المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

(٦٨) المتقى من السنن المسندة، لعبد الله بن علي بن الجارودي، تحقيق عبد الله عمر البارودي، نشر مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٦٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٧٠) الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.

(٧١) موقع المكتبة الجامعة للخطب المنبرية والدروس والمحاضرات على الشبكة العنكبوتية.

[www.3lsooot.com/alkhotab](http://www.3lsooot.com/alkhotab)

\*\*\*





# جهود المغاربة في الدفاع عن رسول الله ﷺ

إعداد

**د. سعيد المفاوي**

أستاذ السيرة النبوية وعلوم الحديث بكلية الآداب سايس - فاس  
جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المملكة المغربية

ابيض

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبينا ومولانا محمد المصطفى الأمين، الهادي إلى صراط الله العزيز الحكيم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر المحجلين، الكرام الميامين، الأبطال المجاهدين، وبعد: لقد تعرّض رسول الله ﷺ لإساءات كثيرة في حياته، وأوذي بكل وسيلة وبشتى أنواع الإذابة؛ ومع ذلك، فقد ظل صلوات الله وسلامه عليه صابرا محتسبا، يؤدي الأمانة ويبلغ الرسالة، وينصح الخاصة والعامة. وأول من ألحق الأذى برسول الله ﷺ هم المشركون، ثم اليهود والمنافقون.

فقد اتهمه كفار قريش بشتى المعاييب، فقالوا: مجنون، ومعلم، وبه جنة، وقالوا شاعر وساحر وكاهن ومسحور وأبتر وكذاب ومفتر، وافترى على الله كذبا. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّجْنُونٌ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) الدخان/ ١٤.

- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(١)</sup>.

- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

- وقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾<sup>(٤)</sup>.

- وقوله تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

- وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى

إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) القلم / ٥١.

(٢) المؤمنون / ٧٠.

(٣) الأنبياء / ٥.

(٤) الطور / ٣٠.

(٥) يونس / ٢.

(٦) ص / ٤.

(٧) الإسراء / ٤٧.



- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>(١)</sup>.
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾<sup>(٢)</sup>.
- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾<sup>(٣)</sup>.
- وقد نفى الله ﷻ عنه كل ذلك، وبرّاه مما قالوا:
- قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾<sup>(٤)</sup>.
- وقال تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾<sup>(٥)</sup>.
- وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٦)</sup>.
- وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) الشورى/ ٢٤.

(٢) النحل/ ١٠١.

(٣) النحل/ ١١٣.

(٤) الطور/ ٢٩.

(٥) القلم/ ٢.

(٦) الأعراف/ ١٨٤.

(٧) الحاقة/ ٤٠-٤٢.

- وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ

الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ

الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إضافة إلى هذا كله، فقد صرف الله عنه شتم قريش ولعنهم:

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف

الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد»<sup>(٣)</sup>.

كذلك قيض الله له من البشر من يذود عنه، مثل عمه أبي طالب الذي كان يمنعه من أذى قريش، على الرغم من أنه كان مشركاً على دين آبائه. وخير دليل على ذلك ما نقله ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق أنه قال: فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتَبَهُمْ<sup>(٤)</sup> من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آهتهم،

(١) الأنعام/١٤٧.

(٢) النحل/١٠١-١٠٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب ٦١ (المناقب)، باب ١٧ (ما جاء في أسماء رسول الله

ﷺ...)، حديث ٣٥٣٣.

(٤) لا يُعْتَبَهُمْ من شيء: أي لا يُرضيهم.

ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يُسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضللّ آبائنا، فإما أن تكفّه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه. ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بتسليم رسول الله لهم ولا خذلانه. فبعث إليه فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبقي عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق. فظنّ رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء<sup>(١)</sup> أنه خاذله ومُسلمه، وأنه قد ضعّف عن نصرته والقيام معه، فقال: يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته. ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قام؛ فلما ولى ناداه أبو طالب،

(١) بدا لعمه فيه بداء: أي ظهر له رأي.

فقال: أقبل يا ابن أخي. فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أُسلمك لشيء أبداً<sup>(١)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً، هو أن الله ﷻ قد تولى بنفسه الرد على أعدائه في أغلب الأحيان:

- فقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، لما حسدته اليهود على ما رزقه الله من النبوة العظيمة.

- وقال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، لما قالوا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٤)</sup> لَوَ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ<sup>(٥)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(٦)</sup>، لما قالوا: ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ٢٦٤-٢٦٦.

(٢) النساء/ ٥٤.

(٣) الحجر/ ٨.

(٤) الحجر/ ٦-٧.

(٥) الفرقان/ ٢٠.

وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴿٧﴾.

- وقال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾<sup>(١)</sup>،  
لما قالوا: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّمَّزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup> أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴿٣﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٥﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، لما قالوا شاعر وكاهن.

- وقال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٨)</sup>، لما قالوا: ﴿أَيْنَا لَتَارْكُوا  
ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) الفرقان / ٧ .

(٢) سبأ / ٨ .

(٣) سبأ / ٧-٨ .

(٤) يس / ٦٩ .

(٥) الحاقة / ٤٠-٤٢ .

(٦) الصافات / ٣٧ .

(٧) الصافات / ٣٦ .

- وقال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾<sup>(١)</sup>، لما اتهموه بالضلال والغى.

- وقال تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾<sup>(٣)</sup>، لما اتهموه بالجنون.

- وقال تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾<sup>(٤)</sup>، لما قالوا تركه شيطانه وأبطأه صاحبه.

- وقال تعالى: ﴿ إِنْ شَاءَ نَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾<sup>(٥)</sup>، لما نعتوه بالأبتر.

ولم تقف عناية الله برسوله ﷺ عند هذا الحد، بل امتدت إلى الحيلولة دون قتله أو إلحاق الأذى الشديد بجسده، ومن ثم فقد عصمه ﷻ من شر أعدائه وحفظه من أفعالهم السيئة ومخططاتهم الخبيثة:

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ

(١) النجم/ ٢ .

(٢) القلم/ ٢ .

(٣) التكويد/ ٢٢ .

(٤) الضحى/ ٣ .

(٥) الكوثر/ ٣ .

على رقبته، أو لأعقرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه. قال: ف قيل له: ما لك؟ فقال: إن بني وبينه لخذقا من نار وهو لا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني، لاختطفته الملائكة عضوا عضوا»<sup>(١)</sup>.

- وذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رهطا من كبراء قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه فجاءهم سريعا، فعرضوا عليه ما عرضوا وسألوه لأنفسهم أمورا، فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيّق حمله، فإذا سجد في صلاته فضّختُ به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم؛ قالوا: والله لا نُسلمك لشيء أبدا، فامض لما تريد. فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرا كما وصف، ثم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب (صفة القيامة والجنة والنار)، باب ٦ قوله: ﴿إِنَّ الْأَدَسْنَ

لَيَطْفَى﴾ أن رءاه أسغفَى)، حديث ٢٧٩٧.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٢٩٥-٢٩٩.

جلس لرسول الله ﷺ ينتظره. وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وجعل الكعبة بينه وبين الشام وقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل. فلما سجد رسول الله ﷺ، احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد ييست يدها على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمْتُ إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة، فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قَصْرته<sup>(١)</sup> ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني.

- أما يهود بني النضير فقد أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله ﷺ الرحي لما جاءهم يستعينهم في دية العامرين، فأطلعه الله ﷻ على ما تمالؤوا عليه، وكفَّ أيديهم عنه. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- وأما المنافقون فمن بين ما عانى منهم الرسول ﷺ، أنهم كانوا يحلفون

(١) القصرة: أصل العنق.

(٢) المائدة/ ١١.



له بالله ما قالوا الذي بلغه عنهم من السب والشتم، وهموا بقتله ليلة العقبة عند عوده من تبوك، فنجّاه الله منهم. قال تعالى: ﴿مُحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

هذا، ومن أجل أن يسلك المسلمون نفس السبيل، ومن أجل أن يدافعوا عن رسول الله ﷺ بكل غال ونفيس، بيّن الله لهم أن طريق الفلاح هو في الإيثار برسوله، وفي تعزيزه ونصره، وفي اتباع النور الذي أنزل معه؛ فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِمْ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد امثل الصحابة والتابعون - رجالا ونساء - لهذا الإرشاد الإلهي، فنافحوا عن رسول الله ﷺ بما أوتوا من عزيمة وقوة وإيمان قوي.

- فعن المسور بن مخرمة ومروان - يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه - أن عروة بن مسعود قال لقريش: دعوني آتيه، قالوا: آتته، فأتاه وجعل يكلم

(١) التوبة/ ٧٤.

(٢) الأعراف/ ١٥٧.

النبي ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى حية رسول الله ﷺ، ضرب يده بنعل السيف وقال له: آخر يدك عن حية رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

- وعن عروة بن الزبير قال: «قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم»<sup>(٢)</sup>.

- وعن مسروق قال: «دخلتُ على عائشة وعندها حسان بن ثابت يُنشدُها شعرا، يُشَبِّبُ بأبيات له، فقال:

حَصَانُ رَزَانٍ مَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ \* وَتَصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ  
فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ. قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا: لَمْ تَأْذِنِي لَهُ  
يَدْخُلُ عَلَيْكَ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: «وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ»، فَقَالَتْ:

(١) انظر النص الكامل لهذا الحديث في صحيح البخاري: كتاب ٥٤ (الشروط)، باب ١٥ (الشروط في الجهاد...)، حديث ٢٧٣١-٢٧٣٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب ٦٥ (تفسير القرآن/ سورة المؤمن)، حديث ٤٨١٥.

فأي عذاب أشد من العمى؟ إنه كان يُنافح أو يُهاجي عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

- وعن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: «بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانها، تميّت لو كنت بين أضلع منهما. فغمزني أحدهما فقال: يا عمّ، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرْتُ أنه يسبّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يُفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منّا. قال: فتعجّبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها. قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه...»<sup>(٢)</sup>.

- وأخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس رضيهما، «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر. قال: فلما كانت ذات ليلة، جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها

(١) صحيح مسلم: كتاب ٤٤ (فضائل الصحابة)، باب ٣٤ (فضائل حسان بن ثابت)، حديث ٢٤٨٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب ٣٢ (الجهاد والسير)، باب ١٣ (استحقاق القاتل سلب القتل)، حديث ١٧٥٢.

واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجلها طفل فلطخت ما هناك بالدم. فلما أصبح، ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجمع الناس فقال: «أنشد الله رجلاً فعل ما فعل، لي عليه حق، إلا قام». فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة. فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعت في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: «ألا تشهدوا أن دمها هدر»<sup>(١)</sup>.

- وروى الواقدي في مغازيه عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: قال مروان بن الحكم<sup>(٢)</sup> (ت ٦٥هـ) وهو على المدينة، وعنده ابن يامين النضري: كيف كان قتل ابن الأشرف<sup>(٣)</sup>؟ قال ابن يامين: كان غدرا. ومحمد بن

(١) سنن أبي دود: كتاب ٣٢ (الحدود)، باب ٢ (الحكم فيمن سب النبي ﷺ) حديث ٤٣٦١.  
(٢) أقام مروان بن الحكم بالمدينة بعد مقتل عثمان بن عفان ؓ، وظل على ذلك حتى آلت الخلافة إلى معاوية ؓ فولاه المدينة مرتين. ولما مات معاوية قربه ابنه يزيد إليه وأكرمه، فظل بالشام إلى أن ولي الخلافة بعد معاوية الثاني بن يزيد. انظر: تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ٢٣٦/١.

(٣) هو كعب بن الأشرف اليهودي؛ كان رجلاً من طيء، وكانت أمه من بني النضير، وكان يؤذي رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويُسبب في أشعاره بنساء المؤمنين. وقد ذهب بعد وقعة =

مسلمة<sup>(١)</sup> جالس شيخ كبير، فقال: يا مروان، أيغدر رسول الله عندك؟ والله ما قتلناه إلا بأمر رسول الله ﷺ، والله لا يؤويني وإياك سقف بيت إلا المسجد. وأما أنت يا ابن يامين، فله عليّ إن أفلتت، وقدرت عليك وفي يدي سيف إلا ضربت به رأسك. فكان ابن يامين لا ينزل في بني قريظة حتى يبعث له رسولا ينظر محمد بن مسلمة، فإن كان في بعض ضياعه نزل فقصي حاجته ثم صدر، وإلا لم ينزل. فبينما محمد بن مسلمة في جنازة وابن يامين بالبقيع، فرأى نعشا عليه جرائد رطبة لامرأة، جاء فحلّه. فقام الناس فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ما تصنع؟ نحن نكفيك. فقام إليه، فلم يزل يضربه بها جريدة جريدة حتى كسر تلك الجرائد على وجهه ورأسه، حتى لم يترك فيه مَصْحًا، ثم أرسله ولا طبّاخ (قوة) به، ثم قال: والله لو قدرت على السيف لضربتك به<sup>(٢)</sup>.

=بدر إلى مكة، وألب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين. فندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى قتله فقتلوه. انظر: الفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير، ص ١٤٣؛ وسيرة ابن هشام، ٥١/٢-٥٨.

(١) محمد بن مسلمة ﷺ: أحد الصحابة الكرام الذين بعثهم رسول الله ﷺ لقتل ابن الأشرف اليهودي. انظر: سيرة ابن هشام، ٥٦/٢.

(٢) وردت هذه القصة في [مغازي الواقدي، ١/١٩٢-١٩٣]، وفي رواية ثانية تشابهها قيل أنها وقعت في مجلس علي بن أبي طالب، وفي رواية ثالثة أنها وقعت في مجلس معاوية ؓ. ذكر=

قال ابن تيمية رحمه الله في تعليقه على هذه القصة: «وظاهر القصة، أن محمد ابن مسلمة رآه مخطئاً بترك الحد على ذلك الرجل، ولذلك هجره. لكن هذا الرجل إنما كان مسلماً، فإن المدينة لم يكن بها يومئذ أحد من غير المسلمين»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

هذا، وقد سار على نهج الصحابة والتابعين، من جاء بعدهم من المؤمنين برسالة النبي ﷺ في المشرق والمغرب.

والأمثلة على ذلك كثيرة، روتها لنا كتب السير والتواريخ، وكتب الجدل والمناظرة وعلم الكلام، وغيرها من مؤلفات المسلمين.

ففي المشرق الإسلامي - مثلاً - ألفت عدة كتب في الرد على من سب النبي ﷺ وفي العقاب الواجب في حقه، منها:

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لشيخ الإسلام أحمد بن

---

=ذلك القرطبي في تفسيره (٥٣/٨)، فقال: «وروي أن رجلاً قال في مجلس علي: ما قُتل كعب بن الأشرف إلا غدراً، فأمر علي بضرب عنقه. وقالها آخر في مجلس معاوية رضي الله عنه، فقام محمد بن مسلمة فقال: أيقال هذا في مجلسك وتسكت، والله لا أساكنك تحت سقف أبداً، ولئن خلوت به لأقتلته».

(١) الصارم المسلول، ابن تيمية، ص ٢٠٤.

عبدالحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ). وهو من أعظم ما أُلّف في الدفاع عن رسول الله ﷺ في المشرق الإسلامي. وقد قسمه صاحبه إلى أربع مسائل<sup>(١)</sup>:

- المسألة الأولى: في بيان الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على

كفر من سبّ الرسول ﷺ، ومشروعية قتله سواء كان مسلماً أو كافراً.

- المسألة الثانية: في تعيين قتل الساب وإن كان ذمياً، وأنه يُنتقض عهده

بالسب ولا يجوز مفاداته ولا استرقاقه ولا المنّ عليه، أي ليس حكمه كحكم سائر الكفار.

- المسألة الثالثة: في حكم الساب إذا تاب. وقد بين فيها ابن تيمية ﷺ أنه

يجب قتله بلا استتابة؛ لأن رده مغلظة تضمنت محاربة لله ولرسوله. وهكذا الشأن في كل مرتد تضمنت رده عداوة ومحادة ومشاقة ومحاربة لله ولرسوله فإنه يُقتل وإن تاب، وذلك قبل القدرة عليه.

- المسألة الرابعة: في الفرق بين السب ومجرد الكفر. وقد بين فيها أن الإيمان

ليس تصديقاً فقط، وإنما هو تصديق بالخبر وانقياد للأمر، وأن الإيمان يقتضي ويستلزم المحبة والتعظيم وهما من عمل القلب. فلا يكون الكفر مجرد التكذيب

(١) تقريب الصارم المسلول عل شاتم الرسول، صلاح الصاوي، ص ٥.

فحسب، وإنما يكون أيضا بترك الانقياد والاستسلام، ويكون التنقص والاستهانة بالدين أو الرسول ﷺ دليلا على كفرٍ في الباطن، لانتفاء المحبة والتعظيم.

وعن سبب تأليف هذا الكتاب، قال ابن كثير في (البداية والنهاية) <sup>(١)</sup> عند حديثه عن أخبار سنة ٦٩٣ هـ: أن عسافا النصراني كان رجلا من أهل السويداء، وقد شهد عليه جماعة أنه سبَّ النبي ﷺ، واستجار بابن أحمد بن حِجِّي أمير آل علي. فاجتمع الشيخ تقي الدين ابن تيمية والشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث، ودخلا على الأمير عز الدين أبيك الحموي نائب السلطنة فكلّماه في أمره، فأجابهما إلى ذلك وأرسل ليُحضره، فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس. فرأى الناس عسافا حين قدم ومعه رجل من العرب، فسبّوه وشتّموه، فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم، يعني النصراني. فرجّهما الناس بالحجارة فأصابا عسافا، ووقعت خبطة قوية، فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي فضرّهما بين يديه ورسم عليهما في العذراوية. وقدم النصراني فأسلم، وعُقد مجلس بسببه فأثبت بينه وبين اليهود عداوةً فحقن دمه، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما. ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، واتفق قتله قريبا من مدينة رسول الله ﷺ، قتله ابن أخيه هنالك. وصنّف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٧/ ٦٦٥-٦٦٦.



هذه الواقعة كتابه (الصارم المسلول على ساب الرسول).

(٢) السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>، لتقي الدين علي بن

عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ). رتبه على أربعة أبواب:

- الأول: في حكم الساب من المسلمين.

- الثاني: في حكم الساب من أهل الذمة.

- الثالث: في بيان ما هو السب.

- الرابع: في شيء من شرف المصطفى ﷺ.

وقد فرغ من تصنيفه في سلخ شهر رمضان سنة ٧٣٤هـ.

(٣) السيف المشهور على الزنديق وشاتم الرسول<sup>(٢)</sup>، لمحيي الدين محمد بن

قاسم الرومي الحنفي، المعروف بأخوين (ت ٩٠٤هـ). وهو كتاب مشتمل على

عدة فصول، كتبه لبيان استحقات مولانا لطفی للقتل، وذكر في آخره أموراً

موجبة له ثابتة منه.

(٤) تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء<sup>(٣)</sup>، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

(١) كشف الظنون، حاجي خليفة، ١٠١٨/٢.

(٢) كشف الظنون، حاجي خليفة، ١٠١٩/٢.

(٣) كشف الظنون، حاجي خليفة، ٤٩٤/١.

السيوطي (ت ٩١١هـ). وهي رسالة مطبوعة ضمن كتابه (الحاوي للفتاوي)، وكان السبب في تأليفه كما قال: «أنه وقع أن رجلا خاصم رجلا فوقع بينهما سب كثير، فقتل أحدهما عرض الآخر فنسبه الآخر إلى رعي المعزى. فقال له ذاك: تنسبني إلى رعي المعزى. فقال له والد القائل الأنبياء: رعو المعزى، أو ما من نبي إلا رعى المعزة. وذلك بسوق الغزل بجوار الجامع الطولوني بحضرة جمع كثير من العوام، فترافعوا إلى الحكام فبلغ الخبر قاضي القضاة المالكي فقال: لو رُفع إلي ضربته بالسياط. فسئلت: ماذا يلزم الذي ذكر الأنبياء مستدلا بهم في هذا المقام؟ فأجبت بأن هذا المستدل يعزر التعزير البليغ؛ لأن مقام الأنبياء أجل من أن يضرب مثلاً لأحد الناس. ولم أكن عرفت من هو القائل لذلك، فبلغني بعد ذلك أنه الشيخ شمس الدين الحمصاني إمام الجامع الطولوني وشيخ القراء، وهو رجل صالح في اعتقاده. فقلت: مثل هذا الرجل يقال عشرته وتغفر زلته ولا يعزر لهفوة صدرت منه، وكتبت ثانياً بذلك فبلغني أن رجلاً استنكر مني هذا الكلام، وقال: إن هذا القائل لا ينسب إليه في ذلك عشرة ولا ملام وإن ذلك من المباح المطلق لا ذنب فيه ولا أثام، واستفتى على ذلك من لم تبلغه واقعة الحال، فخرجوه على ما ذكره القاضي عياض في مذاكرة العلم لأجل ذكر لفظ الاستدلال في الجواب والسؤال، فخشيت أن تشرب قلوب العوام هذا الكلام

فيكثروا من استعماله في المجادلات والخصام ويتصرفوا فيه بأنواع من عباراتهم الفاسدة فيؤديهم إلى أن يمرقوا من دين الإسلام، فوضعت هذه الكراسة نصحا للدين وإرشادا للمسلمين والسلام»<sup>(١)</sup>.

٥) رسالة في سب النبي ﷺ وأحكامه<sup>(٢)</sup>، للمولى حسام الدين حسين بن عبد الرحمن (ت ٩٢٦). جعلها على ثلاثة أقسام:

- الأول: فيما يكون سبا وما لا يكون سباً.

- الثاني: في حكم الساب.

- الثالث: في حكمه من الكافرين.

٦) رشق السهام في أضلاع من سب النبي ﷺ، لشمس الدين محمد بن علي الدمشقي الصالحي الحنفي الشهير بابن طولون (ت ٩٥٣هـ). وقد ذكره في كتابه (الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون)<sup>(٣)</sup>.

٧) تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام، لمحمد أمين بن عمر الحنفي الدمشقي

(١) الحاوي للفتاوي، السيوطي، ٢٣٣/١.

(٢) كشف الظنون، حاجي خليفة، ٨٧١/١.

(٣) الفلك المشحون، محمد ابن طولون الصالحي، ص ٣٧.

الشهير بابن عابدين (١٢٥٢هـ). وهي رسالة<sup>(١)</sup> في سبع وخمسين صفحة، قال في مقدمتها أن الداعي لتأليفها هو أنه كان ذكر في كتابه (العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية)<sup>(٢)</sup>، نبذة من أحكام شقيّ لَعِينٍ - لم يسمّه - خلع من عنقه ربقة الدين بسبب استطالته على سيد المرسلين وحبیب رب العالمين. وفي تلك النبذة، مال إلى قبول توبته وعدم قتله إن رجع إلى الإسلام. فلما اطّلع الشيخ عبد الستار أفندي الأتاسي مفتي حمص عليها وترجّح عنده قتل ذلك الشقيّ وإن تاب، أرسل إلى ابن عابدين ما سنح له طالبا منه الجواب لإظهار الحق والصواب ودفع الشك والارتياب. قال ابن عابدين: «فقصدتُ أولا أن أذكر الجواب عمّا طلب على وجه الاختصار كما كتب، ثم لما رأيت تلك المسألة مشكلة معضلة يحار معاليها في فهم معانيها، وكان طلك متوقفا على مقدمات ونقل عبارات يستدعيها المقام، فاقتضى ذلك نوع بسط في الكلام لتوضيح المرام. فإنّي لم أر من أئمتنا الحنفية من أوضح هذه المسألة حق الإيضاح، ولكن إذا غابت الشمس يُستضاء بالمصباح. وأما غير أئمتنا فقد بسطوا فيها الكلام... فتطفّلتُ على موائد

(١) مطبوعة ضمن مجموعة رسائل ابن عابدين (انظر: نسختها المصورة إلكترونيا والمتاحة على شبكة الإنترنت).

(٢) انظر: العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ١/ ١٧٠-١٧١.

هؤلاء الكرام، وجمعت كتابي هذا من كلامهم وكلام غيرهم من الأعلام، ورتبته على بابين: (الباب الأول) في حكم ساب سيد الأحاب... وفيه ثلاثة فصول: أحدها في وجوب قتله إذا لم يتب، والثاني في توبته واستتابته وتحرير مذهب أبي حنيفة في ذلك، والثالث في حكم سابه من أهل الذمة...»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

أما في الغرب الإسلامي، فقد ألفت كتب مماثلة لها، أو لا تقل عنها أهمية. بل كان لبعضها قصب السبق في مجال الدفاع عن رسول الله ﷺ، وذلك بشهادة ابن عابدين الدمشقي، الذي قال عند حديثه عن أحكام شاتم النبي عليه الصلاة والسلام: «إني لم أر من أئمتنا الحنفية من أوضح هذه المسألة حق الإيضاح، ولكن إذا غابت الشمس يُستضاء بالمصباح. وأما غير أئمتنا فقد بسطوا فيها الكلام: فمن المالكية الإمام القاضي عياض في أواخر كتابه الشفاء. ثم تبعه على ذلك من الحنابلة الإمام شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية، ألف فيها كتابا ضخما، سماه (الصارم المسلول على شاتم الرسول)، وقد رأيت الآن منه نسخة قديمة عليها خطه رحمه الله. ثم تبعه على ذلك من الشافعية خاتمة

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين، ١/ ٣١٥-٣١٦.

المجتهدين تقي الدين أبو الحسن علي السبكي، وألف فيها كتابا سماه (السيف المسلول على من سبَّ الرسول). فتطفَّلتُ على هؤلاء الكرام، وجمعتُ كتابي هذا من كلامهم وكلام غيرهم من الأعلام...»<sup>(١)</sup>.

ومن أوائل من أَلَّفوا كتباً في الدفاع عن رسول الله ﷺ في الغرب الإسلامي، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني شيخ المالكية (ت ٢٥٦هـ).

قال فيه ابن فرحون: «كان إماماً في الفقه، ثقة عالماً بالذنب عن مذاهب أهل المدينة، عالماً بالآثار، صحيح الكتاب، لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه. وكان الغالب عليه الفقه والمناظرة، وكان يُحسن الحجة والذنب عن أهل السنة والمذهب»<sup>(٢)</sup>. ثم قال: «وكان ابن سحنون إمام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب، جامعاً لخلال قلماً اجتمعت في غيره: من الفقه البارِع والعلم بالأثر والجدل والحديث والذنب عن مذهب أهل الحجاز...»<sup>(٣)</sup>.

وقال فيه إسماعيل بن إسحاق البصري قاضي بغداد (ت ٢٨٢هـ): «هو

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين، ص ٣١٥.

(٢) الديباج المذهب، ابن فرحون، ١٦٩/٢ - ١٧٠.

(٣) نفسه، ١٧١/٢.

الإمام بن الإمام<sup>(١)</sup>. وذكر مرة ما ألفه العراقيون من الكتب، فقال إسماعيل: عندنا من ألف في مسائل الجهاد عشرين جزءاً، وهو محمد بن سحنون. يفخر بذلك على أهل العراق<sup>(٢)</sup>.

وقال فيه ابن الحارث<sup>(٣)</sup>: «كان من الحفاظ المتقدمين المناظرين المتصرفين، وكان كثير الكتب غزير التأليف، له نحو من مائتي كتاب في فنون العلم»<sup>(٤)</sup>. قلت: له رسالة فيمن سب النبي ﷺ، اكتفى ابن فرحون بذكرها دون الإشارة إلى مضمونها. ومن المرجح أن يكون قد دافع فيها عن رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يُحسن الحجة والرد على أهل الأهواء والذب عن السنة والمذهب<sup>(٥)</sup>. ويؤيد هذا الاستنتاج، قول ابن فرحون في (الديباج): أن محمد بن سحنون قد صنّف كتاب الحجة على القدرية، وكتاب الحجة على النصارى. وأنه ألف في الرد على البكرية، وفي الرد على أهل الشرك، وفي الرد على أهل البدع<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الديباج لابن فرحون، ١٦٩/٢ - ١٧٠.

(٢) نفسه، ١٦٩/٢ - ١٧٠.

(٣) لعلة الإمام محمد بن الحارث الحُشني المالكي (ت ٣٦١هـ).

(٤) انظر: الديباج لابن فرحون، ١٦٩/٢ - ١٧٠.

(٥) الديباج المذهب، ابن فرحون، ١٦٩/٢ - ١٧٠.

(٦) الديباج المذهب، ابن فرحون، ١٧١/٢.

ومما يدل أيضا على محبة محمد بن سحنون لرسول الله ﷺ وتجنّده للدفاع عنه، ما حُكي عن عبد العزيز الزاهد أنه رأى في منامه قائلا يقول له: مَا لَكَ لَمْ تُقْبَلْ عَلَى ابْنِ سَحْنُونٍ، وَهُوَ مِمَّنْ يَخْشَى اللَّهَ؟ وفي رواية: وَهُوَ مِمَّنْ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَبَلَغْتَ ابْنَ سَحْنُونٍ فَبَكَى بُكَاءَ شَدِيدٍ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّهُ بِذَنْبِي عَنْ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١).

أما ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)، فقد كان من أبرز من اهتموا برسول الله ﷺ ودافعوا عنه في بلاد الأندلس التي كانت جامعة لأتباع الديانات الثلاث، الإسلام واليهودية والنصرانية.

لقد أفرد رحمه الله السيرة النبوية بالتأليف في كتاب مختصر جمع فيه ما لا يستغني عنه طلاب هذا العلم، سماه (جوامع السيرة) (٢). ثم اختصره في رسالة سماها (جمل من التاريخ)، وألف كتابا خاصا بحجة الوداع (٣). كذلك يبدو تقديره لرسول الله ﷺ عظيما، ومحبته لجناحه الشريف كبيرة، في عدد من كتبه.

ففي كتابه (جمهرة أنساب العرب) ابتدأ بذكر نسب من هم أقرب إلى

(١) انظر: الديباج لابن فرحون، ١٧٢/٢.

(٢) بحوث في السيرة النبوية، سعيد المغناوي، ٤٧/١.

(٣) نفسه، ٥١/١.



رسول الله ﷺ فقال: «وبدأنا بولد عدنان، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل... ولأن محمدا رسول الله ﷺ سيد ولد آدم ﷺ من عدنان. وابتدأنا من ولد عدنان بقریش لموضعه ﷺ منهم، وابتدأنا من قریش بالأقرب فالأقرب منه ﷺ...»<sup>(١)</sup>.

وفي كتابه (الأخلاق والسير) حث على الاقتداء برسول الله ﷺ فقال: «من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بمنه آمين آمين»<sup>(٢)</sup>. وفي كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عد سيرة رسول الله ﷺ دليلا من الأدلة الساطعة والكافية على ثبوت نبوته، فقال: «إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها، تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقا. فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى»<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا الكتاب أيضا، دافع عن عصمة النبي ﷺ وإخوانه الأنبياء

(١) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٦.

(٢) الأخلاق والسير، ابن حزم، ص ٢٣.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٩٠ / ٤.

ﷺ. فبيّن في البداية أن الناس مختلفون في هذه المسألة ومنقسمون فيها إلى ثلاثة طوائف<sup>(١)</sup>:

- الطائفة الأولى: ذهبت إلى أن رسل الله يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشا الكذب في التبليغ، ومنهم من جَوّز عليهم الكذب في التبليغ أيضا.

- الطائفة الثانية: ذهبت إلى أن الرسل ﷺ لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا، وجَوّزوا عليهم الصغائر بالعمد.

- الطائفة الثالثة: ذهبت إلى أنه لا يجوز ألبتة أن يقع من نبي أصلا معصية بعمد، لا صغيرة ولا كبيرة.

وقد تبني ابن حزم رأي الطائفة الثالثة<sup>(٢)</sup>، ثم ذكر حجج الطائفة الأولى؛ وهي عبارة عن آيات قرآنية وأخبار موضوعها حياة الأنبياء ﷺ، آدم فمن بعده<sup>(٣)</sup>. إلى أن ذكر حججهم المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ. وأهمها: قصة عبس وتولى، وقصة الغرانيق، وتأخر الوحي بسبب عدم تقديم النبي ﷺ المشيئة،

(١) نفسه، ٤/٢-٣.

(٢) نفسه، ٤/٢-٣.

(٣) نفسه، ٣-٢١.

وقصة زينب بنت جحش، وقبوله ﷺ الفداء في أسارى بدر، وقوله ﷺ أنه لو كان مكان النبي يوسف ﷺ لأجاب الداعي الذي دعاه للخروج من السجن، وسهوه ﷺ في الصلاة، وما زعمه بعضهم من شكّه في الوحي<sup>(١)</sup>.

ولم يفته أن يفند حجج هذه الطائفة بالبراهين الضرورية الواضحة، وكمثال على ذلك قوله في رد قصة الغرائق: «وأما الحديث الذي فيه (وأنهن الغرائق العلى وأن شفاعتهن لترتجى)، فكذبٌ بحثٌ موضوعٌ؛ لأنه لم يصح قط من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، فلا حجة لهم فيها؛ لأن الأمانى الواقعة في النفس لا معنى لها. وقد تمنى النبي ﷺ إسلام عمّه أبي طالب، ولم يرد الله ﷻ كون ذلك. فهذه الأمانى التي ذكرها الله ﷻ لا سواها، وحاشا لله أن يتمنى نبي معصية، وبالله التوفيق...»<sup>(٣)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن حزم رحمه الله لم يكن يدخر وسعا في نصرة دين

(١) نفسه، ٢١-٣١.

(٢) الحج/٥٢.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٢٣/٤.

الإسلام والذب عن النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك بشتى الوسائل المتاحة لديه آنذاك، سواء بلسانه وفهمه أو بقلمه وبيانه وعلمه. وقد عايش جزءاً من الفترة التي تطاول فيها أهل الكتاب على المسلمين بالأندلس وخيانتهم للعهد، وفي مقدمتهم ابن النغيلة اليهودي، الذي وصل إلى منصب الوزارة في غرناطة أيام حاكمها جبوس وابنه باديس، واستغل تسامح المسلمين فألف كتاباً نال فيه من القرآن ومن الرسول عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>. ولما علم ابن حزم بخبره، أخذ يبحث عن كتابه للرد عليه، ولم يهدأ له بال حتى عثر على نسخة رد فيها عليه رجل مسلم غيور على دينه، فنسخ الفصول التي نقلها ذلك المسلم من كتاب ابن النغيلة، وشرع في الرد عليه في رسالة قال في مقدمتها: أن من تقلّى قلبه للعداوة للإسلام وأهله، ودُوِّبَ كبده ببعضه الرسول ﷺ من اليهود، قد أطلق لسانه وأرعى عنانه، وأطغى توافر الذهب والفضة عنده همته، فألف كتاباً قصد فيه - بزعمه - إلى إبانة تناقض كلام الله ﷻ في القرآن، اغترارا بالله تعالى أولاً، ثم بملك ضعفة ثانياً، واستخفافاً بأهل الدين والرياسة<sup>(٢)</sup>. ثم قال: «فلما اتصل بي

(١) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الصفحات: ٢٠-٢١، ١٠٦-١٠٧، ٢٢٩-٢٣٩.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسي، ٤٣/٣-٤٣.

أمر هذا... لم أزل باحثاً عن ذلك الكتاب الخسيس لأقوم فيه بما أقدرني الله ﷻ عليه من نصر دينه بلساني وفهمي، والذب عن ملته ببياني وعلمي، إذ قد عدمها، والمشتكى إلى الله ﷻ؛ ووجود الأعوان والأنصار على توفية هذا... حقه الواجب عليه، من سفك الدماء واستيفاء ماله وسبي نسائه وولده، لتقدمه طوره وخلعه الصغار عن عنقه، وبراءته من الذمة الحاقنة دمه، المانعة من ماله وأهله، وحسبنا الله ونعم الوكيل. فأظفري القدر بنسخة رد فيها عليه رجل من المسلمين، فانتسخت الفصول التي ذكرها ذلك الراد عن هذا... وبادرت إلى بطلان ظنونه الفاسدة، بحول الله وقوته...<sup>(١)</sup>.

وبعد أن ذكر ابن حزم بعضاً من السمات الشخصية لابن النغيلة اليهودي وسبب تأليفه لهذه الرسالة التي رد فيها عليه، أخذ يفند شبهاته الواحدة بعد الأخرى، ومنها قوله بأن خطاب الله ﷻ لرسوله ﷺ في الآية ٩٤ من سورة يونس<sup>(٢)</sup>، يعني أنه كان في شك مما ادعاه. فرد عليه ابن حزم بقوله: «وَلْيَعْلَمَ أَنْ (إن) في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط؛ لأن من المحال العظيم الذي لا

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي، ٣/ ٤٢-٤٣.

(٢) فيها يقول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.

يتمثل في فهم من له مسكة، أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه وينازع فيه أهل الأرض، ويدين به أهل البلاد العظيمة، ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون، ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون... وإنما معنى (إن) هاهنا: الجحد، فهي هنا بمعنى (ما). وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية، كما قال تعالى آمرا نبيه ﷺ أن يقول: ﴿إِنِّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَكَاشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>، بمعنى: ما أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون... فعلى هذا المعنى خاطب نبيه ﷺ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾<sup>(٢)</sup>. ثم قال تعالى: ﴿فَسَلِّ الْأَذِينَ يَفْرُءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>(٣)</sup>، بمعنى: ولا أعداؤك الذين يقاتلونك من الذين أوتوا الكتاب من قبلك، ما هم أيضا في شك مما أنزلنا إليك، بل هم موقنون بصحة قولك، وإنك نبي حق، رسول الله ﷺ، لا شك عندهم في أن الذي جاءك الحق...»<sup>(٤)</sup>.

والحقيقة أن الإساءة إلى الرسول ﷺ والقرآن والإسلام، لم تصدر من

(١) الأعراف/ ١٨٨.

(٢) يونس/ ٩٤.

(٣) يونس/ ٩٤.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، ٣/ ٥٣.

ابن النغريّة اليهودي فحسب، بل حتى من بعض نصارى الأندلس وبشكل علني وعبارات قبيحة وسب وشتم فظيع.

ففي أواخر أيام الأمير عبد الرحمن الثاني (٢٠٩ - ٢٣٨ هـ)، أثار نصارى الأندلس فتنة في قرطبة ما بين سنتي ٢٣٦ هـ و ٢٤٦ هـ، عُرفت في التاريخ باسم (حمى الاستشهاد). إذ لجأ قسيس من قرطبة اسمه إيولوجيوس إلى تحريض من له تأثير عليهم على تقديم أنفسهم ضحايا ليفوزوا بالشهادة ويصبحوا قديسين. فخرج في سنة ٢٣٥ هـ راهب يُدعى بيرفكتوس إلى السوق في قرطبة - وكانت آنذاك عاصمة دولة الأندلس المسلمة - وجعل يصبّ وابلا من الشتائم على النبي ﷺ، وزعم أنه دجال ومولع بالجنس. فألقي به في السجن وأُعدم يوم عيد الفطر، فجعله أسقف قرطبة ورهبانها قديسا، ونسبوا إليه المعجزات. وبعد أيام، جاء قسيس اسمه إسحاق أمام القاضي مدّعا أنه يريد اعتناق الإسلام، ثم أخذ يشتم الرسول ﷺ والإسلام. فضبط القاضي نفسه وكظم غيظه وحاول نصحه وإرجاعه عن غيّه فلم يفلح، واضطر عند ذلك إلى لفظ الحكم بإعدامه، فاعتبرته الكنيسة قديسا. ولم تمض إلا أيام قلائل على إعدام إسحاق حتى ثارت ثائرة الجنون بين عدد من المسيحيين، فقاموا بدورهم بالتهجم على الرسول ﷺ واستمروا على ذلك. ولم تتوقف حمى الإساءة إليه ﷺ، إلا حينما أمر الأمير

محمد (٢٣٨ - ٢٧٨ هـ) بإعدام إيولوجيوس، وحينما بلغ عدد المتعصين الذين أعدمتهم السلطة المسلمة نحو الخمسين. وقد سجل المؤرخون بعد ذلك، حادثتين منفصلتين من هذا النوع، وقعت إحداهما في سنة ٢٨٠ هـ<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا التعدي السافر على حرمة الرسول ﷺ، هو ما دفع ابن حزم - ربما - إلى الحديث في (المحلى)<sup>(٢)</sup> عن حكم من سب رسول الله ﷺ، لأنه - أولا - كان قريب عهد بهذه الأحداث، ولأنه - ثانيا - قد عايش أحداثا شبيهة بها.

وقد تصدى للدفاع عن الرسول ﷺ وعن المقدسات الإسلامية في الأندلس بعد ابن حزم، ثلة من العلماء الأفاضل، منهم: أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ) وأحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي (ت ٥٨٢ هـ) والقرطبي (القرن السابع الهجري).

- بالنسبة لأبي الوليد الباجي، فقد كتب ردا على رسالة بعث بها راهب

(١) محنة العرب في الأندلس، أسعد حومد، الصفحات ١٨١-١٨٢ و ١٩٠-١٩١؛ والدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص ١٦٤-١٦٧؛ وسيرة النبي محمد، كارين أرمسترونج، ص ٣٢-٣٧.

(٢) المحلى، ابن حزم، ١١/٤٠٩-٤١٨.



فرنسي إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة يدعوه فيها للنصرانية، قال فيه: «ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك، تعيَّنت علينا مفاوضتك فيما رضىناه من مسألتك ومعارضتك فيما اخترناه من منهجك في النصح الذي يجري إليه الفضل، وأمرنا الله به على ألسنة الرسل. وكفنا عن معارضتك ما استقبحناه من خطابك، وسخطنا من كتابك، وسب الرسل الكرام والأنبياء المعظمين ﷺ»<sup>(١)</sup>.

- وبالنسبة لأحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي دفين فاس<sup>(٢)</sup>، فقد رد على شبهاة قسيس قوطي بطليطة، في كتاب له سماه (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان أو مقامع هامات الصلبان وروائع روضات الإيمان)<sup>(٣)</sup>. وفيه ذكر أهم مطاعن الأساقفة في الإسلام ونبه عليه الصلاة والسلام، ووصفها بأنها أكاذيب. ومن هذه الأكاذيب: أنهم ادعوا أن محمدا ﷺ كان يقول لقومه إنه لن يموت ولكنه سيُرفع إلى السماء، فلما مات تركوه يومين حتى

(١) رسالة راهب فرنسا ورد أبي الوليد الباجي عليها، ص ٦٥ (نقلا عن كتاب «الجدل الديني

بين المسلمين وأهل الكتاب» لخالد السيوطي، ص ٨٧-٨٨).

(٢) ذكر ابن القاضي ترجمته في (جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس،

١/ ١٤١)، وقال بأنه من أهل قرطبة وسكن غرناطة وقتا ونزل بجاية، وكُفَّ بصره في آخر

عمره وتوفي بمدينة فاس سنة ٥٨٢هـ، ومولده سنة ٥١٩هـ.

(٣) بين الإسلام والمسيحية: كتاب أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق محمد شامة، ص ٤١.

تتن، ثم دفنوه؛ وأنهم تعمدوا نفي معجزاته ولم يذكروا منها شيئاً إلا خبر أم معبد وخبر الذئب. إضافة إلى طعنهم في نظم القرآن الكريم وإعجازه الذي لا يشك فيه إنسان، وجحدهم ما فيه من الإخبار عن المعجزات وعن الغيوب<sup>(١)</sup>. ومن شبه هذا القسيس التي رد عليها الخزرجي، قوله: أن كثيراً من الأساقفة قد ألفوا كتباً تطعن في الإسلام، وأنهم ذكروا الرسول ﷺ وحيله، ورأوا أنه لا فائدة في الشريعة الإسلامية<sup>(٢)</sup>. فرد الخزرجي عليه قائلاً: «وأنا أذكر لك الآن ما يوضح لك كذبهم على سيد الأولين والآخرين، وأكتفي بذكر القليل عن التطويل...»<sup>(٣)</sup>. ثم شرع في تفنيد ما زعمته النصارى من أن النبي ﷺ قد ادعى بأنه لن يموت، معتمداً أدلة قرآنية وحديثية تؤكد أن جميع البشر بما فيهم النبي ﷺ سيموتون، وأنه قد انتقل إلى جوار ربه بالفعل<sup>(٤)</sup>.

- وبالنسبة للقرطبي<sup>(٥)</sup>، فقد ألف كتاباً سماه (الإعلام بما في دين النصارى

(١) نفسه، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) نفسه، ص ٧٨.

(٣) نفسه، ص ١٨٩.

(٤) نفسه، ص ١٨٩-١٩٠.

(٥) يشير بروكليمان في (تاريخ الأدب العربي) إلى أن القرطبي الذي ألف كتاب (الإعلام...)، هو القرطبي مفسر القرآن والمتوفى سنة ٦٧١هـ، وأنه مكتوب ضد رسالة من رسائل =

من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام)، رد فيه على كتاب وقف عليه، منسوب لنصراني بعث به من طليطلة، سماه (تثليث الوجدانية) وتعرض فيه للديانة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

أما في المغرب الأقصى، فقد ألف القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) كتابا في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ، سماه (الشفاء).

قال عنه ابن فرحون في (الديباج) أنه: «أبدع فيه كل الإبداع، وسلم له أكفأؤه كفايته فيه، ولم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه. بل تشوّفوا للوقوف عليه، وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله الناس عنه، وطارت نسخته شرقا وغربا»<sup>(٢)</sup>. وحاول الدكتور أحمد جمال العمري أن يبيّن أهمية هذا

---

=طليطلة. بينما يرى صاحب كتاب (الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس)، أنه يصعب تأكيد صحة نسبة أو عدم نسبة هذا الكتاب له. انظر: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس لخالد السيوطي، ص ٨٩-٩١.

- (١) انظر: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد السيوطي، ص ٨٧-٩٠.
- (٢) الديباج المذهب، ابن فرحون، ٤٩/٢، ورغم ذلك لم يسلم الكتاب من النقد فهذا الحافظ الذهبي يقول فيه «لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقده في فن الحديث ولا ذوق، والله يشبهه على حسن قصده، وينفع ب «شفائه»، وقد فعل، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحة التنزيل عن=

الكتاب وأين يتجلى فيه إبداع القاضي عياض، فقال: «لقد وجدت أن الرجل يتخذ الجانب التاريخي محورا، ولم يجعل الأحداث المتصلة بالدعوة الإسلامية متكأ. بل أخذ ينظر في القرآن الكريم وفي السنة المشرفة، ويستخرج منها عناصر السيرة النبوية وما يتصل بالرسول الكريم ﷺ وشخصيته ومكانته عند الله والناس. وتلك كانت دراسة رائدة وطريقة متفردة»<sup>(١)</sup>. وقال كذلك: «السيرة النبوية في مفهومه وعقله، ليست مجرد سرد للحوادث، وإنما هي تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات متفاعلة الجزئيات»<sup>(٢)</sup>.

وعن سبب تصنيف (الشفاء)، قال القاضي عياض في مقدمته، أنه جاء تلبية لمن طلب منه تأليف مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من توقير وإكرام، وما حُكم من لم يُوفَّ واجب عظيم

=الأحاديث، وبها تواتر من الأخبار عن الأحاد، وبالأحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات، فلماذا يا قوم نشبع بالموضوعات، فيتطرق إلينا مقال ذوي الغل والحسد، ولكن من لا يعلم معذور»، ينظر سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٦).

(١) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، ص ٩.

(٢) نفسه، ص ٤٩٨.

ذلك القدر، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر؛ وأن يجمع له ما  
لأسلافهم وأئمتهم في ذلك من مقال، ويبيّنه بتنزيل صور وأمثال<sup>(١)</sup>.

وقد قسم القاضي عياض كتابه هذا إلى أربعة أقسام رئيسة، وكل قسم منها  
يضم مجموعة من الأبواب والفصول<sup>(٢)</sup>:

- القسم الأول: في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي قولاً وفعلًا،  
وتوجّه الكلام فيه في أربعة أبواب.

- القسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام،  
ويترتب القول فيه في أربعة أبواب.

- القسم الثالث: فيما يستحيل في حقه، وما يجوز عليه شرعاً، وما يمتنع  
ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه.

وحسب تعبيره، فإن (القسم الثالث) بالنسبة إليه، هو سرّ الكتاب، ولباب  
ثمرة هذه الأبواب. وما قبله، له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما أورده  
فيه من النكت البينات. وهو الحاكم على ما بعده، والمنجز من غرض هذا

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١/ ١١-١٢.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١/ ١٣-١٤.

التأليف وعده<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن القاضي عياضا كان موفقا في المنهج الذي تبناه والتزمه، ولهذا قال الدكتور أحمد جمال العمري: «ولقد كان الرجل أمينا ودقيقا في تحديد مساره العلمي، حيث حدد غرضه من تأليفه في (بيان ما يجوز وما لا يجوز في حقه ﷺ)، وهو موضوع (الباب الثالث) من الكتاب، وما قبله من فصول جعله تمهيدا أو تقديمًا لهذا الباب»<sup>(٢)</sup>. وقال أيضا: ونظرة فاحصة في خطة كتابه، نجد ما يلي:

(١) أنه خصص (القسم الأول) لدراسة شخصية الرسول ﷺ كما رسمها القرآن الكريم، وحدد معالمها الحق تبارك وتعالى رب العالمين.

(٢) أنه خصص (القسم الثاني) لدراسة حقوق الرسول ﷺ من قبل المسلمين.

(٣) أنه خصص (القسم الثالث) لدراسة شخصية الرسول ﷺ من جانبين: من جانب النبوة ومن الجانب الإنساني.

(٤) أنه خصص (القسم الرابع) لإبراز موقف الشريعة من العداوة للرسول ﷺ.

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١/ ١٤.

(٢) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، ص ٥١٦.

ثم تساءل قائلاً<sup>(١)</sup>: ولماذا يا ترى كان الموضوع الأساسي في (الشفاء)، هو بيان ما يجوز وما لا يجوز في حق الرسول ﷺ؟

لأن قضية العصمة – كما قال – كانت هي أهم قضية شغلت الفكر الإسلامي في ذلك العصر وقبله، وكانت تحتاج إلى لون من المناقشة الموضوعية لإبراز كنهها وما يتصل بها<sup>(٢)</sup>. ولأن القاضي عياضاً إنما ركز على موضوع العصمة، لأن المغرب العربي قد ابتلي بمن ادعاها، وذلك في حياته هو نفسه<sup>(٣)</sup>. فقد ادعاها – آنذاك – المهدي بن تومرت الموحدية (ت ٥٢٤هـ)، وخالف بذلك عقيدة المغاربة السنية التي يدين بها القاضي عياض، والتي تقرر فيها تقرر، أن لا عصمة لأحد من الناس غير الأنبياء، أضف إلى ذلك ما كانت تستلزمه قضية العصمة من مظاهر التشيع<sup>(٤)</sup>.

ولكي يثبت القاضي عياض عصمة الرسول ﷺ، لجأ إلى رد أدلة من جوزوا صدور الصغائر من الأنبياء عن طريق تأويلها أو توهينها، فنتج عن ذلك

(١) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، ص ٥١٦.

(٢) نفسه، ص ٥١٦-٥١٧.

(٣) نفسه، ص ٥٢١.

(٤) نفسه، ص ٦٥-٦٧.

اصطباغ (الشفاء) بالطابع الجدلي القائم على المناقشة وتوجيه الآراء. ولهذا نجده يورد نقاط الخلاف ويتعقبها واحدة بعد أخرى، محللاً ومفنداً ادعاءات المخالفين، ادعاء بعد ادعاء؛ كما نراه يحاصرهم من كل جهة بحججه النقلية والعقلية<sup>(١)</sup>.

ومما يجب التنبيه إليه كذلك، هو أن القاضي عياضاً رحمته الله حينما كان يثبت العصمة للرسول وفي مقدمتهم المصطفى ﷺ، فكأنه كان يلمح إلى نفيها عن غيرهم. ومن المحتمل أن يكون رأى تطاول بعض الناس على الرسول واجترأهم عليهم، فكتب كتابه هذا؛ ولذلك نجده يطيل القول في حكم من نال من الرسول ﷺ بأي شكل من الأشكال<sup>(٢)</sup>.

بقي أن نشير في الأخير - ولو باختصار شديد - إلى علم آخر من أعلام المغرب في القرن الحادي عشر الهجري ممن دافعوا عن رسول الله ﷺ، هو أحمد بن قاسم الحجري أوقاي المورسكي الأندلسي، الذي هاجر من إسبانيا إلى المغرب الأقصى فراراً بدينه. فقد ألف كتاباً سماه (رحلة الشهاب إلى لقاء الأحاب)، ثم اختصره في كتاب آخر سماه (ناصر الدين على القوم الكافرين).

(١) نفسه، الصفحات ٥١٦-٥١٧، ٥٢٢.

(٢) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، ص ٥٢١-٥٢٢.



وفيه يذكر ما وقع له من الكلام والمناظرات مع اليهود والنصارى في فرنسا وهولندا، وذلك أثناء سفارته عن السلطان زيدان إلى هذين البلدين. ومما جاء في (الباب التاسع) من كتابه (ناصر الدين على القوم الكافرين)، مناقشة دارت بينه وبين أحد القضاة الفرنسيين في مدينة (بوربدو) بفرنسا حول بعض الأكاذيب التي افتراها أعداء الإسلام على الرسول ﷺ، رواها على الشكل التالي فقال: «وقد وقع كلام مثل هذا في مدينة برضيوس مع القاضي المسمى فيرض... وقال لي: يا فلان، تعجبتُ منك كيف أنت على دين المسلمين؟ قلت له: لماذا؟ قال: لأن عندنا في كتبنا أن المسلمين يزورون مكة ليروا نبهم في الهواء في وسط حلقة حديد في الهواء، لأن الحلقة في الهواء في وسط قبة حجر المغناطيس، والمعروف منه أنه يجذب الحديد، والجذب في القبة على حدّ سواء من كل جهة، وتبقى الحلقة في الهواء بنبيكم، والمسلمون يعتقدون أن ذلك معجزة لنبيهم. قلت له: هل يجوز في دينكم لأحد أن يكذب وإن كان بنية تقبيح دين غيره لتحسين دينه وتزيينه لأهل ملته؟ قال: لا يجوز ذلك. قلت: النصارى الذين قالوا ذلك أذنبوا ذنبا كبيرا في دينكم. قال: كيف ذلك؟ قلت: لأن النبي ﷺ ليس هو بمكة، وليس هو في حلقة الحديد، بل هو مدفون في المدينة، وبينها وبين مكة عشرة أيام. والمسلمون يزورون الكعبة، لأنها دار مباركة، بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام قال:

زُرتها أنت ورأيت قبر نبيكم تحت الأرض؟ قلت له: لا، ولكن الذين مشوا  
عندنا يقولون ذلك من غير اختلاف، وهي مسألة لا شك فيها...»<sup>(١)</sup>.  
إلى هنا ننهي هذا الموضوع، وإن كنا نرى أننا لم نوفه حقه بالدراسة، وصلى  
الله على سيدنا محمد المبعوث بالمعجزات الواضحات، والحمد لله الذي بنعمته  
تتم الصالحات.

\*\*\*

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين، أحمد أفوقاي الحجري، ص ٧٩-٨١.

## قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم، برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي.

ثانياً: المصادر والمراجع.

(١) الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي، بيروت: اللجنة الدولية لترجمة الروائع،

١٩٦١م.

(٢) بحوث في السيرة النبوية، سعيد المغناوي، فاس: مطبعة أنفوبرانت، ط١،

١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز

البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة: دار هجر، ط١،

١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٤) بين الإسلام والمسيحية: كتاب أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق وتعليق محمد عبد الغني

شامة، وكتب مقدمته سنة ١٩٧٢م، مكتبة وهبة.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن،

بيروت، القاهرة: دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، ط١٣، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

(٦) تقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية، صلاح

الصاوي، العدد الأول من سلسلة تقريب التراث، دار الإعلام الدولي.

- (٧) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- (٨) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
- (٩) جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٣م.
- (١٠) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣م.
- (١١) الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي، غني بنشره جماعة من طلاب العلم سنة ١٣٥٢هـ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- (١٢) الدعوة إلى الإسلام، أرنولد توماس، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٧٠م.
- (١٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٢م.
- (١٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨١م.
- (١٥) سنن أبي دود السجستاني، بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- (١٦) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شليبي، بيروت: دار الكتب العلمية.

- (١٧) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م.
- (١٨) سيرة النبي محمد، كارين أرمسترونج، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، القاهرة: شركة سطور، ط٢، ١٩٩٨م.
- (١٩) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض السبتي، تقديم كمال بسيوني زغلول المصري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- (٢٠) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، ابن تيمية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- (٢١) صحيح البخاري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (٢٢) صحيح مسلم، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، الرياض: بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- (٢٣) العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ابن عابدين، طبعة حجرية، بهامشها كتاب الفتاوى الخيرية لنفع البرية على مذهب الإمام أبي حنيفة.
- (٢٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، دار الفكر، ١٩٨٠م.
- (٢٥) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، ابن كثير، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو
- (٢٦) الفلك المشحون في أحوال محمد ابن طولون، محمد ابن طولون الصالحي الدمشقي، عنيت بنشره مكتبة القدسي والبدير، دمشق: مطبعة الترقى.

- (٢٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، عني بتصحيحه محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بليكة الكليسي، تقديم آية الله العظمى شهاب الدين النجفي المرعشي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- (٢٨) مجموعة رسائل ابن عابدين، نسخة مصورة إلكترونية ومتاحة على شبكة الإنترنت، ونسختها الأصلية مطبوعة طبعة قديمة لم يشر فيها لدار النشر وتاريخه.
- (٢٩) المحلى، ابن حزم الظاهري الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع محنة العرب في الأندلس، أسعد حومد، بيروت: المؤسسة العربية، ط ٢، ١٩٨٨ م.
- (٣٠) مغازي الواقدي، تحقيق مارسدن جونس، بيروت: عالم الكتب، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط ١٤١٦ هـ، ٧، ١٩٩٦ م.
- (٣١) ناصر الدين على القوم الكافرين، أحمد بن قاسم الحجري أوقاي الأندلسي المورسكي، تحقيق محمد رزوق، الدر البيضاء: منشورات كلية الآداب، ط ١، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

\*\*\*



# الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

إعداد

**سهيل حسن عبد الغفار**

الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد - باكستان







## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>،  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ،  
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

إن حب النبي ﷺ إيمان تَخَفُقُ به القلوب، ودمٌ يَجْرِي في العروق، وذكرٌ تلهج به الألسنة؛ لأن الله جعل له المقام الأرفع والمكان الأسمى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ❶ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ❷ وهو عليه الصلاة والسلام نبي الرحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ❸ وهو رسول الصدق ﷺ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ ❹ وهو صاحب المقام المحمود ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ❺.

إن محبة النبي ﷺ أصل من أصول الإيـمان، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَصُّوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ❶ فالله جل وعلا جمع في هذه الآية كل محبوبات الدنيا، وكل متعلقات القلوب، وكل مطامع

(١) الشرح: ١-٢.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) الزمر: ٣٣.

(٤) الإسراء: ٧٩.

(٥) التوبة: ٢٤.

النفوس، ووضعها في كِفَّةٍ، وَحُبَّ الله وَحِبَّ رسوله في كِفَّةٍ.

وفي الحديث الصحيح المشهور قوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن من لوازم حبه ﷺ الذبُّ عن عِرْضِهِ، وَالْغَيْرَةُ عَلَى سُنَّتِهِ، وَالْحَمِيَّةُ لَهُ إِذَا مَا قَدْ يُوَجَّهُ إِلَى جَنَابِهِ الْكَرِيمِ مِنْ إِسَاءَةٍ لَا تَضُرُّ مَقَامَهُ، وَلَا تَنْقُصُ مِنْ قَدْرِهِ قَطْعًا وَيَقِينًا، لَكِنَّا تَوَثَّرَ فِي قُلُوبِ مُحِبِّيهِ، وَتَشَعَّلَ فِي نَفُوسِهِمْ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُجَرِّكُهُمْ لِلانْتِصَارِ لِنَبِيِّهِ ﷺ.

إن المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية كانوا من السَّبَّاقِينَ إِلَى هَذَا الْخَيْرِ، فَلَمْ يَتَأَخَّرُوا أَبَدًا عَنْ نُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ فَدَوْهُ بِأَرْوَاحِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَعْرَاضِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ كَمَا نَرَى فِي الْحَوَادِثِ الَّتِي مَرَّتْ بِهِمْ فِي الْهِنْدِ بِأَيْدِي غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ فِي بَاكِسْتَانِ تَارَةً بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسَهُمْ، وَتَارَةً بِأَيْدِي غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَارَةً بِأَيْدِي النَّحْلَةِ الْقَادِيَانِيَّةِ، فَقَامُوا بِحَرَكَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ كَمَا فَصَّلْتُ فِي بَحْثِي حَتَّى نَجَحُوا فِي تَحْقِيقِ مَطَالِبِهِمْ، وَنَصَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَعْدَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَقَدْ حَاوَلْتُ إِبْرَازَ جُهِودِ مُسْلِمِي شِبْهِ الْقَارَةِ فِي هَذَا الْبَحْثِ؛ لِنُصْرَةِ

(١) صحيح البخاري: حديث رقم ١٤ صحيح مسلم حديث رقم ٦٣.

النبي ﷺ، والدفاع عنه حسب الخطّة التالية:

- تمهيد: لمحة تاريخيّة عن دخول الإسلام في الهند.
- الفصل الأول: الحملات المُغرِضة ضد النبي ﷺ.
  - المبحث الأول: ادّعاء النبوة من المُتنبئ الكذاب مرزا غلام أحمد القاديانيّ.
  - المبحث الثاني: حركة إنكار حُجّيّة السنة.
  - المبحث الثالث: تأويل السنة النبوية من العقلائيّين.
  - المبحث الرابع: الإطراء والغلو في مقام النبي ﷺ.
- الفصل الثاني: دور العلماء وعامة الشعب في مقاومة هذه الحملات.
  - المبحث الأول: التّأليف والتصنيف.
  - المبحث الثاني: المناظرات.
  - المبحث الثالث: المسيرات والحملات الشعبية.
  - المبحث الرابع: إصدار الفتاوى.
- الفصل الثالث: دور القضاء تجاه هذه الفتن
  - المبحث الأول: الأحكام الصادرة من المحاكم المختلفة ضد القاديانيّة.



## الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

- المبحث الثاني: الأحكام الصادرة ضدَّ غير المسلمين.
  - المبحث الثالث: دور العلماء في الدفاع عن النبي ﷺ في المحاكم.
  - الفصل الرابع: دور المجالس البرلمانية تجاه هذه الفتن
  - المبحث الأول: دور البرلمان الباكستاني في إصدار قرار يقضي بتكفير الطائفة القاديانية.
  - المبحث الثاني: إصدار قانون للحفاظ على مقام الرسالة.
- وإنني إذ أقدم هذا البحث إلى مؤتمر نبي الرحمة ﷺ أرجو أن يتقبل الله هذا الجهد المتواضع ويجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

\*\*\*

## تمهيد

### نَمَحة تاريخية عن دخول الإسلام في الهند

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد سطعت شمس الإسلام على الأراضي الهندية في عصر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين حيث كان التجّار العرب والبحّارة كانوا يرتادون شواطئ الهند الغربية؛ لغرض التجارة، فكانوا يُجَرُّون من سيراف<sup>(١)</sup> والأبلة<sup>(٢)</sup> ومرورا لشواطئ الهند الغربية وجزيرة سرّنديب<sup>(٣)</sup> كانوا يصلّون إلى شواطئ الهند الشرقية، وكانت مقاطعات السّند<sup>(٤)</sup>

---

(١) مدينة كبيرة على ساحل البحر كانت قديماً فرضة الهند وخربت بعدما عمرت جزيرة قيس. مراصد الاطلاع ٧٦٥/٢.

(٢) الأبلة، بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها - بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. مراصد الاطلاع ١٨/١.

(٣) سرنديب: جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند. مراصد الاطلاع ٧١٠/٢.

(٤) السند: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان قصبتها المنصورة. مراصد الاطلاع ٧٤٦/٢، وحاليا هي ولاية من ولايات باكستان تقع في جنوبها على ساحل بحر العرب.

ومليبار<sup>(١)</sup> وكجرات<sup>(٢)</sup> على سواحل البحر الهندي.

وبدأت حملات المسلمين على الهند في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما ذكر ابن كثير في أحداث سنة ثلاث وعشرين هجرية راوياً عن ابن جرير الطبري عن فتح مكران، فقال: وذكر فتح مكران على يدي الحكم بن عمرو، وأيده شهاب بن المخارق بن شهاب، وسهيل بن عدي، وعبد الله بن عبد الله، فاقتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة وكتب الحكم بن عمرو بالفتح، وبعث بالأخماس مع صحرار العبدي<sup>(٣)</sup>.

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء حكيم بن جبلة العدوي؛ لتفقد أحوالها فأتى مكران<sup>(٤)</sup>، وفي عهد الخليفة الراشد علي بن

(١) مليبار: قال الحموي: مليبار إقليم كبير عظيم يشتمل على مدن كثيرة ويقع في جنوب الهند على ساحل البحر. رجال السند والهند ص ٤٤.

(٢) مدينة على الساحل الهندي في بحر العرب.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ١٧٧، تحقيق د. عبدالله التركي، هجر للطباعة والنشر، ط / ١، ١٤١٨ هـ، وتاريخ الطبري ٤ / ١٨١ - ١٨٢.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٠، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط / ٢، ١٤٠٥ هـ.

أبي طالب ﷺ جمع الحارث بن مرة العبدي جمعا وسار إلى بلاد مكران، فظفر وغنم، وأتاه الناس من كل وجه، فجمع له أهل ذلك الثغر جنداً، فقتل من كان معه إلا عصابة يسيرة، فلم يُغز ذلك الثغر حتى كان أيام معاوية<sup>(١)</sup>.

وفي زمن معاوية بن سفيان ﷺ سنة ٤٢ هـ حيث ولّى عبد الله بن عامر راشد بن عمرو الجديدي ثغر الهند، فأقام بها، وشن الغارات، وأوغل في بلاد السند<sup>(٢)</sup>.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٩٣ هـ (٧١٢ م) فتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد السند وملتان، وأسس دولة إسلامية على مساحة واسعة من الهند<sup>(٣)</sup>، ولأسباب سياسية عزل الخليفة سليمان بن عبد الملك محمد بن القاسم، ثم قتله، وجاء بعده أمراء من الدولة الأموية والعباسية، ومن ثم وقف الفتح الإسلامي، لكن بقيت شوكة المسلمين في هذه البلاد إلى عصر الخليفة المأمون.

ثم نشأت الخلافات والعصبيات بين النزاريين واليمنيين، وانتهت إلى استقلال الدولة الهبارية المحلية التي أسستها أسرة الهباري بالمنصورة سنة

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٠.

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٥.

(٣) نفس المصدر ص ٣٠٤، البداية والنهاية ١٢ / ٤٤٤ - ٤٤٥، رجال السند والهند ص ٢٧.





## الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

٢٤٠هـ، ثم استقل بنو ساته بالحكم في ملتان سنة ٢٩٠هـ، وبعد استقلال هاتين الدولتين ضعُف ارتباط السُّند بعاصمة الخلافة.

ثم ظهرت فتنة الباطنية الإسماعيلية في أواخر القرن الرابع الهجري التي هدّدت كيان هاتين الدولتين وجرت المشاكل على أهل السنة حتى جاء السلطان محمود الغزنوي، وسعى؛ لاستئصال جذورها، وبقيت دولة المنصورة إلى غزو السلطان محمود الغزنوي سنة ٤١٦هـ، أما دولة ملتان فبقيت إلى سنة ٧٥٢هـ إلى عهد السلطان فيروز شاه الخلجي دولة مستقلة حرة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: جهود مخلص في خدمة السنة المطهرة. د. عبد الرحمن الفريوائي ص ٢٠-٢٢، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية بنارس، الهند ط/ ٢، ١٤٠٦هـ.





## الفصل الأول

### الحمّلات المُعْرِضَة ضد النبي ﷺ

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: ادّعاء النبوة من المُتنبئ الكذاب مرزا غلام أحمد القادياني.
- المبحث الثاني: حركة إنكار حُجَّةِ السنة.
- المبحث الثالث: تأويل السنة النبوية من العقلائيِّين.
- المبحث الرابع: الإطراء والغلوُّ في مقام النبي ﷺ.



## المبحث الأول

### ادعاء النبوة من المتنبي الكذاب مرزا غلام أحمد القادياني

#### التعريف بالقاديانيّة:

القاديانيّة حركة دينيّة نشأت في النّصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي في بلاد الهند بدعم وتخطيط من الاستعمار الإنجليزي بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وإخضاعهم للسياسات، والثقافات الاستعماريّة الصليبيّة، وإخماد روح الجهاد والمقاومة في نفوس المسلمين حتى لا يواجهوا المستعمر الدّخيل، وهي تُنسبُ إلى رجل يُدعى الميرزا غلام أحمد القادياني، وقاديان إحدى مُدن مقاطعة بنجاب في الهند<sup>(١)</sup>.

#### من هو القاديانيّ؟

هو غلام أحمد بن الميرزا غلام مرتضى ولد عام ١٨٣٩م أو ١٨٤٠م، عُرِف والده الميرزا غلام مرتضى بمُوالاته للحكومة الإنجليزيّة، ومُساعدتها في إخماد الثورة الإسلاميّة، ومُساندة حكم السيخ الطُّغاة أشد أعداء الإسلام في بلاد الهند. وقد اعترف غلام أحمد بمُوالاة والده للإنجليز، ومن أقواله في ذلك: «لم

(١) أبو الحسن علي الندوي: القادياني والقاديانية ص ١٩.

تبخل عائلتي ولم تَضِنَّ، ولن تبخل، ولن تَضِنَّ بدماء أبنائها في خدمة المصالح الإنجيلية أبداً».

عُرِفَ غلام أحمد القادياني بإصابته بطائفة من الأمراض النفسية والجسدية الفتَّاكة، منها: الهستيريا، التي كانت تُسبِّبُ له نوبات عصبية عنيفة تُؤدِّي إلى إغمائه أحياناً، والماليخوليا، وهو نوع من الجنون، والسُّلُّ وأمراض الصدر، ودُّوَار الرأس، وسلس البول، وقد أُصِيبَ بالمرَضَيْنِ الأخيرَيْنِ منذ ادَّعى بأنه مأمور، وأنه يَتَلَقَّى الإلهامات من الله وَجَلَّ (١).

#### وفاته:

في عام ١٩٠٧م جرى نقاش ومناظرة بين العالم الهندي المشهور مولانا «ثناء الله الأمرتري» والميرزا غلام أحمد القادياني، تحدَّى على إثره القادياني بأن الكاذب المُفترِي منهما سيموت، ودعا الله تعالى بأن يكون الموت في حياة صاحبه، ويسلَّط عليه داءٌ مثل الكوليرا أو الطاعون به يكون موته (٢).

وفي شهر مايو ١٩٠٨م أُصِيبَ القادياني بالهَيْضَةِ (الكوليرا) الوَبائية، وبها كان حَتْفُهُ، وفي قاديان مَسَقَطُ رأسه دُفِنَ غلام أحمد القادياني. وأما مولانا «ثناء

(١) إحسان اهي ظهير: القاديانية ص ٢٢-٢٥.

(٢) القاديانية: ص ١٥٧.

الله الأمر تسري فقد تُوفِّي بعد أربعين سنة من هلاك الكذاب<sup>(١)</sup>.  
خَلَفَ غلام أحمد أحد أتباعه، وهو حكيم نور الدين، ثم خلفه ابنه بشير  
الدين محمود أحمد، وبعد وفاته تولَّى الخلافة الميرزا ناصر أحمد بن بشير الدين  
محمود أحمد.

ولما تأسَّست باكستان عام ١٩٤٧ م، بقيَ جماعة من القاديانيِّين في قاديان في  
الهند، وهجر الباقون بِمَنْ فيهم خليفَتُهُم الراحل بشير الدين محمود أحمد إلى  
باكستان، حيث أسَّس هؤلاء مدينة خاصة بهم سَمَّوها: «ربوة» مستدلين في ذلك  
بقوله تعالى: ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

### العقيدة القاديانية:

لقد تدرَّج الميرزا غلام أحمد في اعتقاداته، فزعم أولاً أنه مُصلِح ومُجدِّد للدين  
ليس إلا، ولما وجد من المسلمين من يُصدِّقُه، زعم بأنه مثيل للمسيح ومُشابه له، ثم  
ادَّعى أنه المسيح الموعود، ولما راجت أفكاره، وكثر أتباعه، أعلن أنه النبي المُحدَّث  
أو النبيُّ الناقص، ثم صرَّح بأنه نبي مُستقل بالوحي، وبشريعة مُستقلة<sup>(٣)</sup>.

(١) القادياني والقاديانية: ص ٢٥، القاديانية: ص ١٥٩.

(٢) المؤمنون، الآية ٥٠.

(٣) القاديانية: ص ١٣٥ - ١٣٩.

إن ادّعاء النبوة من قبل الميرزا غلام أحمد القادياني يقتضي تكفير مَنْ لا يؤمن بها، وهذا ما فعله القاديانيون، إذ ذهبوا إلى تكفير مُنْكَرِي بُبُوَّة القادياني، وصَرَّحوا بذلك علناً في خطبهم وكتاباتهم، وعلى هذا فإن المسلمين جميعاً كفرون؛ لأنهم يعتقدون أن الميرزا غلام رجل ضالٌّ مهووسٌ، ليس بنبي ولا وليٍّ، بل رجل دجال مُدَّعي النبوة، سَبَّقه إلى ذلك كثير من المُتَهَوِّسِينَ الْأَدْعِيَاءِ أمثال مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ الذي ظَهَرَ زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وقُتِلَ في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، وقد أخبر عنهم الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قوله ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن رسول الله محمداً هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه لا نبي بعده. ولا يُنْكَرُ ذلك إلا من هو مُرْتَدٌّ زنديق. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ

(١) سنن الترمذي: كتاب الفتن، رقم الحديث ٢١٤٤، سنن أبي داود: كتاب الفتن، رقم الحديث ٤٢٥٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب، رقم الحديث ٣٤١٣.



بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١﴾.

وقد رَتَّبُوا على تكفيرهم لِمُنْكَرِي بُبُوَّة القادياني:

١. عدم الصلاة على مَوْتَى المسلمين غير القاديانيين، ولقد رفض الميرزا نفسه الصلاة على ولده المتوفى فضل؛ لأنه كان مُحَالِفًا له.
٢. حرمة تزويج بنات القاديانيين لغيرهم، وجواز زواج القادياني من بنات غيرهم، أي: معاملتهم معاملة أهل الكتاب، كما صرَّح بذلك القادياني غلام أحمد نفسه.

٣. عدم صحة الصلاة خلف غير القادياني.

٤. معاملة المسلمين - غير القاديانيين - معاملة الرسول ﷺ للنصارى واليهود.

٥. القادياني أفضل من الأنبياء: وزعم الميرزا غلام أحمد أنه تفوَّق على الأنبياء جميعًا، إذ جُمع ما تفرق في الأنبياء من الصفات في شخصه، وأنه الرَّجُل الذي أراد الله تعالى أن يتمثَّل فيه جميع الأنبياء والمرسلين.

وقد تفوَّق على رسول الله ﷺ في روحانيَّته، ذلك أن روحانيَّة الرسول قد تجلَّت في عصره بصفات إجمالية؛ لأنها لم تبلغ غاياتها وأوجها بعدُ، وتجلَّت هذه

(١) الأحزاب، الآية ٤٠.

الروحانيّات في القرن العشرين في شخص غلام أحمد في أبهى حلّ لها، وأزقى مظاهرها. وقد صمّن هذه المزاعم في كتابه «الخطبة الإلهاميّة»<sup>(١)</sup>.

ولقد صرّح بهذا الاعتقاد الشنيع الميرزا بشير الدين محمود الخليفة الثاني قال: «إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرُّسل... إنه كان أفضل من كثير من الأنبياء، ويجوز أن يكون أفضل من جميع الأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

هذا مجمل سيرة المتنبّي، ونُبذة من عقائده، ولو ذهبنا نُفصّل لاضطررنا إلى تأليف كتاب كامل، وقد بيّن الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمته الله التفاصيل في كتابه: «القاديانيّة: دراسات وتحليل»، ويكفي ما قاله الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمته الله «الدّيانة القاديانيّة هي ثورة على النبوة المحمديّة - على صاحبها الصلاة والسلام - وعلى الإسلام ومؤامرة دينيّة وسياسيّة إن وجد لها نظير في الخطر والضرر على الإسلام، ففي الحركة الإسماعيليّة الباطنيّة التي توالّى كبرها عبيد الله بن ميمون القدّاح في القرن الثالث الهجري، وأشكّ أنّها بلغت مَبْلَغ الأولى القاديانيّة - في أصالة الفساد، ودقّة المؤامرة، ومُعَاداة الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

(١) القادياني والقاديانية: ص ٧٣-٧٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٣.

## المبحث الثاني حركة إنكار حُجَّةِ السُّنَّةِ

إن الاستعمار الإنجليزي من أهم أسباب نشأة فِتْنَةِ إنكار السُّنَّةِ في شبه القارة، وحاول المُستَعْمِرُونَ بشتى الوسائل تَمْزِيقَ صفوف المسلمين، وتشيت وُحْدَتِهِمْ، ولا ريب أنه نجح في تحقيق كثير من أُمْنِيَّاتِهِ، وأن القَادِيَانِيَّةَ، والبريلوية، والإلحادية، ومُنْكَرِي السَّنة كلها نشأت تحت رِعاية الاستعمار؛ لتمزيق الصف الإسلامي المُوَحَّد، ونشر النُّفَرَةِ والكراهية بين المسلمين، ولم يتأخَّر أصحاب هذه الأفكار الزائغة عن تقديم أي خدمة لأسيادهم المُستعمرين، وكذلك لم يَأْلُوا أيَّ جهد في تحريف معاني الكتاب والسنة؛ لتأييد أهوائهم، ما أدَّاهم إلى رفض السنة - جزئياً أو كلياً - التي هي أحد المَصدَريْن الأساسيين للإسلام.

وفيما يلي نذكر بعض خُدام المُستعمرين والمُستشرقين من أعداء الإسلام الذين حرَّفوا معاني الكتاب والسُّنَّة، وأنكروها إذا لم تُوَافِقْ عقولَهُمْ، ولم تُنَاسِبْ أذواقَهُمْ.

١. مرزا غلام أحمد القادياني (ت ١٩٠٧م):

هو المُتَنَبِّئُ الكَذَّابُ المعروف، وكان مُوَالِيًا لِلْحُكْمِ الإنجليزي، فأفتى بعدم

جواز القتال ضد الاستعمار، وأنكر الجهاد بالسيف، وطعن في الأحاديث الواردة في فضله، وكُلُّ ذلك خدمة للاستعمار والمستعمرين.

وأنكر رفعَ عيسى ﷺ ونزوله في آخر الزمان، وحرّف الأحاديث الواردة في هذا الشأن، ثم ادّعى النبوة، وأنكر الأحاديث الواردة التي كانت تُقنّد دعواه الباطلة، وتكشف عن زيغها، وانحرافها<sup>(١)</sup>.

## ٢. السيد أحمد خان (ت ١٨٩٨ م):

هو مؤسس مدرسة في علي كره، وصارت فيها بعد جامعة علي كُره الإسلامية - التي هي الآن إحدى الجامعات العصرية الكبيرة في الهند - وهو أحد مشاهير الشرق كما وصفه أحمد أمين: «وهو في الهند أشبه شيء بالشيخ محمد عبده في مصر، بعد مفارقه للسيد جمال الدين، وعودته من نفيه، والإصلاح عندهما إصلاح العقلية بالثقيف والتهذيب»<sup>(٢)</sup>، وقد ألف السيد أحمد خان تفسيراً، واختار فيه منهج الطبيعة والعقل، وحكّم عقله وأوّل النصوص التي لم تُوافق طبيعته، وعقليته تأويلاً لا تتحمّل اللغة العربية وقواعدها، وأدّى ذلك إلى إنكار المعجزات والأحاديث النبوية الصحيحة التي خالفت عقله حسب زعمه،

(١) صلاح الدين مقبول أحمد: زوايع في وجه السنة قديماً وحديثاً ص ٩٢.

(٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ١٢١.

فَقَبِلَ ما شاء منها، ورفض ما شاء<sup>(١)</sup>.

### ٣. شراغ علي:

تأثر شراغ علي بأفكار السيد أحمد خان؛ لمشاركته معه في ترجمة بعض الكتب، وكانت له مراسلات مع مرزا القادياني وساعد هو أحمد خان في تأليف كتابه براهين أحمدية عام ١٨٧٩-١٨٨٤ م، وبهذا تعرف نزعتة العقديّة والدينيّة بسهولة، فإنه كان يرى أن الحديث غير ضروري من الناحية العقديّة، كما قال بضرورة كتابة بعض أجزاء القانون المدني الإسلامي من جديد<sup>(٢)</sup>.

### ٤. عبد الله جكرالوي (ت ١٩١٤ م):

قد بدأ الجكرالوي نشاطه الهدّام في تأسيس حركة إنكار السنّة في لاهور عام ١٩٠٢ م بعد تأثره بالسيد أحمد خان، ودعا أتباعه إلى إنكار السنة، والاكتفاء بالقرآن، وسماهم أهل الذّكر والقرآن، وصنّف عدّة كُتُبٍ؛ لترويج فكره الضّالّ<sup>(٣)</sup>.

(١) صلاح الدين مقبول أحمد: زوابع في وجه السنة قديما وحديثا ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق ص ٩٦

(٣) المصدر السابق ص ٩٧ وانظر للتفصيل كتاب الدكتور خادم حسين الهي بخش: القرآنيون

وشبهاتهم ص ٢٥-٣٢.

٥. مُحِبُّ الحق العظيم آبادي:

من زعماء حركة إنكار السُّنَّة، وقد تأثَّر بأفكار السيد أحمد خان وعبد الله جكرالوي، ثم ساعد الأخير في نشاطه وتأسيسه حركة إنكار السنة<sup>(١)</sup>.

٦. أحمد الدين الأمرتسري (ت ١٩٣٦م):

لقد استفاد أحمد الدين من أفكار السيد أحمد خان وعبد الله جكرالوي، وأسَّس جماعة (أمة مسلمة)، وأصدر مجلَّة (بلاغ)، وله مؤلَّفات عديدة في ترويج أفكاره<sup>(٢)</sup>.

٧. الحافظ أسلم الجيراجفوري (ت ١٩٥٥م):

لقد تأثَّر الحافظ أسلم بأفكار أحمد الدين، وخاصَّة في مسألة حجب ابن الابن مع عمه، فأنكر السُّنَّة، وبدأ بالتأليف، وألَّف كتابه (تاريخ أمت)، وله كتب عديدة، ويُعتَبَرُ أستاذًا لبرويز الذي تبنَّى أفكاره، وروَّجها في باكستان<sup>(٣)</sup>.

٨. غلام أحمد برويز:

من زعماء طائفة منكري السُّنَّة في باكستان حيث نظَّم جهودهم، وقام

(١) محمد لقمان السلفي: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندًا ومتنًا ص ٤٥٨، ٤٦١.

(٢) القرآنيون وشبهاتهم: ص ٣٣ - ٣٩.

(٣) القرآنيون وشبهاتهم: ص ٤١ - ٤٥.

بنشاط واسع في المثقفين، ونشر كُتُبًا كثيرة في إنكار السنة، وأصدر مجلة (طلوع إسلام)، وجعل مكاتب فكر تحت إدارته، وأطلق عليها اسم (نوادي طلوع إسلام)، وله تأليفات عديدة في نشر أفكاره الضالّة المنحرفة<sup>(١)</sup>.

أبرز شبهاتهم:

١. عدم كتابة الحديث في عصر الرسول ﷺ، ولا في عصر الخلفاء الأربعة.
  ٢. إن الصحابة أدركوا حقيقة نهي النبي ﷺ عن كتابة سُنَنِهِ؛ لذلك نهوا عن كتابتها.
  ٣. إن الأحاديث جُمِعَتْ أول مرّة بعد مائة سنة من وفاة الرسول ﷺ، وقد فُقدَتْ تلك المجموعات، ثم جُمِعَتْ من أفواه الناس في القرن الثالث.
  ٤. إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطًا لا يُمكن بعده التمييز بين الصحيح والموضوع.
  ٥. إن المعايير التي اختارها المُحدِّثون لنقد الحديث لم تكن كافية؛ لِمعْرِفة الصحيح من المغشوش؛ لأنها كلها تدور حول نقد السند ورجاله، أما المتن فلم يَحْظَ باهتمام المُحدِّثين.
- هذه هي بعض شُبُهَاتِهِم التي يُلَوِّكُونَهَا بالسُّتْهِم في أساليب مُخْتَلِفَةٍ، وقد

(١) المصدر السابق ص ٤٧-٥٥، زوابع في وجه السنة ص ٩٩.

ردَّ عليها علماء السنة، وألفوا عنها مؤلَّفات أشبعت الموضوع بحثاً وتمحيصاً<sup>(١)</sup>.

### ردُّ شُبُهَاتِهِمْ:

١. ما ذكره هؤلاء من نهْي النبي ﷺ عن كتابة أقواله «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي» فهو أمر مُطابق للواقع في بداية عهد الإسلام، إذ كان القرآن غَضًّا طريًّا، كما أن قِلَّة الكتابة عند العرب لا يخفي أمرها على من اطلَّع على تاريخهم حينذاك، ولشِدَّة الحذر والحِيطَة نهَاهم النبي ﷺ عن كتابة أقواله؛ خَشْيَة لَبْسِهَا بالقرآن، ثم أَذِنَ لَهُمْ في كتابتها حين أُمِنَ اللَّبْسُ؛ لِمَا صَحَّ من أمره ﷺ بكتابتها لأبي شاه<sup>(٢)</sup>. وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه قال: كنت أكتبُ كلَّ شيء أسمعُه عن رسول الله ﷺ أريدُ حفظه، فنَهَيْتَنِي قريش، وقالوا: تكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ يتكلَّم في الرضا والغضب، فأَمْسَكْتُ عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأصبعه إلى فيه، وقال: «اكتبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ»<sup>(٣)</sup>.

(١) اهتمام المحدثين بنقد الحديث: ص ٤٦٢-٤٦٧، وانظر للتفصيل: القرآنيون وشبهاتهم

ص ٢٠٧-٢٥٦.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم - الحديث رقم: ١١٢ (الفتح).

(٣) سنن أبي داود: كتاب العلم - باب كتابة العلم - الحديث برقم ٣٦٤٦.



٢. إن من المعروف لدى أهل العلم بأن بداية تدوين السُّنة تعود إلى الرسول ﷺ نفسه مثل تدوينه الرسائل إلى الملوك والأمراء، وتدوينه أنصبة الزكاة، ثم إن الصحابة أسَّهَمُوا في تدوينها ولو بطريقة غير رسمية، كما أن عهد التابعين يَزَخِرُ بالتدوين أيضًا، وتدلُّ الدراسات أن أوَّل مؤلَّف مُنَظَّم جمع السُّنة هو مُوطَّأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ) إمام دار الهجرة، ثم تتابعت التَّأليفات في السنة، فدوَّن الإمام الشافعي المُطليبي (ت ٢٠٤هـ) منها في كتبه المتعددة من الأم، والرسالة، والمُسند، وتبعه الحميدي القرشي (ت ٢١٩هـ) بالتَّدوين أيضًا في مسنده، ثم أعقبها إمام السُّنة أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) بمسنده، والدارمي (٢٨٠هـ) بسُنَّته، ثم جاء بعدهم من فَحَصَ السنة، وميَّزَ صحيحها من سقيمها، وهذا ما قام به أصحاب الكتب السُّنة، فقد أبانوا في مُصَنَّفَاتِهِم الصحيح من الحسن والضعيف، ومن هنا قيل: أصح كتاب بعد كتاب الله هو صحيح البخاري (٢٥٦هـ)، ثم جاء بعده تلميذه الإمام مسلم (٢٦١هـ)، ثم أصحاب السُّنن الأربعة، وهم ابن ماجه (٢٧٣هـ)، وأبو داود (٢٧٥هـ)، والترمذي (٢٧٦هـ)، والنسائي (٣٠٣هـ)، وهذا العَرَضُ يُدَحِّضُ فِرْيَةَ أولئك عن تأخير التدوين إلى القرن الثالث، رحمهم الله رحمة واسعة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم ص ٢٤١.

٣. أما قولهم باختلاط الصحيح بالضعيف والموضوع بحيث لا يُمكن التَّمييز بين الصحيح والسقيم، فهذا الكلام لا يَصْدُرُ إِلَّا مَن يَجْهَلُ تاريخ الإسلام لمُقاومة حركة الوَضْع في السُّنَّة، فلا يَتَصَوَّرُ صُدور الكذب في عهده ﷺ، وفي زمن الصحابة، وهم الذين سَمِعُوا من رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة يقول: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>، وفي آخر عهد عثمان رضي الله عنه تفرَّقت الأمة إلى فِرَقٍ عديدة، ووُجِدَتِ الخلافات السياسيَّة والكلاميَّة، فأخذ كل فِرقة تضع الأحاديث في مناقب أصحابها، وفي مثالب مُخالفهم، ثم دخل الساحة الزنادقة والقصاصون، وانضمَّ إليهم المتعصِّبون للجنس والبلد، فاستحلُّوا الكذب على رسول الله ﷺ، واستغلُّوا تلك الظروف المزعزعة؛ لنيل مآربهم، وقد قاوم العلماء هذه الحركة الوضعيَّة، ووضَعُوا الأُسُسَ العلميَّة؛ لفحص الحديث، وتبيينه، ومعرفة الصحيح من سقيم، فمن تَبَعَهَا وأعانه الله انكشف له أمر تلك الأحاديث الموضوعة، ومن بين هذه الأُسُس: المطالبة بالإسناد، وعرض الرُّوَاة على أصول الجرح والتعديل، والبحث عن عدالة وضبط الرُّوَاة، ثم البحث في مضمون الحديث وعرضه على الأصول الإسلاميَّة الثابتة، يقول محمد بن سيرين: «لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبي ﷺ - الحديث برقم ١١٠.

الإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ، فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

٤. والناظر بتَجَرُّدٍ وإنصاف، يجد أن المسلمين كما اهتموا بالأسانيد ودرسوها كما ينبغي، فقد اهتموا بالمتن ونقدوها، ومَحْصُوهَا، فكما وضع المَحَدِّثُونَ شروطاً لقبول الراوي، وضعوا شروطاً لقبول المَرْوِيِّ شروط قبول المتن، وأن العلماء نقدوا متون السُّنَّةِ، ومَحْصُوهَا، واستدرك اللاحق منهم على السابق، وكانوا مُتَجَرِّدِينَ لله تعالى وللحق، خاصة أنهم علموا أن موضوع بَحْثِهِمْ إنما هي السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ التي تُمَثِّلُ الْمَذْكَرَةَ التفسيرية للقرآن الكريم. فَشَرَطَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَتَنِ أَنْ يَكُونَ سَالِمًا مِنَ الشُّذُوزِ، وَالْعِلَّةُ الْقَادِحَةُ، وَالْإِدْرَاجُ، وَالْقَلْبُ، وَالْاضْطِرَابُ، وَالتَّصْحِيفُ، وَالتَّحْرِيفُ.

فبعد أن يَفْرُغَ الْعُلَمَاءُ مِنْ دِرَاسَةِ الْإِسْنَادِ، وَمَعْرِفَةِ أَنَّهُ مُتَّصِلٌ، وَأَنْ كُلَّ رَاوٍ فِي الْإِسْنَادِ مُتَّصِفٌ بِالْعَدَالَةِ، وَالضَّبْطِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتَفُونَ بِذَلِكَ، بَلْ يَتَّجِهُونَ إِلَى دِرَاسَةِ الْمَتَنِ، وَنَقْدِهِ؛ لِيَعْرِفُوا هَلْ بِهِ شَذُوزٌ، أَوْ عِلَّةٌ قَادِحَةٌ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْقَدَحِ فِي الْمَتَنِ أَمْ لَا.

فبيحث العلماء هل لهذا المتن الذي فرغوا من دراسة إسناده معارضا من

(١) صحيح مسلم - المقدمة - باب في أن الإسناد من الدين - الحديث برقم ٢٧.

القرآن الكريم، أو السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ أم لا.

فإذا لم يجدوا للمتن مُعارضاً قَبْلُوه، وعملوا به، وأطلقوا على هذا النوع من الحديث الذي لا معارض له: الحديث المُحَكَّم، أو مُحَكَّم الحديث، وأكثر أحاديث السُّنَّة كذلك، والله الحمد والمِنَّة.

أما إذا وجدوا للمتن مُعارضاً من القرآن الكريم، أو السُّنَّة الثابتة عنه ﷺ، فإنهم يبحثون عن وجهٍ للجمع بين النَّصَّيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ.

فإن أمكن الجمع بينهما - بِوَجْهِ من وَجوه الجُمُعِ المَعْرُوفَةِ - صار الحديث مقبولاً وعملوا به، ويُطْلَقُونَ على هذا النوع من الحديث: مُخْتَلَف الحديث. أما إذا لم يُمَكِّن الجمع بين النَّصَّيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ - بوجه من وجوه الجُمُعِ - بَحَثَ العلماء عن التاريخ الذي قيل فيه كُلُّ نَصٍّ. فإن أمكن الوقوف على التاريخ، ومعرفة المُتَقَدِّم من المُتَأَخَّر، صار المُتَأَخَّرُ نَاسِخًا لِلْمُتَقَدِّم.

أما إذا لم يُمَكِّن الوقوف على التاريخ، صار العلماء إلى الترجيح، فإن أمكن الترجيح بين النَّصَّيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ - بوجه من وجوه الترجيح المَعْرُوفَةِ - قَبْلَ الرَّاجِحِ، وعُمِلَ به، وتُرِكَ المَرْجُوحُ، ويقال للراجح: المَحْفُوظ، وللمَرْجُوح: الشَّاذُّ.

أما إذا لم يُمَكِّن الترجيح بين النصين المتعارضين، توقَّفوا في قبولهما معاً،

فليس العمل بأحد النَّصَّيْنِ بأولى من الآخر، ولأنه يستحيل أن يَصُدَّرَ الكلام المتعارض من رسول الله ﷺ.

ومع سلامة الحديث من الشُّذُوذ، لا بد أن يَسْلَمَ مِنَ الْعِلَّةِ القادحة، والإدراج، والقلب، والاضطراب، والتصحيف، والتحريف؛ ليكون المتن صحيحاً<sup>(١)</sup>.

القرائن التي يستدل بها على أن الحديث موضوع:

ومع تحقق الشروط السابقة في المتن، إذا وُجِدَتْ قرينة في المتن تدل على أن الحديث ليس من كلام النبي ﷺ، حَكَمُوا على الحديث بالوَضْع، ولم يَقْبَلُوهُ، ولم يعملوا به، فمن ذلك:

١ - أن يكون الحديث مُخَالِفًا لصريح القرآن الكريم مُخَالَفةً جَلِيَّةً.

٢ - أن يكون الحديث مُنَاقِضًا لِلسُّنَّةِ المُتَوَاتِرَةِ، أو مُنَاقِضًا لِلأَحَادِيثِ الثابتة عنه ﷺ، مُنَاقِضَةً بَيِّنَةً، بحيث لا يمكن الجمع بينهما بوجه من وجوه الجمع، أمَّا مع إمكان الجمع، فلا يُحَكَّمُ بالوَضْع، أو يكون الحديث مُنَاقِضًا لِلإِجْمَاعِ الْقَطْعِيِّ.

(١) مقال بالمكتبة الشاملة للدكتور الخشوعي محمد الخشوعي أستاذ الحديث بجامعة الأزهر - اهتمام المحدثين بالسنة المطهرة.

٣ - أن يعد الحديث بثواب عظيم على عمل يسير لا يستوجب ذلك الثواب العظيم.

٤ - الوعيد الشديد على فعل ذنب من صغائر الذنوب لا يستوجب هذا العقاب الشديد.

٥ - أن يكون كلام الحديث لا يُشبه كلام الأنبياء، فضلاً عن كلام رسول الله ﷺ الذي هو وَحْيٌ يُوحَى.

٦ - أن يدعى على النبي ﷺ أنه فعل أمراً ظاهراً بِمَحْضَرٍ من الصحابة كلهم، وأنهم اتفقوا على كتمانهم، ولم ينقلوه، كما يزعم أكذب الطوائف أنه ﷺ أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام بِمَحْضَرٍ من الصحابة كلهم، وهو راجع من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع، ثم قال: «هَذَا وَصِيِّي وَأَخِي، والخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا»، ثم اتفق الكل على كتمان ذلك، وتغييره ومخالفته، فلعنة الله على الكاذبين.

٧ - أن يكون الحديث باطلاً في نفسه، فيدُلُّ بطلانه على أنه ليس من كلام الرسول ﷺ.

٨ - ركاكة لفظ الحديث ومعناه، أو معناه فقط. فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة لفظها ومعانيها.



## الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

- ٩ - مخالفة الحديث لصريح المعقول، بحيث لا يقبل التأويل.
- ١٠ - أن يكون الحديث بوصف الأطباء والطَّرِيقَةِ أشبه وأليق. مثال ذلك: حديث: «المهرسة تشدُّ الظهر».
- ١١ - أن يكون في الحديث تاريخٌ يتعلق بالمستقبل.
- ١٢ - أن لا يكون الحديث موجودًا في الكتب بعد أن دُوِّنَت السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ، فإذا جاء أحدٌ بحديث، ولم يوجد هذا الحديث في الكتب المدونة، دل ذلك على أنه موضوع<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص ٥٠-٦٤.

### المبحث الثالث

#### تأويل السنة النبوية من العقلانيين

إن المدرسة العقلية قد لعبت دوراً مهماً في فهم السنة النبوية بطريقة خاطئة، وقد زلّت أقلام كثير من المعنّيين بالأبحاث الإسلامية ممّن يتصدّرون التوجيه الإسلامي، والإصلاح الاجتماعي، والصحة الإسلامية، والدفاع عن الإسلام، ولا يتهمّون في حسن نواياهم نحو الإسلام وتشريع، ولكنهم أخطئوا في موقفهم من السنّة حين أحاطوها بالشُّبّهات، وقبلوا منها ما وافق هواهم - ولو كان ضعيفاً أو موضوعاً - ولم يتردّدوا في ردّ الصحيح الثابت منها إذا خالف هواهم، ولو رواه الشيخان، ويؤدّي ذلك إلى الاستخفاف بالسنّة، وتّهوين العمل بالأحاديث، وقد ينتهي إلى إنكار بعضها إذا خالفت عقله، وفهمه للدين وسياسته للدعوة.

#### ١. الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله (١٩٠٣-١٩٧٩م):

السيد أبو الأعلى المودودي هو مؤسس الجماعة الإسلامية بالقارة الهندية وأميرها، وكان كاتباً مجيداً وصحفيّاً ناجحاً، وبارعاً في الأسلوب، كَبَقاً في الأداء، مَوْفَقاً في عرض الحلول للمشاكل الناجمة في المجتمع، ومُبْدِعاً في تقديم الإسلام



إلى غير المسلمين في الأسلوب العصري المتزن.

دخل الأستاذ المودودي خلال كتاباته - وللأسف الشديد - في بعض المواضع الشائكة التي لم يَكُنْ يُحْسِنُهَا، فوقع فيها لا تُحْمَدُ عَقْبَاهُ من الأخطاء والزلات<sup>(١)</sup>، من هذه الأخطاء: تأويله لبعض الأحاديث، مثل:

- تأويل حديث الكذبات الثلاث<sup>(٢)</sup>.
- تأويل حديث سليمان ﷺ: لَا طُوفَنَ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي<sup>(٣)</sup>.
- تأويل حديث الجساسة<sup>(٤)</sup>.

## ٢. الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله:

كان الأستاذ الإصلاحي من الأعضاء البارزين المتحمسين للجماعة الإسلامية، بل كان يُعْتَبَرُ الرجل الثاني في الجماعة بعد الأستاذ المودودي، إلا أنه اعتزل عنها، وكتب عدة مقالات بيّن فيها أسباب خلافه مع المودودي وجهة نظره نحو جماعته، ومن أهم ما يُؤَاخَذُ عليه تأويله أحاديث الرّجْم، وجعلها من

(١) انظر للتفصيل: زوابع في وجه السنة ص ١١٩-١٥٢.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي.

(٤) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

الحِرابَة، وأن الجُلْد هو الحُدُّ الأساسي لجميع أنواع الزنا<sup>(١)</sup>.

٣. الأستاذ جاويد أحمد غامدي:

هو من تلامذة الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي، أخذَ على عاتقه نَشْرَ أفكاره، وأصدر لذلك مجلَّة (إشراق) باللغة الأردية والأخرى باللغة الانجليزية، وأسَّس مركزًا للتعليم باسم (المُورِد) يُعَلِّم فيه الشباب المُثَقَّف العلوم الدينية بعقلية مُفتَّحة، ومنهج عقلي مُنحَرِف، وقد وَجَدَ رَحَابَةَ الصَّدْر، وَسَعَةَ الوقت في القنوات الفضائية لبثَ سُؤْمُومِهِ وأفكاره، وله تأثير مُلْمُوسٌ في الطبقة المُثَقَّفة.

وَتَصَوَّرُ السُّنَّةَ عنده كآلاتي: هي تلك السُّنَن التي وُجِدَتْ في شريعة إبراهيم عليه السلام، ونَفَّذَهَا النبي ﷺ على أفراد أُمَّتِهِ بعد إجراء بعض التعديلات كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة النحل، والسُّنَن التي يعترف بها هي:

١	تسمية الله، واستعمال اليد اليمنى عند الأكل
٢	السلام، ورده
٣	التحميد عند العطاس، وتشميت العاطس

(١) انظر تفسيره تدبر قرآن ٥/ ٣٦٤-٣٧٥.



الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

٤	التأذين في أذن المولود، والإقامة
٥	تقصير الشوارب
٦	حلق العانة
٧	نتف الإبط
٨	ختان الذكور
٩	قصُّ الأظفار
١٠	طهارة الأنف والفم والأسنان
١١	الاستنجاء
١٢	تحريم الجماع عند الحيض والنفاس
١٣	غسل المرأة بعد الحيض والنفاس
١٤	غسل الجنابة
١٥	غسل الميت
١٦	تكفين الميت
١٧	دفن الميت
١٨	صلاة العيدين
١٩	التسمية عند الذبح

٢٠	أحكام النكاح والطلاق
٢١	أحكام الزكاة
٢٢	أحكام الصلاة
٢٣	أحكام الصيام، وصدقة الفطر
٢٤	الاعتكاف
٢٥	الأضحية
٢٦	أحكام <sup>(١)</sup>

وُخْلاصة المَبَحْث أن هؤلاء العقلايين قد فَهَمُوا السُّنَّةَ بعقولهم، فما وافقها قَبِلُوهَا، وما لم يوافق عقولهم رَدُّوها أو أَوَّلُوهَا، وقد يُؤَدِّي ذلك إلى إنكار السنة واستخفافها لدى عامة الناس، وبالأخص عند المُتَقَفِّين، وهذا هو المُلاحَظ عند المُحَامِلِينَ والقُضاة وأكبر دليل على ذلك حُكْمُ المَحْكَمَةِ الشرعية الفيدرالية باعتبار الرَّجْمِ تعزيراً، وليس بِحَدٍّ من الحدود، ثم أعيد النظر في القضية وَصُحِّحَتْ بعد إلتحاح العلماء وأصحاب المَنَهْجِ الصحيح، والحمد لله تعالى.

\*\*\*

(١) حافظ محمد زبير وحافظ طاهر إسلام عسكري: فكر غامدي ص ٣٥.

## المبحث الرابع

### الإطراء والغلو في مقام النبي ﷺ

إن طائفة البريلوية في شبه القارة قد اشتهرت بالإطراء والغلو في مقام النبي ﷺ، وهي طائفة من فرق الأحناف التي يُطْلَقُ عليها هذا الاسم؛ لانتسابها إلى مُجَدِّدِ دعوتهم، ورافع كلمتهم، ومؤسس قواعدهم، ومُبيِّنِ أصولهم وأُسُسِهِمْ، وهو أحمد رضا البريلوي (١٨٦٥-١٩٢١ م)<sup>(١)</sup>.

عقائدهم: العقائد التي تميّزت بها البريلوية:

١. الاستغاثة والاستعانة بغير الله<sup>(٢)</sup>.
٢. يعتقدون أن الأنبياء والأولياء والصُّلحاء هم القُدرة على جميع ما يُقدَّرُ عليه الله تعالى، وانتقلت إليهم قُدرة الله، ومُلْكُه واختياراته حَسَبَ زَعْمِهِمْ، ولم يَبْقَ عندهُ شيء<sup>(٣)</sup>.
٣. جواز سماع المَوْتَى، ويقولون: إن الأولياء والصالحين يَسْمَعُونَ

(١) انظر للتفصيل كتاب الشيخ إحسان الهي ظهير: البريلوية ص ١٣-٤٦.

(٢) البريلوية: ص ٥٦-٦٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٥-٧٧.

وَيُبْصِرُونَ فِي قُبُورِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانُوا يَسْمَعُونَ، وَيُبْصِرُونَ فِي حَيَاتِهِمْ<sup>(١)</sup>.

٤. من أهم المعتقدات التي يَعْتَقِدُهَا البريلويون خلاف أهل السُّنَّة هي عقيدتهم بأن الأنبياء ورسل الله والصالحين من عباده والأولياء يَعْلَمُونَ الغيب، غيب السموات والأرض<sup>(٢)</sup>.

٥. من غرائب ما يعتقده القوم مع انتسابهم إلى الإسلام: عقيدتهم في النبي ﷺ بأنه نورٌ من نور الله مع أن القرآن الكريم صَرَّحَ ببشريته أكثر من مرَّة<sup>(٣)</sup>.

٦. من أخَصَّ المعتقدات التي يَعْتَقِدُهَا البريلويون هي ما يُخَالِفُهُ العقل والنقل من كون الرسول ﷺ حاضراً في كل مكان ناظراً كل شيء بالمعنى، فيقولون: لا يخلو مكان ولا زمان إلا والرسول ﷺ موجود فيه<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) المصدر السابق: ص ٧٨-٨٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٥-٩٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٨-١٠٦.

(٤) البريلوية: ص ١٠٦-١١٢.



## **الفصل الثاني**

### **دور العلماء وعامة الشعب في مقاومة هذه الحملات**

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: التأليف والتصنيف.**
- **المبحث الثاني: المناظرات.**
- **المبحث الثالث: المسيرات والحملات الشعبية.**
- **المبحث الرابع: إصدار الفتاوى.**





## المبحث الأول

### التأليف والتصنيف

لقد صنّف العلماء المسلمون كُتُبًا كثيرة في الدفاع عن النبي ﷺ في جميع المحاولات التي حصلت للنيل من كرامته أو التنقيص من شأنه، وإضافة إلى ذلك المقالات التي نُشِرت في الأعداد الخاصّة للمجلات التي تهتمُّ بهذا الشأن، نذكر منها:

أولاً: الكُتُبُ المؤلّفة في حُجَّةِ السُّنَّة والردّ على شُبُهات المنكرين:

١. حُجَّةُ الحديث واتباع الرسول: للشيخ ثناء الله الأمرتسري.
٢. إثبات الخبر في جواب مُنكري الحديث والأثر: للشيخ الحافظ عبدالستار حسن العمر فوري.
٣. مكانة الحديث في الأحكام الشرعية: للشيخ محمد إسماعيل السلفي.
٤. حُجَّةُ الحديث: للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي.
٥. نُصرة الحديث: للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.
٦. تدوين الحديث: للشيخ مناظر أحسن جيلاني.
٧. تأريخ تدوين الحديث: للدكتور محمد زبير الصديقي.

٨. مظاهر وخلفيات فتنة إنكار الحديث: للشيخ افتخار أحمد بلخي.
٩. عظمت حديث: للشيخ عبد الغفار حسن الرحماني.
١٠. إنكار السنة فتنة ومؤامرة: للأستاذ محمد فرمان.
١١. القول الفيصل: للشيخ ماهر القادري.
١٢. القرآن والحديث: للشيخ محمد طيب.
١٣. نظرة عابرة على فتنة إنكار الحديث: للشيخ احتشام الحق آسيا آبادي.
١٤. حديث الرسول ﷺ في ميزان القرآن: للشيخ محمد طيب.
١٥. نتائج إنكار السنة: للشيخ محمد سرفراز خان.
١٦. إنكار السنة حق أو باطل: للشيخ صفى الرحمن الأعظمي.
١٧. تفهيم الإسلام: للشيخ مسعود أحمد.
١٨. مكانة السنة التشريعية: للشيخ أبي الأعلى المودودي.
١٩. آئنه برويزيت (مرآة أفكار غلام أحمد برويز): للشيخ عبدالرحمن كيلاني.
٢٠. مسائل اتباع السنة: للشيخ محمد اقبال كيلاني.
٢١. الجهود الفاشلة لجعل روايات الصحيحين حكايات دينية: للشيخ



## الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

إرشاد الحق الأثري.

٢٢. بصائر السنة: للشيخ سيد محمد أمين الحق.

٢٣. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: للدكتور خادم حسين الهي بخش

(بالعربية).

٢٤. السنة في مواجهة الأباطيل: للدكتور محمد طاهر حكيم (بالعربية).

٢٥. زوابع في وجه السنة قديما وحديثا: للشيخ صلاح الدين مقبول

أحمد (بالعربية)<sup>(١)</sup>.

ثانيا: المَجَلات التي تصدَّت لهذه الفتنة:

١. مجلة ضياء السنة: للشيخين عبد الجبار العمر فوري، وضياء الرحمن

العمر فوري.

٢. مجلة أهل الحديث من أمرتسر: للشيخ ثناء الله الأمرتسري.

٣. مجلة الاعتصام من لاهور: للشيخ عطاء الله حنيف.

٤. مجلة إشاعة السنة: للشيخ محمد حسين البتالوي.

٥. مجلة مُحَدَّث من لاهور: للشيخ الحافظ عبد الرحمن المدني<sup>(٢)</sup>.

---

(١) هذه الكتب كلها مطبوعة ومتوفرة في المكتبات والله الحمد.

(٢) اهتمام المحدثين بنقد الحديث: ص ٤٦٦، القرآنيون وشبهاتهم: ص ٤٤٩-٤٧٣.

ثالثاً: الكتب في قَمْع فتنة القَادِيَانِيَّة:

١. حركة ختم النبوة: للدكتور بهاء الدين.
٢. غاية المرام: للشيخ القاضي سليمان منصور بوري.
٣. القَادِيَانِيَّة، دراسات وتحليل: للشيخ إحسان إلهي ظهير (بالعربية والأردية).
٤. القادياني والقَادِيَانِيَّة، دراسات وتحليل: للشيخ أبي الحسن علي الندوي.
٥. محمديّة كتاب الجيب في الرد على أحمديّة كتاب الجيب: للشيخ محمد عبدالله معمار.
٦. إلهامات مرزا: للشيخ ثناء الله الأمرتسري.
٧. فتنة القَادِيَانِيَّة وجهود الشيخ ثناء الله الأمرتسري: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري.
٨. الكتاب الفاصل: للشيخ عبدالله اله دين.
٩. لماذا يعتبر القاديانيون كفارا: للشيخ عبدالرحيم أشرف.
١٠. لماذا يعتبر القاديانيون واللاهوريون خارجين عن دائرة الإسلام: للشيخ فضل الرحمن محمد.



## الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

١١. محاسبة القَادِيَانِيَّة: مجلس تحفظ ختم نبوت.
١٢. شهادة القرآن (جزآن): للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
١٣. مسلم الوصول إلى إسرائء الرسول: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
١٤. نزول الملائكة والروح إلى الأرض: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
١٥. مرآة القَادِيَانِيَّة: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
١٦. الخبر الصحيح عن قبر المسيح: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
١٧. مرقع قادياني: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
١٨. الحكم الرباني على موت القادياني: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
١٩. موت القادياني الفجائي: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
٢٠. الرسائل الثلاثة: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
٢١. الرد على المغالطات القَادِيَانِيَّة: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
٢٢. فص خاتم النبوة: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
٢٣. الرسالة المفتوحة ١، ٢: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.

٢٤. ختم النبوة: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
٢٥. دين القادياني: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
٢٦. ختم النبوة والقادياني: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي.
٢٧. مذهب القاديانية: للشيخ إلياس برني.
٢٨. القاديانية: أساليب جديدة: للشيخ محمد حنيف الندوي.
٢٩. حكاية القاديان: للشيخ الحافظ محمد إبراهيم كميير بوري.
٣٠. هذه هي الأدلة الدامغة: للأستاذ محمد متين خالد<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: كتب حول تأويل السُّنة والرد على العقلانيين

١. أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين: للشيخ الحافظ ثناء الله الزاهدي.
٢. نظرية الجماعة الإسلامية حول السنة: للشيخ محمد اسماعيل السلفي.
٣. أفكار غامدي: دراسة وتحليل: للحافظ محمد زبير والحافظ طاهر إسلام عسكري.

---

(١) مجلة دعوة أهل الحديث العدد الخاص عن ختم النبوة ربيع الثاني ١٤٣٠هـ، ومجلة محدث العدد الخاص عن فتنة إنكار السنة: بيليو غرافيا عن حجة السنة للدكتور خالد ظفر الله رجب ١٤٢٢هـ.



٤. عظمت حديث: للشيخ عبد الغفار حسن (مقال حول تأويل

الإصلاحي لأحاديث الرجم)<sup>(١)</sup>.

خامسا: كتب حول طائفة البريلوية:

لقد وُجِدَ في المكتبة الإسلامية كتاب واحد فقط بصورة تفصيلية عن هذه الطائفة، وهو كتاب الشيخ إحسان إلهي ظهير (البريلوية) بالأُرْدِيَّة والعربية، والجدير بالذكر أنه مُنِع تداول هذا الكتاب مِمَّا يَدُلُّ على مَدَى نفوذهم، في حين أنه تُوجد مقالات وكتيّبات حول بعض مُعتقداتهم، وبِدعائهم من علماء السُّنة.

\*\*\*

---

(١) هذه الكتب كلها مطبوعة ومتوفرة والحمد لله.

## المبحث الثاني المناظرات

إن من الوسائل التي استعملها العلماء المسلمون ضدَّ الفرق المنحرفة ولقمع فتنهم وسيلة عقد المناظرات بينهم وبين مُناوئهم بحيث يُقدَّم كل واحد من الفريقين أدلته على مسألة ما، ويُقدَّم الخصم أدلته للردِّ عليها بحضور حكم مُحايد، وفيما يلي أذكرُ بعض المناظرات، وتوارىخها ضدَّ النحلة القاديانيّة:

١	مناظرة أمرتسر عام ١٩٠٢ م بين الشيخ ثناء الله الأمرتسري ومولوي سرور شاه
٢	مناظرة رامبور عام ١٩٠٩ م بين المولوي أحسن امروهوي وقاسم علي القادياني
٣	مناظرة لدهيانه عام ١٩٠٩ م ضد قاسم علي القادياني
٤	مناظرة امرتسر عام ١٩٠٩ م ضد المولوي غلام رسول
٥	مناظرة سرجودها عام ١٩١٦ م
٦	مناظرة ميرته عام ١٩١٧ م
٧	مناظرة دير غازي خان عام ١٩١٧ م





الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

٨	مناظرة هوشياربور عام ١٩١٧ م
٩	مناظرة كوجرانواله عام ١٩١٨ م
١٠	مناظرة هوشياربور عام ١٩١٨ م
١١	مناظرة كرتار بور مقاطعة جالندهر عام ١٩١٨ م
١٢	مناظرة جهنك عام ١٩٢٠ م
١٣	مناظرة مالير كوتلة عام ١٩٢١ م
١٤	مناظرة كبورتيله عام ١٩٢١ م
١٥	مناظرة فيروزبور عام ١٩٢٢ م
١٦	مناظرة ننكانه صاحب عام ١٩٢٢ م
١٧	مناظرة كوجرانواله عام ١٩٢٢ م
١٨	مناظرة لاهور عام ١٩٢٥ م
١٩	مناظرة سرجودها عام ١٩٢٥ م
٢٠	مناظرة كوجرانواله عام ١٩٢٦ م
٢١	مناظرة بتهان كوت عام ١٩٢٨ م
٢٢	مناظرة ساهيوال عام ١٩٢٩ م
٢٣	مناظرة كجرات عام ١٩٣٠ م

مناظرة كورداس بور عام ١٩٣٠ م	٢٤
مناظرة كورداس بور عام ١٩٣٢ م	٢٥
مناظرة وزير آباد عام ١٩٣٢ م	٢٦
مناظرة لاهور عام ١٩٣٢ م	٢٧
مناظرة جهلم عام ١٩٣٣ م	٢٨
مناظرة لاهور عام ١٩٣٤ م	٢٩
مناظرة بتاله عام ١٩٣٤ م	٣٠
مناظرة أمرتسر عام ١٩٣٤ م	٣١
مناظرة ميرته ١٩٣٥ م	٣٢
مناظرة لائل بور (فيصل آباد) عام ١٩٤١ م	٣٣

وهناك مُناظرات أُخرى وقعت بعد استقلال باكستان بين المسلمين والقاديانيين، ولم يتوقف هذا الصراع إلا عندما قرر البرلمان الباكستاني القاديانيّة أقلية غير مسلمة.

\*\*\*

### المبحث الثالث

#### المسيرات والحمّلات الشعبيّة

لقد قام المسلمون في الهند وباكستان بحركة كبيرة ضد فتنة القاديانيّة، وطالبوا الحكومة باعتبارهم أقلية غير مُسلمة، ولكن بسبب نفوذ القاديانيين في الجيش والحكومة لم تستجب لمطالبهم، بل حاولت قمعهم بالحديد والنار، فلم يثن ذلك من عزيمتهم بل ازداد ثباتهم، وحاولوا بشتى الطرق احتجاجهم واستنكارهم على هذا الوضع، ومن طرق الاحتجاج: استعملوا طريقة الخروج في المسيرات<sup>(١)</sup>، وتقديم أنفسهم للاعتقال والعصيان المدني ضدّ الحكومة، والإضراب العامّ، واليك بعضاً منها:

أولاً: حركة ختم النبوة عام ١٩٥٣م.

لقد قام المسلمون في باكستان بحركة قويّة ضدّ نفوذ القاديانيين في الحكومة، وموالاتها لهم، وطالبوها بالمطالب التالية:

١. قرار الحكومة بإعلان القاديانيّة أقلية غير مسلمة.
٢. إقصاء ظفر الله خان القادياني من منصب وزير الخارجية.

---

(١) حسب ما يسمح لهم دستور البلد.

٣. فتح بلدة ربوة لجميع الناس.

٤. طرد القاديانيين من جميع المناصب الحكومية المهمة.

فرفض رئيس الوزراء آنذاك خواجه ناظم الدين مطالبهم، وقال بأنه في حالة استجابة مطالبهم سوف تغضب الحكومة الأمريكية، ولعلها تمنع معوناتهما عن باكستان.

فأمهلها مجلس عمل المسلمين لمدة شهر، وفي حالة عدم الاستجابة سوف يقوم المجلس بمظاهرات سلمية في أنحاء باكستان حتى تستجاب مطالبهم، فاجتمع زعمائهم في كراتشي؛ لبحث هذه القضية بعد مُضيّ مُدة المهلة، وهم: سيد عطاء الله شاه البخاري، والشيخ أبو الحسنات محمد أحمد قادري، والشيخ عبد الحامد البدايوني، والشيخ لال حسين اختر، والشيخ مظفر علي الشمسي والآخرون، فاعتقلتهم الحكومة كما اعتقلت الزعماء وأعضاء المجلس في جميع المدن الباكستانية.

فشارت بذلك ثائرة المسلمين، فخرجوا في مسيرات شعبية ضخمة، فتصدت لهم الحكومة بالاعتقالات، وفي بعض الأحيان بإطلاق النار عليهم.

وهكذا في جميع المدن كان العلماء والزعماء يعقدون اجتماعات يحضرها عدد كبير من المسلمين، ويستمعون إلى خطبهم وكلماتهم ضد فتنة القاديانية،

ومطالبهم باستئصال هذا الداء الخبيث من باكستان، ولكن بدون أن تكون هناك فائدة مَرْجُوَّة ونتيجة لهذه الحركة قُتِل عشرة آلاف، واعتُقِل حوالي مائة ألف، وتأثر بذلك حوالي مليون شخص، والحكومة العنيدة لم تُحَرِّك ساكنًا، بل أمرت بتشكيل محكمة؛ لتَقْصِّي حقائق هذه الحركة الثَّوْرِيَّة، وكان من أعضاء هذه المحكمة القاضي محمد منير والقاضي محمد رستم كياني، واستمرت جلسات هذه المحكمة ابتداء من ١/٧/١٩٥٣ م إلى ٢٨/٢/١٩٥٤ م، وقُدِّمَت تقريرها إلى الحكومة، ولكن لم تستفد من هذا التقرير الذي كان فيه ميل واضح إلى القَادِيَانِيَّة، وحاول القضاة اتِّهام المسلمين بالاختلاف في دعاويهم، وبذلك ذهبت توضحيات المسلمين سُدى<sup>(١)</sup>.

### ثانيا: حركة ختم النبوة عام ١٩٧٤م:

إن سبب هذه الحركة أنه خرجت مجموعة من طُلَّاب يتتبعون إلى مُنْظَمَة طُلَّابِيَّة، وهي «جمعية الطلبة المسلمين» في رحلة إلى منطقة الحدود الشمالية، وفي طريقهم بالقطار مرُّوا بمحطة ربوة التي هي مركز القاديانيين - وكانت آنذاك دولة في داخل دولة - فوزَّع عليهم القاديانيون مجلاتهم ومنشوراتهم، فمزَّقها الشباب، ونادَّوْا بِهَيْتَات مُعَادِيَةٍ لَهُمْ، فغضب لذلك القاديانيون، وعند عودة

(١) مولانا الله وصايا: تحريك ختم نبوت ١٩٥٣م: ص ٤٠٠، ٥٤٤.

الطلاب انهمالوا عليهم بالضرب المبرح، وجرحوهم جراحات شديدة، وعندما وصل القطار إلى محطة فيصل آباد كان في انتظاره العلماء والأطباء، فعالجوا الجرحى والمضروبين، وقام العلماء بتهدئة عامة الناس، ثم بينوا في مؤتمر صحفي خطورة هذا الإقدام من القاديانيين، وطالبوا الحكومة بمعاقبة الجناة وحل هذه القضية بصورة نهائية، فكانت هذه الشرارة الأولى قامت على إثرها حركة قوية اشترك فيها مع الطلاب العلماء وعامة الناس، وانتشرت في جميع المدن والقرى الباكستانية، وقامت الدولة بالاعتقالات والضرب والفصل من الجامعات، ولكن كلما حاولت الحكومة ضغط الحركة توسعت أكثر فأكثر، وكان سلاح الشباب في هذه الحركة المسيرات والإضرابات، ومقاطعة الجامعات، واستمرت هذه الحركة ثلاثة أشهر وعشرة أيام، ثم أعلنت الحكومة بحث قضية القاديانية في البرلمان، ولأجل زيادة الضغط على الحكومة توجهت قوافل الطلاب إلى إسلام آباد، وأخيرا في شهر سبتمبر من عام ١٩٧٤م اجتمع البرلمان بشقيه وصوت النواب بالأغلبية في حق مطلب المسلمين القديم وهكذا انتهت هذه الحركة بالنجاح، وأصبحت القاديانية أقلية غير مسلمة في باكستان<sup>(١)</sup>.

---

(١) سليم منصور خالد: الحركات الطلابية، ص ١٥٨-١٧٥ ومجلة دعوت أهل الحديث، مقال

محمد يوسف أنور: تحريك ختم نبوت ص ٣٤٧.

## المبحث الرابع

### إصدار الفتاوى

إن من أهم الأمور التي وضّحت قضية القاديانيّة لدى عمّة المسلمين هي الفتاوى التي أصدرها العلماء المسلمون في مختلف العصور.

١. إن أول فتوى صدرت بهذا السبب كانت من الشيخ ميان نذير حسين الدهلوي (١٢٢٠-١٣٢٠هـ)، وكان ذلك في جواب استفتاء قدّمه تلميذه الشيخ محمد حسين البتالوي بعد أن جمع جميع أقوال المرزا الكُفريّة من كُتبه، وأصدر فتواه بالدلائل والحجج الدامغة حتى أن المتنبي الكذاب قد أحسّ بوخزه الشديد، وسَطَرَ في كتابه: «لقد كتب المولوي محمد حسين هذه الفتوى، وقال لميان نذير حسين الدهلوي أن يختم عليه بخاتمه، ويفتي بكفري، وينشر في عمّة المسلمين عن كُفري، وقد نُشِرَ هذا الكتاب (براهين أحمدية) قبل فتوى نذير حسين وخاتمه باثنتي عشرة سنة في بنجاب كلها والهند، وبعد اثنتي عشرة سنة أصبح المولوي محمد حسين أول الكافرين، كان هو بادئًا للتكفير، وكان ميان نذير حسين الدهلوي مُوقِدًا لهذه النار بشهرته في الهند كلها»<sup>(١)</sup>.

(١) مجلة الاعتصام، العدد الخاص، ذو القعدة ١٤٢٩هـ: ص ١٢-١٣.

٢. فتوى الشيخ غلام العلي القصوري (١٢٤١-١٣٠٦هـ).
٣. فتوى الشيخ محمد بشير السهسواني (١٢٤٥-١٣٢٣هـ).
٤. فتوى الشيخ محمد جعفر التهانسي (١٢٥٤-١٣٢٣هـ).
٥. فتوى الشيخ أبي سعيد محمد حسين (١٢٥٦-١٣٣٨هـ).
٦. فتوى الشيخ إسماعيل علي كرهى (١٢٦٣-١٣١١هـ).
٧. فتوى الشيخ حافظ عبد المنان الوزير آبادى (١٢٦٧-١٣٣٤هـ).
٨. فتوى الشيخ عبد الجبار الغزنوى (١٢٦٨-١٣٣١هـ).
٩. فتوى الشيخ القاضي عبدالأحد الخانبوري (١٢٦٨-١٣٤٧هـ).
١٠. فتوى الشيخ عبد الحق الغزنوي (-١٣٣٥هـ).
١١. فتوى الشيخ أحمد الله الأمرتسري.
١٢. فتوى الشيخ أبو الحسن التبتى.
١٣. فتوى الشيخ منشى إلهى بخش اللاهوري.
١٤. فتوى الشيخ عبد الستار الدهلوي.
١٥. فتوى الشيخ القاضي محمد سليمان المنصوربوري (١٢٨٢-١٣٤٩هـ).
١٦. فتوى الشيخ ثناء الله الأمرتسري (١٢٨٧-١٣٦٧هـ)<sup>(١)</sup>.

(١) مجلة الاعتصام العدد الخاص: ص ١٣-٢٥.





## ===== الجُهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية =====

وهناك فتاوى كثيرة من علماء جميع الفرق، وكلهم مُتَّفِقُونَ على تكفير  
الْمُتَّبِعِ الْقَادِيَانِي، واعتبار الْقَادِيَانِيَّةِ أقلية غير مُسلمة.

\*\*\*





## **الفصل الثالث**

### **دور القضاء نجاه هذه الفتن**

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: الأحكام الصادرة من المحاكم المختلفة ضد القاديانية.**
- **المبحث الثاني: الأحكام الصادرة ضد غير المسلمين.**
- **المبحث الثالث: دور العلماء في الدفاع عن النبي ﷺ في المحاكم.**



## المبحث الأول

### الأحكام الصادرة ضد غير المسلمين

عندما استعمرت بريطانيا الهند نفّذت عام ١٨٦٠م دستوراً الإنجليزى، وعندما حصّلت عدّة قضايا إهانة الرسول ﷺ، وأدين فيها غير المسلمين، وقُدِّموا للمحاكم، ولم يكنْ هناك قانون صارم يردّعهم من ارتكاب هذه الإهانات، وعندما قُدِّم المُتَّهَم راجبال أمام القضاء الإنجليزى لم يكن لديهم إلا المادة (١٥٣-ألف) التي تنصُّ على: أن أي شخص يثير عواطف العداوة أو النفور أو يُحرِّض الجماعات المُختلِفة من رعايا جلالة الملكة في الهند ضدَّ الآخر شفويّاً، أو كتابة، أو إشارة، أو بآية طريقة أخرى سوف يكون مُعرَّضاً لعقوبة سجن لمدّة ستين، أو غرامة مالية، أو عقوبتين معا.

وفي ضوء هذا القانون لم يستطع القاضي الإنجليزى مُعاقبة المُتَّهَم، فاشتاط المسلمون غضباً، وعند ذلك أقدم علم الدين على قتل هذا المُجرم، عندما رأى الإنجليز عدم صلاحية قوانينهم عدلوا إلى إرضاء للمسلمين في القانون الجنائي الهندي بما يلي:

المادة (٢٩٥-ألف): أي شخص إذا أقدم على إهانة مذهب جماعة من

رعايا جلالة الملكة في الهند، أو عقائدهم، أو حاول الإهانة عمدًا، وبقصد سيئٍ حتى يُثيرَ عواطفهم فإنه سوف يكون مُعرَّضًا لعقوبة سجن لمدَّة سنتين، أو غرامة مالية، أو عقوبتين معا.

وقد عوقب بعد ذلك المُتَّهَمون بهذه العقوبة، والجدير بالذكر أن نفس هذا القانون طُبِّقَ في باكستان أول الأمر بتعديل جملة «من رعايا جلالة الملكة في الهند» بجملة «المواطنين الباكستانيين» فقط<sup>(١)</sup>، ولكن بعد احتجاج المسلمين وإهانة مُستَمِرَّة من القَادِيَانِيَّين وغيرهم اضطرت الحكومة سن قوانين تُنصُّ على عقوبة المَوْت لمن ارتكب هذه الجريمة، ولا تزال الحكومات الغربية وجميعات حقوق الإنسان العالمية تطالب بإلغاء هذا القانون، وصدق الله إذ قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) ناموس رسول ﷺ وقانون توهين رسالت: ص ٣٢٤-٣٢٦.

(٢) البقرة، الآية ١٢٠.

## المبحث الثاني

### الأحكام الصادرة من المحاكم الباكستانية ضد القاديانية

أولاً: المحكمة الشرعية الفيدرالية (عام ١٩٨٤ م)

لقد حكمت المحكمة الشرعية الفيدرالية برئاسة القاضي فخر عالم، وعُضْوِيَّة كل من القاضي شودري محمد صديق والقاضي الشيخ ملك غلام علي، والقاضي الشيخ عبد القدوس القاسمي<sup>(١)</sup> بتاريخ ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٤ م حكماً تاريخياً بحيث أصبحت القاديانية أقلية غير مسلمة.

وأهم نقاط الحكم هي كما يلي:

١. إن كل من لا يؤمن بعقيدة ختم نبوة محمد ﷺ، أو ادَّعى النبوة لفظاً أو معنى، أو اعتُبر مُدَّعي النبوة رجلاً مصلحاً، فإنه يُعتَبَر غير مُسلم، خارجاً عن دائرة الإسلام.

٢. باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة يحقُّ لهم اختيار نوابهم في البرلمان،

---

(١) الجدير بالذكر أن قانون المحكمة الشرعية الفيدرالية ينص على تعيين القضاة من العلماء المؤهلين في المحكمة مع القضاة المدنيين، وكذلك في محكمة الاستئناف الشرعية في المحكمة العليا.

- ويعاملون في ذلك مُعاملة المسيحيين، والهنادكة والسيّخ، والبوذيين، والمجوس.
٣. ولا يحق لأحد من غير المسلمين أن يستعمل المصطلحات الخاصّة لنفسه، أو لغيره مثل أم المؤمنين، أهل البيت، الصحابة، الخلفاء الراشدين، أمير المؤمنين، خليفة المؤمنين، خليفة المسلمين أو يُسمّوا معبدهم مسجداً.
٤. لا يحق للقاديانيين أن يَصِفُوا أنفسهم مُسلمين، ولا يَحِقُّ لَهُم الدعوة إلى نَحْلَتِهِمْ، ولا التشهير بها.
٥. إن المتنبيّ الكذاب مرزا غلام أحمد القادياني قد ادّعى النبوة كما ثبت من كتبه بعد النبي ﷺ مع أنه قد خُتِمَتْ به النبوة والرسالة، فلا يَحِقُّ لأحد أن يدّعي النبوة بأي صورة من الصُّور.
- وقد حكمت المحكمة بعدّة عقوبات في جرائم مُختلفة منها: عقوبة الموت، أو السجن المؤبّد، ثم عدّل في القانون، وبقيت عقوبة الموت فقط<sup>(١)</sup>.

ثانياً: محكمة الاستئناف الشرعية (المحكمة العليا) (عام ١٩٨٨م)

برئاسة القاضي محمد أفضل ظله وعضويّة كل من القضاة: د. نسيم حسن شاه، وشفيع الرحمان، والشيخ محمد كرم شاه الأزهري، والشيخ محمد تقي

(١) محمد متين خالد: الأحكام القضائية، ص ٧٩-٢٢٧.





العثماني، وحكمت المحكمة بإقرار حكم المحكمة الشرعية الفيدرالية، ورُدَّت دَعْوَى القاديانيين بالاستئناف<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: المحكمة العالية لاهور (عام ١٩٨٧م)

برئاسة القاضي محمد رفيق تارر بحيث حُكِمَ بِمَنْعِ القاديانيين استعمال الكلمة الطيبة (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ محمد رسول الله) لأنفسهم؛ لأنه قد ثبت بأنهم يعتقدون باسم محمد مُتَّبِعُهُمُ الكاذب<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: المحكمة العالية لاهور (١٩٨١م)

برئاسة القاضي كل محمد خان بحيث حكم بمنع القاديانيين اعتبار أنفسهم فِرْقَةً مِنْ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ، أو تسمية أنفسهم مُسْلِمِينَ فِي الْمُسْتَنْدَاتِ الرَّسْمِيَّةِ<sup>(٣)</sup>.

خامساً: المحكمة العالية لاهور (١٩٨١م)

برئاسة القاضي ميان محبوب أحمد بحيث حُكِمَ بِعَدَمِ صِلَاحِيَّةِ قَادِيَانِي؛ لِأَن يَكُونُ عَمْدَةً لِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْمُسْلِمِينَ<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٣٣-٤٤١٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥١-٢٥٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٥٨-٢٦٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٦٤-٢٦٩.

سادسا: المحكمة العالية لاهور (١٩٩٢م)

برئاسة القاضي ميان نذير اختر بحيث حُكِمَ ضدَّ القاديانيين؛ لاستعمالهم المصطلحات الإسلامية في بطاقتهم الدَّعَوِيَّة<sup>(١)</sup>.

سابعا: المحكمة الشرعية الفيدرالية (١٩٩٠م)

برئاسة القاضي قل محمد خان، وعُضْوِيَّة كل من القضاة: عبد الكريم خان كندي، وعبادت يار خان، وعبد الرزاق علي تهيم، والشيخ فدا محمد خان، وحَكَمَتِ المحكمة في قضية إهانة النبي ﷺ بعقوبة الموت<sup>(٢)</sup>.

ثامنا: المحكمة العالية لاهور (١٩٩٤م)

برئاسة القاضي خليل الرحمن خان، وعُضْوِيَّة كل من القضاة: سيد محمد زبير، وميان نذير اختر، وحَكَمَتِ المحكمة في قضية إهانة جميع الأنبياء، وإهانة النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

تاسعا: المحكمة العالية كوئته (١٩٨٧م)

برئاسة القاضي أمير الملك مينكل في قضية مُخالفة القانون ضد القاديائيَّة<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٧-٢٩٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٠٤-٣٢٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٣٥-٣٦٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٧٦-٣٩٩.

عاشرا: حكم المحكمة العالية بلاهور (١٩٩١م)

برئاسة القاضي خليل الرحمن خان بمنع القاديانيين عقد مهرجانات بمناسبة مرور مائة سنة على نبوة القادياني الكذاب<sup>(١)</sup>.

حادي عشر: حكم المحكمة العليا (١٩٩٣م)

في قضية استعمال الشعائر الاسلامية للقاديانيين برئاسة القاضي عبد القدير شودري، وعضوية كل من القضاة: شفيع الرحمن، ومحمد أفضل لون، وولي محمد خان، وسليم اختر<sup>(٢)</sup>.

ثاني عشر: المحكمة العليا (١٩٩٩م)

برئاسة القاضي سعيد الزمان صديقي، وعضوية كل من القضاة: إرشاد حسن خان، وراجة افراسياب خان، ومحمد بشير جهانكيري، وناصر أسلم زاهد في قضية استأنفوا فيها حكم القضية العالية في استعمالهم الاصطلاحات الإسلامية، ولكنهم لم يترافعوا أمام القضاء، فردت دعواهم<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) المصدر السابق: ص ٤١٠-٤٤٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٥٩-٥٢٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٣٠-٥٣١.

### المبحث الثالث

#### دور العلماء في الدفاع عن النبي ﷺ في المحاكم وغيرها

- لقد أَدَّى العلماء دورهم في الدفاع عن النبي ﷺ على جبهات عديدة، منها:
١. جبهة التأليف والتصنيف، وقد مرَّ معنا في الفصل الثاني أسماء الكتب.
  ٢. جبهة تثقيف الشعب، وتحريضهم في المشاركة، كما مر معنا في مبحث المسيرات.
  ٣. جبهة المناظرات والمباهلات: كما ذكرت سابقاً بأن الشيخ ثناء الله الأمرتسري وغيره من العلماء قاموا بمناظرة القاديانيين بصورة خاصّة، وغير المسلمين بصورة عامّة، وغلبوا فيها بإذن الله تعالى، وهناك من العلماء من دعا المرزا القادياني للمباهلة، ولكنه كان يَفِرُّ دائماً من المباهلة خوفاً من أن تُصيبه لعنة المسلمين<sup>(١)</sup>.
  ٤. جبهة مصارعة القاديانيّة وغيرها من الأعداء بتقديم الأدلّة أمام المحاكم، ونرى ذلك واضحاً في مشاركة العلماء مع القضاة في فهم القضية، وبيان

---

(١) مجلة دعوت أهل حديث: مقال عبد الرشيد عراقي: الشيخ محمد حسين البتالوي والرد على القاديانية ص ٢٧٦.



## الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

الحُجج والأدلة بدعوة من المحاكم كما تقدّم الدكتور محمود غازي والشيخ صدر الدين الرفاعي، والشيخ تاج الدين الحيدري، وبروفسور محمد أشرف، والشيخ مرزا محمد يوسف، وبروفسور طاهر القادري أمام المحكمة الشرعية الفيدرالية في قضية القاديانية<sup>(١)</sup>، وفي قضية أخرى تقدّم أمام المحكمة الشرعية الفيدرالية كل من الشيخ سبحان محمود، والمفتي غلام رسول القادري، والشيخ صلاح الدين يوسف، والشيخ محمد عبده الفلاح، والشيخ عبد الشكور، والشيخ فضل هادي، والشيخ سعيد الدين شيركوتي، والشيخ رياض الحسن النوري<sup>(٢)</sup>، وقدّموا أمام المحكمة أدلتهم حول عقوبة الموت؛ لثاتم الرسول ﷺ.

وقد قدّم الدكتور محمود غازي الأدلة والبراهين على كفر الطائفة القاديانية أمام المحكمة في جنوب إفريقيا.

\*\*\*

(١) الأحكام القضائية: ص ٨٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٠١، ٣٠٦.





## **الفصل الرابع**

### **دور المجالس البرلمانية تجاه هذه الفتن**

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: دور البرلمان الباكستاني في إصدار قرار يقضي بتكفير الطائفة**

**القاديانة.**

- **المبحث الثاني: إصدار قانون للحفاظ على مقام الرسالة.**





## المبحث الأول

### دور البرلمان الباكستاني في إصدار قرار يقضي تكفير الطائفة القاديانية

كما تقدم في مبحث حركة ختم النبوة عام ١٩٧٤م نتيجة لهذه الحركة أصدر البرلمان الباكستاني تعديلا دستورياً حلا لهذه القضية، ونصّها كما يلي:

أولاً: عنوان التعديل وبداية نفاذه:

١. يُسمّى هذا التعديل الدستوري باسم قانون عام ١٩٧٤م.

٢. سوف يبدأ تنفيذ هذا القانون فوراً.

ثانياً: تعديل في المادة رقم ١٠٦

يُعدّل في دستور الجمهورية الباكستان الإسلامية في المادة رقم ١٠٦ بحيث يُكتب بعد قوله: «الجماعة القاديانية، أو الجماعة اللاهوتية» بين القوسين: «الذين يسمّون أنفسهم أحمديين».

ثالثاً: تعديل في المادة رقم ٢٦٠

يُعدّل في الدستور في المادة رقم ٢٦٠، ويُضاف بعد البند الثاني بنداً آخر، ونصّه: أي شخص لا يؤمن قطعياً وبدون شرط بأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين، وهو النبي الأخير، أو يدّعي نبوة بعد النبي ﷺ بأي مفهوم أو بأي

قَسَم، أو يعترف بأيِّ مُدَّعٍ بأنه نبيٌّ أو مصلح ديني، فهو ليس بمسلم في نظر الدستور والقانون.

#### رابعاً: بيان الأهداف:

كما قُرِّرَ في الجمعية الوطنية باقتراح من اللجنة الخاصة بأن الهدف من هذا التعديل في دستور الجمهورية الباكستان الإسلامية بحيث يصبح أي شخص لا يؤمن قطعياً وبدون شرط بأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين، وهو النبي الأخير أو يدعي نبوة بعد النبي ﷺ بأي مفهوم، أو بأي قسم، أو يعترف بأيِّ مُدَّعٍ بأنه نبي أو مصلح ديني، غير مسلم في نظر القانون.

عبد الحفيظ بير زاده - الوزير المسئول

كما أصدر الرئيس الجنرال محمد ضياء الحق مرسومين عام ١٩٨٢م و١٩٨٤م لنفس هذا الغرض<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الأحكام القضائية: ص ٦٣-٦٤ و ٦٥ و ٧٠.



## المبحث الثاني

### إصدار قانون للحفاظ على مقام الرسالة

في عام ١٩٨٣ م ألّف أحد المُحامين الاشتراكيين، وهو مشتاق راج كتابًا باللغة الإنجليزية باسم (الشيوعية السماوية) ووُزِعَ على نطاق واسع بين المُحامين والمُثَقِّفين وقد استهزأ الكاتب بذات الله تعالى، وبالأديان السماوية، ووصف العلماء بالشیاطين، وهاجم الأنبياء، وذكرهم بكلمات ساقطة حتى أنه تجرّأ على الهجوم على ذات النبي ﷺ بعبارات في غاية الإهانة والسخف.

فاجتمع الغيُورون في جُمعيّة المُحامين المسلمين الدولية (باكستان) في جلسة استثنائية؛ لبحث هذه القضية، ودَعَوْا العلماء في الاجتماع كما حضر معهم اثنان من أساتذة الجامعة الإسلامية بالمدينة، وهما: الشيخ ربيع المدخلي، والشيخ سعيد صالح، وكانا موجودين آنذاك في لاهور واتفق الجميع على أن مؤلّف هذا الكتاب أساء إساءة بالغة لا يُمكن السكوت عليه في أي حال من الأحوال، وطالبوا الحكومة بمصادرته، ومُحاكمة الكاتب، فاشتاط المؤلف غضبًا، وبدأ يُسبُّ أعضاء نقابة المُحامين، وأعضاء الجمعية، ووصفهم بالجهل، وزعماء العواطف الحيوانية.

وأصدرت الحكومة قرارا بحظر الكتاب ومصادرته، وتبين أنه لا يوجد في القانون الباكستاني أي نص يُدين هذا الجاني، وأدّى ذلك إلى موجة من الغضب في الأوساط الإسلامية، واجتمع العلماء وأصحاب القانون والسياسيون؛ لبحث هذه القضية، وسنّ قوانين؛ لمُعاقبة مرتكبي مثل هذه الجرائم.

ومن ناحية أخرى خرج بعض الشباب الثائر بحثا عن هذا الجاني، فأحسّت الحكومة بالخطر، فقبضت على الجاني وحاول بعض زملائه إخراجه من السجن بالكفالة؛ فأدى ذلك إلى غضب المحامين الآخرين، فقاموا في المحكمة بكل شِدَّةٍ مُطالِبَةً بِرَدِّ دَعْوَى الكفالة، وعندما رأى القاضي غضبهم ما كان منه إلا أن ردَّ طلب الكفالة، وأعلن أن القضية نُقلت إلى المحكمة العسكرية، ولم يستطع الجاني الخروج من السجن، ولمَّا علم به أهل السجن أرادوا الفتك به، ولكن سلطات السجن حبسته في سجن منفرد.

ونتيجة لهذه الجهود المضنية أعلن الرئيس الراحل الجنرال محمد ضياء الحق عَزَمَهُ على التَّقْنين؛ لمُعاقبة هذه الجريمة، ولكن لم يُظْهِرْ عَزَمَهُ في حَيِّز التنفيذ، فقدَّم أحد كبار المحامين وهو محمد إسماعيل قريشي بطلب في المحكمة الشرعية الفيدرالية ضد الحكومة (متمثلة في رئيس الدولة وحُكَّام الولايات) بأنها قد قصَّرت في واجبها؛ للتقنين حَوْلَ الحِفاظ على كرامة الرسول ﷺ، ومُعاقبة

مرتكبي جريمة الإساءة إلى مقام النبي ﷺ.

وقد وقع على هذا الطلب عددٌ كبير من العلماء، والقضاة السابقين، والوزراء السابقين، والمحامين، وغيرهم.

وكانت الخطوة الأولى بأن قُدِّم مشروع قانون في البرلمان الباكستاني يُطالب بعقوبة الموت لمن أهان الرسول ﷺ، أو الشخصيات المقدسة عند المسلمين فسوف يُعرَّض نفسه لعقوبة الموت أو السجن المؤبد، ووافق المجلس الوطني في ٢/١٠/١٩٨٦م بالإجماع على هذا القرار، وأصبح بذلك قانونًا ساري المفعول، وقد رأى بعض المحامين بأن تكون العقوبة واحدة بدون بديل أي عقوبة الموت فقط، فتقدَّم المحامي محمد إسماعيل قريشي إلى المحكمة الشرعية الفيدرالية، وطلب هذا التعديل في القانون، وبعد الاستماع إلى أقوال أهل العلم أصدرت المحكمة حكمًا في ٣٠/١٠/١٩٩٠م بأن عقوبة شاتم الرسول هي الموت فقط<sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى أن القضاء الباكستاني، والبرلمان الباكستاني قد لعبا دورًا هامًا في نُصرة النبي ﷺ، وبذلك سدُّوا الباب أمام من تُسَوَّل له نفسه في ارتكاب مثل هذه الجرائم، والحمد لله.

(١) ناموس رسول وقانون توهين رسالت: ص ٤٣٥ - ٤٤٩.

## الخاتمة

### نتائج وتوصيات:

١. الجهود العظيمة التي بذلها المسلمون في هذه القارة قبل الاستقلال وبعده.
٢. صُور بذل الأرواح، والأموال، والأولاد في سبيل نصرته النبي ﷺ.
٣. صُور مختلفة للإهانة في شأن النبي ﷺ من اتهامات باطلة، وأدعاء النبوة، وإنكار سُنَّته، وتأويلها، والغلو في مقامه.
٤. دور العلماء في صُور مختلفة من تأليف، ومناظرة، وإصدار فتوى، وتوجيه الشعب.
٥. دور القضاء تجاه هذه المشاكل من إصدار الأحكام مطابقاً للشريعة السمحاء.
٦. دور المجالس البرلمانية تجاه هذه المشاكل من سنّ قوانين رادعة لمُرتكبي الإهانات.
٧. يجب تثفيف الأمة بكل أوساطها بمؤامرات الأعداء، وبطرقهم



## الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

لارتكاب هذه الجرائم.

٨. نشر السيرة النبوية بجميع لغات العالم.
٩. نشر تعاليم الإسلام التي تأمر باحترام جميع الأديان، وتطلب من الجميع احترام الإسلام والمسلمين.
١٠. نشر وإبراز جهود السلف الصالح للشباب بصورة خاصّة، ولعامّة الناس بصورة عامّة.
١١. تقديم القدوة الحسنة أمام غير المسلمين حتى يتعرّفوا على الشريعة الإسلامية بصورة عمليّة.
١٢. تسخير جميع الإمكانيّات المتاحة (من كُتُب، وموادّ مسموعة ومرئيّة، ومواقع الكترونية، وغيرها) للدعوة إلى الله.
١٣. عقد مؤتمرات، وندوات؛ لبيان حقوق النبي ﷺ على أمته في جميع الدّول الإسلامية، وخاصّة لغير الناطقين باللغة العربية.
١٤. منع القاديانيين من نشاطهم في الدول الإسلامية، وخاصّة في الدول الإفريقية.
١٥. مطالبة الحكومات الإسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع أمورهم.

١٦. نشر السُّنَّة النبوية على نطاق واسع، والردُّ على شُبُهات مُنكري السنة.

١٧. نشر جهود المُحدِّثين في جمع وشرح السنة النبوية، والردُّ على شُبُهات المؤوِّلين.

١٨. بيان السُّنَّة لعامة المسلمين، وبيان خطورة البدع في المُجتمعات الإسلامية.

١٩. فضح مؤامرات أصحاب النحل المنحرفة لعامة الناس.

٢٠. تصحيح المغالطات التي يقع فيها عامة الناس.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

\*\*\*



## قائمة المراجع

- (١) تحريك ختم نبوت عام ١٩٥٣م - ترتيب وتحقيق الشيخ الله وصايا - عالمي مجلس تحفظ ختم نبوت - ملتان - ١٩٩١م.
- (٢) تذكرة المناظرين - الشيخ محمد مقتدى الأثري العمري - دار النوادر - لاهور - ٢٠٠٧م.
- (٣) أفكار غامدي، دراسة وتحليل - حافظ محمد زبير وحافظ طاهر إسلام عسكري - مكتبة خدام القرآن - لاهور - ٢٠٠٧م.
- (٤) حكم المحكمة الشرعية الفيدرالية بشأن القَادِيَانِيَّة - ترجمة محمد بشير - دار العلم - إسلام آباد - ١٩٨٥م.
- (٥) شهيدان ناموس رسالت - ترتيب وتحقيق محمد متين خالد - فاتح ببلشرز - لاهور - ٢٠٠٠م.
- (٦) ناموس رسالت وقانون توهين رسالت - محمد إسماعيل قريشي - الفيصل للنشر - لاهور - ١٩٩٤م.
- (٧) طلبة تحريكين (الحركات الطلابية) - سليم منصور خالد - البدر للطبع والنشر.
- (٨) الأحكام القضائية ضد القَادِيَانِيَّة - محمد متين خالد - علم وعرفان للنشر - لاهور - ٢٠٠٢م.

- (٩) زوايع في وجه السنة قديماً وحديثاً- صلاح الدين مقبول أحمد- دار ابن الأثير الكويت-١٤١٤هـ.
- (١٠) البريلوية: عقائد وتاريخ- إحسان إلهي ظهير- إدارة ترجمان السنة- لاهور- ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- (١١) القَادِيَانِيَّة: دراسات وتحليل- إحسان إلهي ظهير- المكتبة العلمية بالمدينة- ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- (١٢) القادياني والقَادِيَانِيَّة: دراسات وتحليل- أبو الحسن علي الندوي- مطبعة ق بالهند- ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
- (١٣) القرآنيون وشُبُهَاتُهُمْ حول السُّنَّة- د. خادم حسين إلهي بخش- مكتبة الصديق بالطائف- ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- (١٤) اهتمام المُحَدِّثِينَ بنقد الحديث سنداً ومتناً- د. محمد لقمان السلفي- ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- (١٥) مجلة الاعتصام- عدد خاص حول الرد على القَادِيَانِيَّة- مجلد ٦٠ عدد ٤٣- ١ / ١١ / ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- (١٦) مجلة مُحَدَّث- عدد خاص حول فتنة إنكار السنة- مجلد ٣٤ عدد ٨، ٩- رجب ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- (١٧) مجلة دعوت أهل حديث- عدد خاص حول ختم النبوة- ربيع الثاني ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.



## الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية

- (١٨) جهود مُخلصة في خدمة السنة المطهرة. د. عبد الرحمن الفريوائي ص ٢٠-٢٢، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ببنارس، الهند ط/٢، ١٤٠٦هـ.
- (١٩) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٠، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٤٠٥هـ.
- (٢٠) البداية والنهاية ١٠/١٧٧، تحقيق د. عبدالله التركي، هجر للطباعة والنشر، ط/١، ١٤١٨هـ.

\*\*\*





# أسس إبراز منهج الرحمة في الخطاب الدعوي المعاصر « جهود الدعاة في تنزيله على الواقع »

إعداد

أ.د. محمد زين الهادي الحاج علي العرماني

عميد كلية الدعوة بجامعة أم درمان الإسلامية  
وعضو هيئة علماء السودان، وعضو لجنة الفتوى بالهيئة

ایض

## المقدمة

الحمد لله واهب العقول قاسم الأرزاق: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(١)</sup>، و﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(٢)</sup> له الشكر على ما وهبنا من علمه لنهتدي به في دياجير الدجى، لنعرفه على بينة: ﴿وَسَعَلُونَاكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٣)</sup> وله الشناء الحسن، على ما أودع فينا من جسد من طين لازب ليناسب حياتنا على الأرض التي منها خلقنا، وفيها يعيدنا، ومنها يخرجنا تارة أخرى ليتم التجانس والتآلف بيننا وبينها وما تُنبت لنا من مأكولات، رحمة بنا: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾<sup>(٤)</sup>.

والصلاة والسلام موصولان إلى أفضل خلقه وصفوة رسله رحمة الله

(١) سورة العلق الآية ٤-٥.

(٢) سورة طه الآية ٥٠.

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٤) سورة طه الآية ٥٥.

للعالمين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، أزكى النفوس وأطهر الأعراق. وأكمل الناس خلقاً وخلقاً، فاجتمع له كمال البشر وختم النبوة، الذي أجمل الله له ذلك بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

أما بعد:

فإن الإسلام جاء لختم الرسالات الإلهية للبشرية، فجمع الله فيه فضائلها، وميزه بخصيصتين تجعلانه يسائر كل زمان ومكان، ويلائم كل مكان، ويلبي حاجات كل أمة وفرد وجماعة، ويبين كل شيء: ﴿ وَتَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٤)</sup>.

الخصيصة الأولى هي: الثبات في أصوله وقواعده وأساسه وأركانه، التي تستعصى على التغيير والتبديل والتحريف والتزييف مهما كانت المحاولات، وكيفما تناولت وتقادمت الأزمان وامتدت الأعصار،: ﴿ إِنَّا خَنُ تَزَلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢) سورة القلم الآية ٤.

(٣) سورة النحل الآية ٨٩.

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٥) سورة الحجر الآية ٩.





الخصيصة الثانية هي: المرونة والسعة واليسر في فروعها التي تأتي في شكل عموميات، فهي كثيرة وغزيرة ويانعة الشار ودانية القطوف لكل مجتنب، ميسرة لكل صاحب فكر ثاقب وعقل نير متزن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(١)</sup>.

والمرونة تأتي في الأمور الاجتهادية والاستنباطية القابلة للأخذ والعطاء تقعيدياً على تلك الأصول الثابتة... لقد خط الله لهذه الأمة منهجاً تنهج، ورسم لها طريقاً تسلكه، وهو الصراط المستقيم فمن سلكه نجا، ومن زاغ عنه هلك ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأصل المنهج والخطاب الدعوي، هو الصراط المستقيم، الذي تتفرع عنه الوسائل والأساليب لتعريف الناس بمعالم الرحمة في دعوة هذا النبي الخاتم، فهذا لا بد من نهجه تماماً ولا يجوز التفرق فيه، والاختلاف عليه، لأنه أصل، أما الفروع الاجتهادية مما يسلكه كل داعية لإبراز الرحمة في هدي نبي الهدى فما ينبغي أن يعنف أحد الآخر عليها.

(١) سورة محمد الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

وهذان الأصلان هما ما حاولت أن أبني عليهما بحثي في هذه الورقة العلمية، عقيدة ودعوة في وسطية واعتدال، بعيداً عن الجنوح للغلو والتطرف المجافي لهدى الرحمة، إنما السهولة والتيسير على الناس، لا الاحتراب والعنف!! فلا بد للدعاة أن يعرفوا عصرهم الذي يعيشون فيه، ويدرسوا أحواله وتقلباته، مثلما يدرسوا أحوال الناس أيضاً، ويعرفوا المصطلحات الوافدة والمتغيرة داخل البيئة الإسلامية، حتى لا تختلط الأمور، وتتأرجح الموازين، فيفتحون على العصر وهم ثابتون على أصولهم متبصرون بهدى نبيهم، ومسايرون له بفروعهم الاجتهادية، حتى يستطيعوا معالجة قضاياهم بسهولة ويسر، عارفين بمفاهيمه ومصطلحاته، لينشروا الحق على علم وبصيرة.

هذا، وقد قسمت البحث إلى أربعة مباحث، وكل مبحث إلى عدد من المطالب، حسبما قادني إليه المسار العلمي للبحث.

وقد تناولت في المبحث الأول أسس المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الدعاة ولا يسعهم الاختلاف عليه أما المبحث الذي يليه، فقد دار الحديث فيه عن تأصيل المنهج الدعوي وتطوره، ومسالكه، وأحوال المدعويين، والوسائل والأساليب المستخدمة معهم حسب أحوالهم في إبراز وإيضاح سعة الرحمة في هذه الأسس.



أما المبحث الثالث، فقد خصصته للحديث حول وجوب مراعاة الفوارق بين المدعويين زماناً ومكاناً، عارضاً لمستجدات العصر وما يستخدم في كل ذلك من وسائل وأساليب دعوية تؤصل لأسس سعة الرحمة في الدين وكيف نهجها نبيه ﷺ.

أما المبحث الأخير، فقد تطرقت فيه لنماذج من القضايا المعاصرة، عرضاً وعلاجاً حسبها سمحت به مساحة البحث - سائداً تلك الحلول بأدلة شرعية بما يبين منهج الرحمة الذي اتبعه النبي ﷺ.

أما الخاتمة، فقد ذكرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وبعض التوصيات، واختصاراً للمساحة، فقد تركت المراجع في هوامش الصفحات فقط ولصغر حجم الورقة فقد تركتها أيضاً بدون فهرس. وأسأل الله لنا وللمسلمين عامة والدعاة خاصة، التوفيق والسداد وأن يجنبنا الزلل إنه نعم المولى ونعم المعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د/ محمد زين الهادي العرمابي

Email:alarmaby@gamil.com

\*\*\*

## المبحث الأول

### أسس المنهج الدعوي العام الذي تركز عليه الرحمة

#### المطلب الأول: بناؤه على الكتاب والسنة:

أي منهج يريد له أصحابه أن يكون صالحاً وشاملاً ونافعاً للناس في كل شؤونهم، ويؤسسون عليه حياتهم ويرتكزون عليه في معاشهم ومعادهم، فلا بد أن يرتشف من القرآن ويشرب من زلال ماء السنة غير الآسن ويبرز معالم الرحمة في هذا الدين.

فالقرآن كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم حميد، وهو المنهج السوي الذي اختاره الله للبشرية لتسير على هداه حتى تصل إلى بر الأمان ومرفأ السلام: ﴿ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup> فهو منهج: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا المنهج الذي يقوم على أساس القرآن يخرج البشرية من ظلمات الجهالة والضلالة إلى نور الهداية: ﴿ الرُّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ

(١) سورة الجاثية الآية ٢٠.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢.

الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ<sup>(١)</sup>، فمنهج القرآن هو المنهج  
الأصلح والأقوم والأأنفع والأبقى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّئُ  
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا<sup>(٢)</sup>﴾.

ولننظر الآن لوصف الرسول ﷺ، لهذا المنهج القرآني «كتاب الله فيه نبأ ما  
كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه  
من جبار قصمه الله، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ  
به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تشبع منه العلماء، لا يخلق على كثرة الرد،  
ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنه الجن إذ سمعته، حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا  
عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ<sup>ط</sup> وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا<sup>(٣)</sup>﴾ من قال به صدق ومن  
عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط المستقيم<sup>(٤)</sup>».

(١) سورة إبراهيم الآية ١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩.

(٣) سورة الجن الآيات من ١-٢.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب رقم (١٤) ما جاء في فضائل القرآن، حديث

رقم (٢٩١٥) وقال فيه هذا حديث حسن غريب وأخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن  
من قرأ القرآن باب الفضل.

لقد لخص النبي ﷺ هذا المنهج القرآني، بما أوتي من جوامع الكلم، في تلك الكلمات الجامعة التي لا مزيد عليها، ولا أوفى منها فما من شك في أن القرآن هو منهاج الله الحاوي الواعي الشافي الكافي بحاجات البشرية كلها، دقيقها وعظيمها، وعلم تشريع وحكم وحكمة، واقتصاد وتجارة رابحة، وسياسة حكيمة راشدة، ودنيا وآخرة، وهداية ورعاية، وإصلاح وفلاح، وشفاء لما في الصدور والأبدان والعقول وهو رحمة في كل شأنه..... الخ.

ونقول في تركيز هذا المعنى وتلخيصه، إن نصوص الوحي وتوجيهاته - عموماً - هي مفاتيح اتصال بين إرادة الإنسان وقدراته التسخيرية والعلمية، وبين السنن الكونية التي تضبط تغيرات المجتمع وحركته، وهذه العلاقة بين التوجيه القرآني لحركة الإنسان، وبين الناتج الحضاري للفكر الإنساني علاقة ثابتة دقيقة. لا تتخلف ولا تختل بحال، ودراسة نصوص القرآن تؤكد هذه الحقيقة<sup>(١)</sup> فالكون كله يسير وفق سنن خالقه ومبدعه ومن خلال منهجه الذي وضعه له: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) في منهجية الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص ٢٦ أحمد سلام، دار الإيمان بالإسكندرية ط ١

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٢) سورة لقمان الآية ١١.

فعلى الداعية الذي يريد أن يحسن منهجه ويواكب عصره ويفيد مجتمعه، أن ينهج نهج القرآن ويترسم خطاه ويحذو حذوه، ويتبحر في علومه، حتى يعرف أصله فيقف عنده، ويميز الفرع في مرونته وسهولته ومطاوعته ومسائرته للزمان والمكان، فلا يشدد على الناس فيه، وليعلم أن الشدة تجافي منهج الرحمة الذي بعث به نبي الرحمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن القرآن منهج متكامل يصلح لكل زمان ومكان، وكل الأعمار وكل الأجيال وكل الأحوال وكل الأذواق وكل الأجناس وكل الأوقات وكل الساعات وكل الساحات فهو رحمة الله للناس كافة..... الخ.

أما السنة فهي المبينة للقرآن الشارحة لمختصره المفصلة لمجمله المخصصة لعامة المقيدة لمطلقه وهي نوع من الوحي، لأن كلام النبي ﷺ بشهادة القرآن هو وحي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

بل إن الله ألزمنا بما جاء من عند النبي: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة النجم الآية ٣-٤.

نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»<sup>(١)</sup> ونحن مطالبون أن نحكم رسول الله في كل شؤوننا، بل لا يكتمل إيماننا إلا بهذا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، النبي ﷺ حذرنا من أن ندعي أخذنا بالقرآن دون السنة وأن ما جاء به هو أيضاً قرآن: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ، كما حرم الله»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية لأبي داود.. «فما وجدناه في كتاب الله من حلال استحللناه، وما وجدناه من حرام حرمناه! وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»<sup>(٤)</sup> وفي رواية لأبي داود زيادة: «لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول.....»<sup>(٥)</sup> وسنة

(١) سورة الحشر الآية ٧.

(٢) سورة النساء الآية ٦٥.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند الحديث، رقم (٢٦٧٣) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب ٩ لزوم ما نهى عنه أن يقال عند الحديث، عن رسول الله ﷺ رقم (٣٢٤).

(٥) المرجع نفسه ونفس الأبواب والكتب.



النبي ﷺ وحي - كما ذكرنا - بدليل الآية السابقة وغيرها، لاسيما في التشريع، وما أمر بتبليغه، ولهذا جاء عنه: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(١)</sup> قال الخطابي في معالم السنن معلقاً على هذا الحديث «قوله: أوتيت الكتاب ومثله معه» يحتمل وجهين من التأويل أحدهما: أن يكون معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو، وأوتي من البيان، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، ويعم ويخص، وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس في الكتاب (حكم ظاهر) ويكون ذلك وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن... وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول ﷺ كان حجة في نفسه»<sup>(٢)</sup>.

والنبي ﷺ أعطى جوامع الكلم، ولهذا فقد جاءت سنته شاملة ومستوعبة لكل جوانب الحياة، كما رسخ ذلك في الحياة بالقول والتوجيه والإرشاد وبالعمل الواقعي، ولهذا فقد كانت سننه أصلاً يؤسس عليها ويستنبط منها ويقاس عليها ويفرع منها تعم رحمتها كل أطيايف الناس.

(١) المرجع السابق ونفس الأبواب والكتب حديث رقم ٤٦٠٤.

(٢) معالم السنن للخطابي المطبوع مع سنن أبي داود ١٠ / ٥ طبع دار الحديث سوريا حمص

ط ١٣٩٤ هـ - ١٩٥٧ م.

ولقد فطن الصحابة لهذا الشمول والاستيعاب في السُّنة، فقد روى عنه عدد منهم مثل عمر وحذيفة وغيرهم، رضي الله عنه أجمعين، فقالوا: «قام فينا رسول الله ﷺ، مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، وفي رواية للترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ، يوماً العصر بنهار ثم قام بنا خطيباً، فلم يدع شيئاً...» الحديث....<sup>(١)</sup>.

هذا الأساس من القرآن والسُّنة هو الذي ندعو المسلمين عامة والدعاة خاصة أن يؤسسوا عليه حياتهم حتى يتجنبوا المزالق إلى الشطط أو التراخي والفتور لأنه هو المنهج الوسط الذي منه نأخذ سعة الرحمة ومنهجها في تأسيس هذا المنهج الذي تؤسس له أصالة الرحمة في منهج النبي ﷺ.

\*\*\*

---

(١) الحديث متفق عليه في عموم لفظه وذكره البخاري في عدة أبواب وكتب، ومنها كتاب بدء الخلق باب ١ حديث رقم ٣١٩٢، ومسلم في كتاب الفتن باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة حديث رقم ٢٣ وأبو داود في كتاب الفتن باب ذكر الفتن حديث ١ والترمذي في كتاب الفتن باب ما أخبر به أصحابه حديث ٢٦ والمسند ٥/ ٣٨٥.

### المطلب الثاني: العلمية والتخطيط في منهج الرحمة:

لا يكون العمل ناجحاً وموفقاً إلا إذا كان وفق رؤية تخطيطية هادفة، وهذا التخطيط لا يكون إلا بصحبة رؤية علمية أيضاً، حيث إن التخطيط والعلم صنوان وتؤمنان لا يفترقان ولا تخطيط بدون علم، ولا يصلح العلم إذا لم يزين بالتخطيط والمنهج العلمي المخطط هو المنهج الإسلامي الأصيل الذي يجب أن يسلكه الدعاة لإبراز منهج الرحمة النبوي في تعاملهم مع فئات المجتمع المحلي والعالمي، فالقرآن يحث على العلم والتخطيط في كل عمل، حتى في صلاة المسلمين وحرورهم... بل وفي طريقة نومهم ومعاشهم.. كل ذلك منظم ومخطط، والأطفال والخدم الذين هم في البيوت لهم أوقات خاصة يدخلون فيها على الكبار وأوقات ممنوعون فيها حتى لا يكشف المستور، نأخذ على ذلك أنموذجين عمليين، أحدهما في الصلاة في حالة الحرب، وهي أشد الحالات التي تختلط فيها الأمور لم يتركها الإسلام بدون تخطيط دقيق، والآخر عن دخول الأطفال على الكبار.

أما الأول: ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۚ وَذَٰلِكُمْ كَيْفَ تَدْعُوا ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

تَعْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ  
إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١﴾.

والأنموذج العلمي الثاني: جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ  
صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ  
لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّفُورٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ  
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾.

والمنهج العلمي في القرآن يقوم على الثبوت والتريث الذي يعني العلمية  
والتخطيط بعكس المنهج العشوائي الذي يخبط بدون تدقيق.. فهذا هو القرآن  
يدعو المؤمن إلى هذا المنهج الرصين بهذا النداء المحبب إلى النفس: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ  
تَلَدِيمِينَ ﴿٣﴾.

(١) سورة النساء الآية ١٠٢.

(٢) سورة النور الآية ٥٨.

(٣) سورة الحجرات الآية ٦.



إذن سوء التخطيط وعدم العلمية المنهجية عاقبته الندم، ولات حين مندم!! فكلما خططنا، كلما عرفنا منهج النبي القائم على الرحمة في كل شيء والرحمة أسلوب جاذب في المنهج وهو مبشر وغير منفر.

والحق من الباطل والصالح من الطالح، وقبيح الأخلاق من حسنهما، لا يتبين ولا تتضح معالمها وحدودها إلا بالعلم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَآءِ الْآلَبِينَ﴾<sup>(١)</sup> فنقول للأمة الإسلامية عامة وللدعاة خاصة، إذا كان العلم بهذه المكانة وهذا الأثر في بناء المجتمع وضبط أخلاقه وصيانة علاقته... ونحن أمة تعد نفسها لخوض معركة حامية الوطيس من أجل استعادة حيويتها وإعادة شخصيتها وريادتها باعتبارها أمة وسطاً شاهدة على الأمم تؤسس وسطيتها على غرس صفة التراحم بين الناس كافة لمنهج متبع وسبيل ناهجة، كما هي خير أمة أخرجت للناس وأعدت لهم إعداداً خاصاً.. وإذا كان أمرنا كذلك فلا بد لنا من إعداد أنفسنا وتسليحها بكل ما يؤهلنا لمواكبة طوفان العولمة والاستفادة من صالحه وصد طالحه، بل نغزوا العالم بعولتنا نحن المسلمين، كما كنا من قبل..

(١) سورة الزمر الآية ٩.

وجهد الداعية في هذا المعمة ليس سهلاً، ولا ينبغي أن يكون هامشياً، فهو أكثر من مفتٍ أو مربٍ أو مصلح أو مجرد معلم أو مرشد جماعة صغيرة أو كبيرة، أمة، فحسب، بل هو منوط ببناء الشخصية الإسلامية الأصيلة على قواعد منهج النبي صل الذي بعثه الله رحمة مهداة للخلق كافة<sup>(١)</sup>.

والداعي صاحب فكر أصيل لا ينحرف مع التيارات الصاعدة ولا يعجبه الزبد الطافي، ولا ينقاد لارتباطاته الشخصية ولا لعصبية ولا لعواطفه، ولا يستهويه هرج ولا مرج ولا خلة ولا صاحبة، إذا كانت تصيبه بالوهن أو تحيده عن الطريق القويم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والنبي ﷺ، كان دأبه التخطيط والتنظيم والدقة في كل أعماله لم يؤثر عنه أنه عمل عملاً خبطاً، ففي الهجرة جهز نفسه وراحلته وكتم خروجه وأوكل علياً يضطجع على فراشه متدثراً ببرده تعمية على الأعداء، لكي يؤدي الأمانات التي

(١) للتوسع انظر، علم النفس الدعوي، للمؤلف ص ٩٧ وما بعدها ١٩٩٣ م.

(٢) سورة المجادلة الآية ٢٢.

كانت مودعة عنده، ثم يخرج في جنح الليل.. فيختفي في الغار ثلاثة أيام حتى يسكن البحث عنه، ثم يتجه جنوباً وهو يريد الشمال، وفي غزوة بدر يصف الجيوش ويرتبهم وينظمهم ويسمع رأي الحباب بن المنذر في النزول أدنى ماء من القوم ويغور القلب التي بينه وبين العدو حتى يشرب جيشه ويعطش جيش العدو والحرب خدعة.. وفي غزوة الأحزاب يحفر الخندق ويث العيون<sup>(١)</sup> وهكذا شأنه دائماً في سعته ورحمته وتخطيطه.

\*\*\*

### المطلب الثالث: الثبات والمرونة في منهج الرحمة:

إن الله، ﷻ، اختار هذا الإسلام منهجاً لحياة الناس كلهم، على اختلاف بلدانهم وسحناتهم، وأزمانهم، يسرون على هداه في شؤونهم كلها يتراحمون ويرحمون به.

ومن الأدلة العقلية الواقعية على عالمية الرحمة في هذا المنهج الرباني أن الله لم يبعث رسولاً بعد محمد، ﷺ، وهو حجة دامغة لمن لم يؤمن بالدليل النقلي الإسلامي، ذلك لأن الله لم يترك البشرية تتيه من غير هاد يهديها الطريق الحق:

(١) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب ٥ هجرة النبي وأصحابه حديث رقم ٣٩٠٥ السيرة النبوية لابن هشام ٤٨٦/٢ المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ.

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وذلك لأن عدم إرسال الرسل يجافي الرحمة ويجافي قيام الحجة.

وهذا المنهج الذي اختاره الله ليسير مع الإنسانية، لا بد أن يتميز بخصائص تجعله يتلاءم ويتواءم مع كل عصر وجيل.. كل يجد فيه بغيته، لأن حاجات الناس وقضاياهم متجددة على الدوام ولا يسعها إلا منهج الرحمة حيث سعته غير متناهية....

ولهذا فقد جاء في المنهج خصيصتان تجعلانه صالحاً لكل الأزمنة والأمكنة ذات قواعد وفوائد نلخصها فيما يلي:

مميزات الثبات في منهج الرحمة:

١ - يتميز الثبات بوجوده في أصول المنهج، الذي يجعله غير قابل للتغيير والتبديل، أو الزيادة والنقصان أو المد والجزر، ذلك لأن الله تكفل بحفظ هذا الأصل، لتستمد منه البشرية حاجاتها على مر الأعصار والأطوار: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

(١) سورة الإسراء الآية ١٥.

(٢) سورة فاطر الآية ٢٤.





الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ فهو محفوظ ومحكم ولا شقوق فيه ولا فروج: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- ومن مميزات الثبات أنه يحفظ أصول هذا المنهج من الاقتلاع والاجتثاث والذوبان، فلا تذروه رياح العولمة ولا تجرفه سيول الحضارات المادية.

فكلما جاءت تيارات الباطل تتغشاه وتطفو عليه كالزبد الرابي ما يلبث أن يتبخر، ويبقى منهج الرحمة ماء صافياً نيراً: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً<sup>ط</sup> وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- ومن مميزات هذا الثبات في أصول منهج الرحمة الإسلامي، أنه يحميه من الذوبان في المناهج الأخرى والثقافات الوافدة والطفيليات الدخيلة عليه، فلو أن أصول هذا المنهج غير ثابتة لتعرض للتحريف والتبديل منذ زمن، خاصة أنه جرت محاولات عديدة لذلك ولكنه منهج رحمة فقد خص الله أصوله بالثبات.

(١) سورة الحجر الآية ٩.

(٢) سورة هود ١.

(٣) سورة الرعد الآية ١٧.

### مميزات المرونة:

حتى يتكامل هذا المنهج ويصلح لكل زمان ومكان ولكل الأجيال، فلا بد أن يتسم بالمطاوعة والواقعية حيث تكون المرونة في أطرافه وفروعه، رحمة بالخلق كلهم.

### ومن فوائدها:

أنها تجعل المنهج يسائر كل الأعصار والأجيال، وبها يسائر المستجدات والمستحدثات العصرية ويستدعيها ولا يتناقض معها، أو يلفظها، أو يجمد عليها ما دامت لا تتعارض مع الثوابت في الأصول..

كما أن المرونة في الفروع تتيح للناس الحركة في شؤونهم بحرية كاملة، من خلال دائرة الأصول الثابتة العريضة الممتدة قممتها تسائر عادات الشعوب وأعرافهم، في الألبسة والأشربة والمأكول والمركب والمسكن.. فإنها لا تخرج عن هذه المرونة.. فالقاعدة الشرعية: الأشياء على الإباحة ما لم يرد نص بتحريمها. فمهما تغيرت الأشياء وتبدلت وتعولت ضمن هذا الإطار. فلا مانع منها، وهذا معني القاعدة الشرعية الأخرى التي تقول: تتبدل الأحكام بتبدل الأزمان، والأحكام التي تتبدلت هي الفرعية الاجتهادية، وليست الأصول والثوابت.

فلا بد للدعاة أن يعرفوا هذه المميزات في منهج الرحمة النبوي فلو أن



الأصول كانت مرنة لاجتثت واقتلعت ولذاب المنهج في التيارات الأخرى، كما أنه لو كانت الفروع جامدة وغير مرنة وغير قابلة للاجتهاد فيها، لكان هذا المنهج جامداً ولتخطاه الزمن ولم يعد صالحاً لكل زمان أو كل مكان أو كل جيل، ولكنها سعة الرحمة التي خص الله بها رسوله ﷺ، فثبات الأصول نستمد منه ونبني عليه ونؤسس، ونقعد القواعد ونرسي الدعائم للبناء.

والفروع المطاوعة نسير بها مع الأمكنة والأزمنة دون أن نتخطانا بعولمتها أو تتجاوزنا بسرعتها...

هكذا اقتضت حكمة الله في رحمة هذا المنهج النبوي، فهو ثابت ومرن ومسائر لا يعتريه تغير في أصوله، ولا جمود في فروعه.

\*\*\*

#### المطلب الرابع: المتوازن في منهج الرحمة:

التوازن سنة كونية أقام الله عليها كونه فكل شيء في الكون متوازن، لا خلل فيه، ولا تفاوت: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۚ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۚ﴾<sup>(١)</sup> في كل شيء من المجرة إلى الذرة في اتزان، فجاذبية الأرض وجاذبية الأنجم.. حتى نصل جاذبية الذرات، سالبها وموجبها..

(١) سورة الملك الآية ٣.

في تناسق يحفظ للإنسان كل ما حوله في ثبات وديمومة، مما يشي بعمق الرحمة بالإنسان خاصة والمخلوقات عامة...

فالداعي لا يستطيع أن يحقق التوازن مع غيره حتى يحققه مع نفسه، ثم مع أهله وعائلته وأسرته ومن له عليهم ولاية. هكذا علمنا القرآن: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾<sup>(١)</sup>.

والنبي ﷺ كان يحث على إصلاح النفس أولاً حتى في الأمور الاقتصادية، وذلك لأن من لم يصلح نفسه لا يكون أهلاً لإصلاح الآخرين، وفاقد الشيء لا يعطيه.

فجاءه رجل يحب أن يتصدق، ويريد المكان المناسب الذي يضع فيه صدقته فدار بينه وبين الرسول الحوار التالي:

قال: يا رسول الله عندي دينار.

قال: تصدق به على نفسك.

فقال: عندي آخر.

فقال: تصدق به على زوجتك.

فقال: عندي آخر.

(١) سورة التحريم الآية ٦.

فقال: تصدق به على ولدك.

فقال: عندي آخر.

فقال: تصدق به على خادمك.

فقال: عندي آخر.

فقال: أنت أبصر به<sup>(١)</sup>.

ولهذا التوازن فقد أمر الله نبيه أن يبدأ في الدعوة بإعلان منهجه الجديد بأهله وعشيرته، فهم الأولى بذلك: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ<sup>(٢)</sup>. وقد فعل النبي ﷺ، ذلك فدعا زوجه خديجة ودعا علياً، ثم أقرب أصدقائه أبا بكر، ومن الرحمة البداية بالأقربين فمن لا يرحم نفسه وقريبه لا يرحم الآخرين.

ولقد ربط الله هذا المنهج الدعوي من أوله بالعقيدة، فكما يلزمه توحيد الله وإفراده بالعبادة كذلك يجب عليه إعلان الدعوة والبداية بالأولى وهم الأقارب

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢/ ٢٥١ و٢٦١، والنسائي في كتاب الزكاة باب ٥٤ حديث

رقم ٢٥٣٥ الصدقة عن ظهر قلب وغيرها.

(٢) انظر معالم الدعوة في ضوء المنهج النبوي للمؤلف ص ٨٥ ط ١، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ١٩٩١ م.

(٣) سورة الشعراء الآيتين (٢١٣ و٢١٤).

واستعمال كافة الوسائل والأساليب التي تسمع صوت الدعوة للناس عامة، وللعشيرة خاصة<sup>(١)</sup>.

وقد يتساءل المرء لماذا إنذار العشيرة أولاً؟ وهل ذلك لازم للتوازن الدعوي في منهج الرحمة؟ ويلخص الإجابة عن السؤال القرطبي قائلاً: «... خص عشيرته الأقربين بالإنذار لتحسم أطماع سائر عشيرته، وأطماع الأجانب في مقارعتة إياهم على الشرك»<sup>(٢)</sup>.

والمقصود بذل الجهد معهم، والبدء بهم وليس عدم تعديهم إلى غيرهم من الرعية يقف عليهم حتى يسلموا أو يستجيبوا لما يدعوهم إليه ولا يتعداهم إلى غيرهم قبل الاستجابة وإنما المقصود البداية مع الاستمرار في دعوتهم وعدم اليأس.

وخلاصة الحديث عن التوازن فإننا نجمله - خوف الإطالة - فنقول: إنه يكون في شأن الداعي كله، ابتداء من العقيدة الصحيحة القائمة على الدليل إلى العبادة. فالتوازن أساس من أسس المنهج الدعوي المعاصر، خاصة في مثل هذا

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ٩٦ دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٢) المرجع نفسه، بنفس الجزء والصفحة.



الوقت الذي اضطربت فيه الموازين واختلطت المعايير، وتقاطعت فيه الخطوط وتشابكت وسال عليه لعاب العولمة بكل جرائمه وميكروباته، فرحمة بالناس جميعاً تعريفهم بأن هذا منهج رسول الإسلام رحمة لكل الشعوب. فالداعية المسلم محتاج إلى التوازن في مسكنه ومركبه وملبسه وهندامه وسمته وتعامله وتحادثه، وفي حكمه على الآخرين من الدعاة والعلماء والمدعوين عموماً حكماً ومحكومين، فلا يأخذهم بالظنة والتهمة التي لا تثبت.

\*\*\*

#### المطلب الخامس: الاستقلال وعدم التبعية أساس منهج الرحمة:

منهج الرحمة أساس يلزم الداعية بناء منهجه عليه، حتى لا يكون شخصية إمعة ينعق مع كل ناعق، أو ذيلًا يسحب في كل اتجاه، وإنما نود له أن يكون شخصية قائمة بذاتها، متجردة من كل تبعية عمياء، شرقية كان أم غربية. فهو كالشجرة التي وصفها تعالى شائخة سامقة تقوم على الحق وتستمد منه غراسها وثمارها: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الاستقلال الذي نتحدث عنه في منهج الرحمة هو أصل إسلامي، فالإسلام أبداً لم يكن يوماً ضعيفاً. يحتاج إلى ترقيع أو تقوية من أنظمة أخرى،

(١) سورة النور الآية ٣٥.

لأن الله جعله خلاصة الأديان وثمرتها.

لقد علمنا القرآن أن نقف على قدمينا وأن نسير مع الحق وأن نعالج الخلل بقوة وعزيمة، ولكن بحكمة وكياسة هي الرحمة النبوية.

والقرآن في بنائه للشخصية الإسلامية المستقلة، ساق لها نماذج من أولئك الذيلين وعاب عليهم ذلك من أنهم عالة على غيرهم في الفكر والفهم، فنعتهم بأنهم تابعون لأفكار وآراء وعقائد غيرهم في سداجة وتبلد، وفي ضباية الفكر والمنهج والسلوك والأسلوب والوسيلة، ونفر غاية التنفير من أطروحاتهم القائلة: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكذلك مقولتهم الباهتة ذات الصوت الخافت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد حرر الإسلام المسلم من أغلال التبعية المتمثلة في عقدة «الكبار» أصحاب الأطروحات الهلامية الغامضة، التي تتلون من وقت لآخر في خداع مضلل، مثل العالم المتحضر والعالم المتقدم والعالم الحر والنظام العالمي الجديد،

(١) سورة الزخرف الآية ٢٢.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٠.





ونظام العولمة... الخ.

وهذا المنهج الاستقلالي الرحب هو ما فهمه ربيعي بن عامر عندما سأله قائد جيش الفرس: ما الذي جاء بكم؟ فقال في عز وشموخ: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم...»<sup>(١)</sup>.

هذا هو أنموذج الاستقلال العقدي والثقافي الذي نريده للمسلم المعاصر المبعوث به النبي رحمة للناس..

\*\*\*

**المطلب السادس: الشمول والاستيعاب في منهج الرحمة النبوي:**  
الشمول والاستيعاب لكل ما يهم البشرية في حياتها وبعد مماتها، في دنياها، في كل صغيرة وكبيرة.. هو منهج إسلامي راسخ وأصيل، قام عليه الخطاب الإسلامي وجاء به القرآن وعمل به النبي ﷺ، وَمَنْ بَعْدَهُ وأعلم الله به رسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>. وأمره أن يعلن ذلك للناس جميعاً: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(٣)</sup>. وأبرز فيه أساس

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤٣/٧ ط ٥ دار المعرفة بيروت ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

منهج الرحمة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

والسنة هي الأخرى دالة على هذا الشمول والاستيعاب في المنهج الإسلامي «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، بعثت إلى الأحمر والأسود وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيا رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون»<sup>(٣)</sup>. إن المنهج الشامل الذي نحت الدعاة على جعله في صلب منهجهم، هو منبثق من عالمية الدعوة الإسلامية، التي أساسها الوفاء بحاجات الإنسان والرحمة به، ومنهجها تعليمي عقدي تربوي يُعنى بتكريم الإنسان الذي كرمه الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ

(١) سورة التوبة ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التيمم باب (١)، والترمذي في كتاب الصلاة، برقم (٢٣٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (٦) وكتاب الطهارة، باب (٩)، والإمام أحمد في

خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١﴾.

ووسيلتها بناء الإنسان الفاضل والأسرة المتماسكة، وتصحيح العقيدة بالله واليوم الآخر، وإقامة الدولة الرشيدة لحراسة العقيدة والإيمان بالله واليوم الآخر والأخلاق والسلوك، وتعميم كل ما يؤدي إلى رقي المدينة وإعلاء صرح الحضارة الإسلامية<sup>(١)</sup> وتنمية وتقوية شخصية المسلم وغرس الاعتزاز بالدين الإسلامي والأمة الإسلامية ومعرفة سعة الرحمة في المنهج النبوي.

\*\*\*

#### المطلب السابع: من أسس منهج الرحمة ترتيب الأولويات:

هذا الأساس ركن ركين وعمود فقري يسند ظهر الدعوة ويمدها بالحيوية ويسهل عليها مرونة الممارسة والاستمرار في سلاسة ويسر، ويمنع التداخل والخلط بين ما يجب أن يقدم وما يلزم تأخير، وما ينبغي أن يفعل الآن وما يتحمل المهلة والتأخير.

... فالداعي هنا مثله مثل الطبيب يعرف إن كان هذا المريض يحتاج لعملية

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٢) للتوسع انظر: فن نشر الدعوة زماناً ومكاناً للمؤلف ص ٢١ وما بعدها نشر دار العاصمة بالرياض - السعودية ط ١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

مستعجلة آنية، أم يتحمل برهة من الزمن يقدم عليه غيره، مثلما أن بعضهم يقدم له علاج كيماوي، والآخر لا بد له من الاستئصال الجراحي.

وكما أن الطبيب لا يقدّم على علاج المريض إلا بعد إجراء التحاليل اللازمة، فكذلك الداعية لا بد له من دراسة كل ما حول المدعو، مثل البيئة والمحيط الثقافي والعقدي والتيارات والجماعات الموجودة وما تقوم به من أنشطة ومدى الاستفادة منها، وما ملاءمتها لما يدعو إليه، وما الذي يتفق معها فيه. والذي يختلف وكيف يمكنه إصلاح منهجها ويجعله لصالح الدعوة الصحيحة النظيفة؟ بل يدرس المناخ وتأثيره على الناس من النواحي النفسية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، كل ذلك يدرسه من حيث الحرارة وشدتها والبرد القارس، من غابات وجبال وصحاري ووديان ووهاد، ومن سهولة ووعورة، ومن صعوبة في العيش وشظف في كسبه أو سهولة ويسر ورخاء.. حتى يأخذ لكل تلك الأنماط أهميتها ويعد لها عدتها من الوسائل والأساليب التي تناسب كل حالة فهي كلها لها أثر بالغ على الإنسان يلزم الداعية معرفته...

وترتيب الأولويات منهج نبوي قرآني أصيل، فتزول القرآن منجماً حسب الأحداث والوقائع، هو ترتيب للأولويات، حيث أول الآيات نزولاً بعد آيات القراءة والعلم، التي هي مفتاح كل علم، نزلت آيات تصحيح العقيدة، لأن القوم



كانوا على شرك وعبادة غير الله، ثم تدرج الأمر حسب الحاجة حتى عم التشريع كل حاجات الناس.

وبدأ النبي ﷺ، الدعوة بأهله وذوي القربى والصداقة.. ترتيباً للأولويات، وتقديماً للأهم على المهم، والأحسن على الحسن.. وترسيخاً لهذا المنهج فقد أوصى النبي ﷺ، معاذاً عندما بعثه لليمن فقال له: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»<sup>(١)</sup>.

فنرى النبي ﷺ، هنا يخبر معاذاً أن يبدأ برأس الأمر وهو العقيدة وشهادة أن لا إله إلا الله التي لا يصلح ما بعدها إلا مرتباً عليها، ثم يلي ذلك في الأولوية الصلاة عمود الإسلام التي لا يثبت بيت الإسلام بدونه... وهكذا يتسع ماعون الرحمة النبوية..

\*\*\*

### المطلب الثامن: من منهج الرحمة النبوي التدرج والتيسير:

التدرج هو تقديم مطلوبات الإسلام في جرعات دوائية حسب حاجة

---

(١) متفق عليه، وهذا أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ١ وجوب الزكاة، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٢٩ وأخرجه غيرهما.

المدعو، زماناً ومكاناً وعلماً وعملاً، ليلبغ المدعو المرتبة بأشياء بعينها يحتاج فيها إلى تفصيل، أو تطويل، أو شرح أو بسط، حتى يستسيغها ويضمها، ولا يصلح أمر الدعوة والدعاة بدونه. فلا يوجد شيء في الإسلام يقوم على الطفرة والقفزة والوثبة، بل كل شيء يسير على تودة ومهل، من الأصغر إلى الأكبر، ومن الأسهل إلى السهل، ومن المألوف الذي سكن إليه الناس أمداً طويلاً إلى الذي يليه من غير أن يشعروا بفجوة، أو أنهم انتزعوا انتزاعاً وهو ما قصده السيدة عائشة متحدثة ومؤكدة على هذا التدرج المصحوب بالتيسير بقولها «... إنما نزل أول ما نزل منه - القرآن - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء «لا تشربوا الخمر»، لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل «لا تزنا، لقالوا لا ندع الزنا أبداً»<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى المفصلي في التدرج المصحوب بالتيسير في المنهج الإسلامي النبوي ما فطن إليه الداعية الحاكم عمر بن عبد العزيز عندما أراد ابنه أن يحمل الناس على الحق دفعه واحدة، فقال له مندفعاً إلى الحق لتنفيذه في الحال: يا أبتى ما منعك أن تمضي لما تريد من العدل؟! فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك!! قال: يا بني، إنما أنا أروض الناس رياضة الصعب إني لأريد أحي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم ٤٩٩٣.

الأمر من العدل، فأوخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فينفروا من هذه، ويسكنوا لهذه!!<sup>(١)</sup>.

فالقرآن نزل بالتدرج، والتشريع استمر بالتدرج وخلق الله الكون بالتدرج: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وتوزيع الأرزاق والأقوات على الأرض جاء بالتدرج: ﴿وَجَعَلْ فِيهَا رِوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَنَّا فِيهَا قَوَاتٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالتدرج من سنن الله في الكون ما ينبغي أن يخطئه الدعاة.

فالتيسير منهج دعوي أصيل يلزم التدرج ملازمة الظل للعود لا يخطئه، فهما صنوان ينتجان مولوداً واحداً، فيكون التيسير في القاعدة، والوسط والقمة، فهو ليس خطوات، ولكنه يصحب كل خطوات التدرج، يسير معها واحدة بواحدة، لا ينفك عنها دافعاً للمشقة وطارداً للعت، مبتعداً عن الغلو...<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد ص ٣٠٠ دار الكتاب العربي بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م وأبو نعيم في حليه الأولياء ٥ / ٣٥٤ ط ٥ دار الرياض للتراث بالقاهر ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

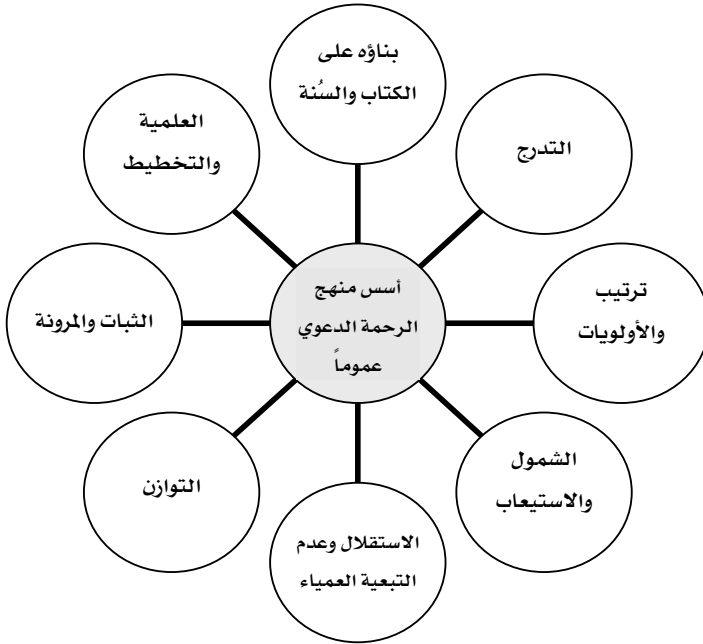
(٢) سورة ق الآية ٣٨.

(٣) سورة فصلت الآيات ١٠.

(٤) للتوسع في التدرج بكل أشكاله وأنواعه بإطناب، انظر: كتابنا: معالم الدعوة في ضوء =

والخلاصة هنا، أن الذي نريده من دعائنا المعاصرين، وهم يعيشون عصر العولمة أن لا يتعجلوا الأمور ولا يخلطوا الأوراق، بين نسيج الدعوة وأن يعرفوا موقع الرحمة في منهج نبهم.

وفي الختام هذه أسس أجملها في هذا الرسم التخطيطي لأجمع شتاته في الشكل رقم (١) التالي:



شكل رقم (١)

= المنهج النبوي ص ٣٥ وما بعدها.





## المبحث الثاني

### تأصيل التطور في المنهج الدعوي وقيامه على الرحمة

التطور سنة من سنن الله في الكون يسير عليه كل شيء وهو حركة وانتقال مع الزمن الذي لا يهدأ ولا يسكن.. فتعاقب الليل والنهار تطور وتعاقب الفصول المناخية تطور، وحركة الرياح وتيارات الهواء صعوداً وهبوطاً تطور وتعاقب الأجيال البشرية تطور، واندثار خلايا الجسم وحلول أخرى محلها تطور، والنمو في كل ما هو نام تطور، فالكون كله في تطور...

ونحن هنا نعني بالتطور في المنهج الدعوي، ذلك الاستمرار والنمو المتصاعد العابر مع الأجيال والأزمان يتراحمون به ومع ذلك فهو مشتق من أصول نامية وجذور راسخة وقاعدة متينة رصينة من الكتاب والسنة وبالتالي لا نخاف عليه من الانزلاق ولا نخشى عليه الذوبان والاندثار ولا الاضمحلال مع الزمن ولكن طور كالشجرة المتينة تضرب جذورها في باطن الأرض وتشمخ بفروعها في عنان السماء تورق اخضراراً وتثمر غذاء، وشجرة: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا<sup>(١)</sup> فالتطور الذي نشده

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٤ - ٢٥.

يعني تفاعل الداعي مع بيئة يأخذ ويفيد ويستفيد، فالدعوة إلى الله ليست مهمة مؤقتة في حياة الدعوة، وإنما هي عمل دائم وحركة مستمرة<sup>(١)</sup>.

فلا بد إذن من التطور في أحوال المدعوين حسب أعمارهم وأزمانهم، فلو نظرنا مثلاً إلى المنهج الدعوي في المرحلة المكية وهي مرحلة مبكرة في حياة الدعوة نجدها راعت أحوال الناس ونظرت لأخطار الأشياء عندهم فبدأت بها وهي إصلاح العقيدة ولهذا فنحن كتأصيل لهذا المنهج فلا بد أن نلقي نظرة على أحوال الناس في تلك الفترة ثم نقارنها بأحوالنا في عصورنا المتأخرة ونجعل المقارنة منصفة حتى لا نعمم بدون تفكير.

ولهذا جاء المنهج في تلك المرحلة لتصحيح العقيدة الفاسدة حيث كان الناس يعبدون الأصنام ويسجدون لها من دون الله فكان المنهج مركزاً على هذا الجانب دون سواه وإن لم يغفلها تماماً، ولهذا فقد سلك معهم القرآن أسلوب الحوار والإقناع ولفت انتباههم إلى تلك الآلهة الحجرية التي لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تعي ولا تمرض ولا تشفي وكذا أسلوب التساؤل الذي يلفت الانتباه ويجذبهم ويجعل المرء يعالج ذلك في داخله وفي سره وفي خلوته كما حكي القرآن ذلك على لسان إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ

---

(١) انظر خصائص تبليغ الدعوة ص ٩٧.

هَٰذَا عَنِكَفُونَ<sup>(١)</sup>. وفي الجانب الاجتماعي فإن المجتمع كان يقوم على العصبية القبلية والتحزب والتعنصر الأعمى للقبيلة حتى إن أخطأت فهم معها كما قال شاعرهم:

هل أنا إلا من غزية إن غوت غويت \* وإن ترشد غزية أرشد  
ولقد بعث النبي ﷺ والجزيرة العربية تموج بالقوميات والعصبيات فكل قبيلة تقدم ولاءها وتحصر انتماءها ونصرها لأفراد قبيلتها ونصرها لأفراد قبيلتها ونصرتهم<sup>(٢)</sup> وكان الارتكاز على العشيرة والقبيلة حتى جاء الإسلام ونهى عن التعصب والعنصرية وقال لهم ﷺ: «فما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال دعوها فإنها متنة»<sup>(٣)</sup> وأمر بالاجتماع والتعاون على البر والتقوى: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنبياء الآية ٥٢.

(٢) انظر المورد العذب الزلال ص ٩٣ أحمد يحيى النجمي ط ٢٠٠٢ م.

(٣) متفق عليه، البخاري كتاب التفسير باب ١٥ ومسلم كتاب البر والترمذي كتاب التفسير باب ٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ٣٦ تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً.

### الخلاصة :

إن المنهج في هذه المرحلة ومراعاته لأحوال الناس ركز على إصلاح العقيدة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي العام وغرس العادات الحسنة وإفراغهم من تلك العادات القديمة الضارة ثم بعد ذلك بالأهم وهو الصلاة التي تلي الشهادتين مباشرة.

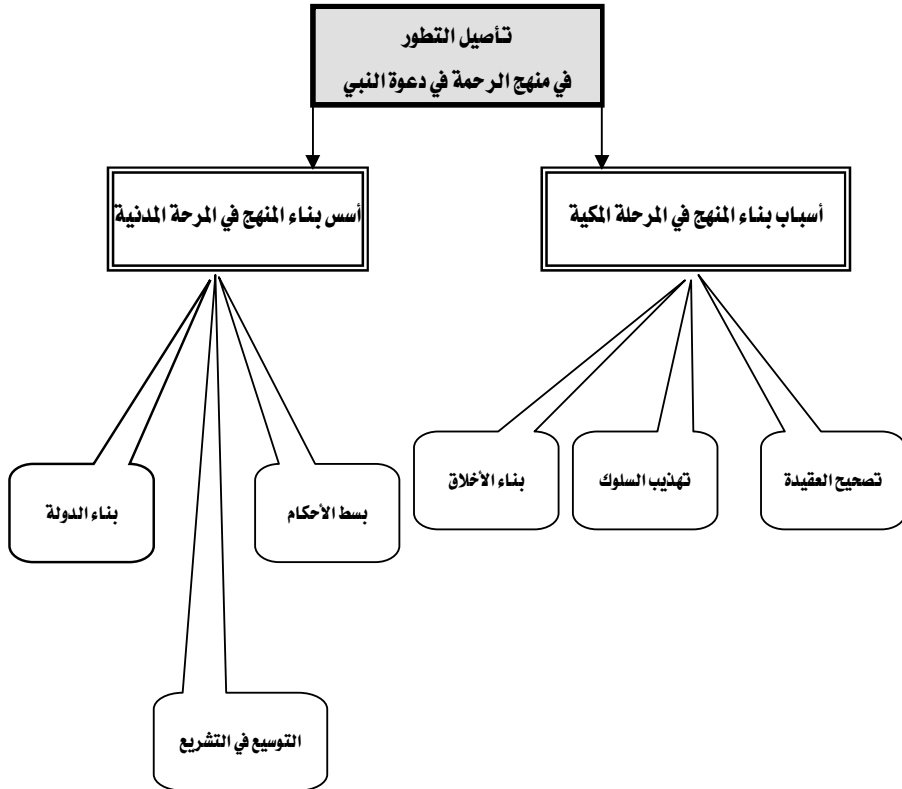
أما أسس بناء المنهج من ناحية التأصيل في المرحلة المدنية فقد اختلف الأمر تماماً فيه، ففي الجانب العقدي مثلاً نجد المدعو عميق الإيمان كامل الفهم للشريعة والعقيدة محرراً تماماً من الشراكيات وعبادة غير الله.

وفي الجانب الاجتماعي الناس متماسكون ومتعاونون ومتحابون ومتآلفون ذلك لأن الأنصار الذين بايعوا النبي ﷺ، في بيعتي العقبة ذهبوا إلى المدينة ونشروا الإسلام هناك.

وبهذا جاء التركيز في هذه المرحلة على بناء الدولة الإسلامية الحضارية. وبناء الشخصية الإسلامية وتسليحها بالعلم حتى تحمله إلى أصقاع الدنيا وأقاصيها وقد فعلوا ذلك ومن هنا فقد بنى الإنسان بناء كاملاً ثقافياً وحضارياً وسلوكياً مما أهله ليكون القدوة الحسنة والمثال الذي يحتذى. والرسم أدناه يجلي لنا تأصيل التطور في المرحلتين المكية والمدنية للدعوة وكيف كانت أحوال الناس

فيها ويقارن ذلك مع أحوال المدعويين في أوقاتنا الحاضرة.

انظر ذلك في الشكل رقم (٢).



الشكل رقم (٢)

\*\*\*

### المبحث الثالث

#### مراعاة الفوارق بين الناس رحمة بهم

**المطلب الأول: حالة المدعو في الماضي ومسالك المنهج الدعوي:**

مراعاة الفوارق بين الناس من حيث الزمان والمكان ومن ناحية السن وكذا الجنس.... كل تلك الفوارق يلزم الدعاة ملاحظتها ومراقبتها بدقة حتى لا تختلط عليهم الأوراق وتتداخل الخيوط ويتكثف الضباب وهو منهج الرحمة الذي بعث به النبي ومارسه عملاً وتطبيقاً واقعياً وسوف نحاول أن نلقى نظرة أو دراسة قصيرة على أحوال المدعوين من السلف المتقدمين منهم والقرييين وخاصة في العصور الأولى لتتضح لنا الفوارق التي يجب أن يلاحظها الدعاة، وكلما كان الناس قرييين من عهد النبوة كلما كانت أحوالهم العلمية والمعرفية والسلوكية أهدأ من الذين يلونهم ذلك لقربهم من نزول الوحي وانفعالهم الشديد بالإسلام كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران لست أدري أذكر قرنين أو ثلاثاً....»<sup>(١)</sup> إن الصحابة كانوا يرون القرآن ينزل والنبي موجود بين ظهرائهم ينهاهم عن خصال

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب ١ كما ذكره في أبواب أخرى.

ويأمرهم بأخرى ويأمرهم أن يطابق قولهم فعلهم وينهاهم عن عكسها فلا يسعهم والحال هذه إلا التطبيق والعمل الفوري، فينزل القرآن وحديدهم (ساخن) فيضرب عليه ويتشكلون كما يريد لهم القرآن: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> وكان حالهم قراءة القرآن وفهمه والعمل بما جاء به يتلوه الرجل في نفسه والمرأة في نفسها وتتلوه العائلة مجتمعة أو متفرقة يقول أبو عثمان الهندي (تضيفت أبا هريرة عليه السلام سبعا فكان هو وامرأته وخادمه يتعاقبون الليل أثلاثا يصلى هذا ثم يوقظ هذا قلت: يا أبا هريرة كيف تصوم؟ قال: أصوم من أول الشهر ثلاثا)<sup>(٢)</sup>.

وهذا القرب من النبايع الإسلامية يؤثر في نفوسهم تأثيراً كبيراً مما يجعلهم يتمسكون أكثر وعزيمتهم أمضى وعودهم أقوى وسريرتهم أطهر الشيء الذي يجعل الفرق بينهم وبين أحوال المدعوين في العصور المتأخرة شاسعاً، مما يلزم الدعاة مراعاته عند دعوتهم، فإذا أخذنا الحياة من كل جوانبها - ونحن نقارن بين أحوال المدعوين في السابق نجدها أسهل وأيسر، وأقل تعقيداً وكلفة في سبل

(١) سورة الصف الآية ٢-٣.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١/ ٢٨٢ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٦٠٩ وقال رجاله ثقات.

كسب العيش، وكذلك في القناعة بالقليل وأخذ الأسهل منها في المركب والمسكن والملبس والأثاث، الشيء الذي يتبعه هدوء في النفس وطمأنينة في البال مما يدل على فهمهم لمنهج الرحمة النبوي وتمسكهم به، فالنبي ﷺ كان بين الصحابة وهم يرون حاله ويسمعونه يقول: «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً.. وفي رواية قوتاً»<sup>(١)</sup> وكذلك سار على نفس النهج خلفاؤه وأصحابه والتابعون، وهذا عمر الفاروق على قوته وشدته، ولكنه في غاية التواضع في شأن الدنيا وأحوال المعيشة، لم يفارقه ذلك حتى بعد أن تولى الخلافة، يقول ابن كثير عنه: (قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية على طريق إلباء على جمل أورك، تلوح صلته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعبي الرحل بلا ركاب، وطأؤه كساء انبجاني ذو صوف، وهو وطأؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل وحقيته نمرة، أو شملة محشوة أيضاً بصوف وهي حقيته إذا ركب ووسادته إذا نزل عليه قميص من كرايس قد رم وتخرق جنبه، فقال ادع لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني ثوباً أو قميصاً فأتي بقميص كتان، فقال: ما هذا؟! قالوا كتان فقال وما الكتان؟ فأخبروه، فنزع قميصه فغسل ورقع وأتى به، فنزع قميصهم ولبس قميصه، فقال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم ١٩.





له الجلومس: أنت ملك العرب (وهذه البلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئاً غير هذا، وركبت برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً<sup>(١)</sup>).

هذه السهولة واليسر وعدم المبالغة والمغالة وانتهاج الرحمة في المنهج الإسلامي هي التي دفعت حتى أعداء الإسلام أن يعترفوا بأن سهولة الإسلام ويسره هي من أفضل العوامل الجاذبة للدخول فيه وهذا هو المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون يقول: (وساعد وضوح الإسلام وما أمر به من العدل والإحسان على انتشاره في العالم...

وبتلك المزايا نفس سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقسام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل<sup>(٢)</sup>).

ومن الفوارق بين حال المدعو في السابق والحاضر علاوة على ما ذكرنا

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٥٩ / ٦٠.

(٢) حضارة العرب ص ١٦٢ جوستاف لوبون طبع دار التراث العربي بيروت ط ٣، ١٣٩٩ هـ  
ترجمة عادل زعتر.

سابقاً من نماذج يتضح لنا مدى الرابط الذي كان عليه المدعوون السابقون من تمسكهم بمنهج الرحمة ومعرفتهم له، مما أدى إلى عدم تأثير الغزو الثقافي عليهم وتماسكهم وتكافؤ الأدوات التي تستعمل في التأثير الثقافي والحربي إلى حد ما، الشيء الذي قلل من ذلك الأثر، كذلك التكافل والتعاقد الذي يحظى به المسلمون الأوائل.

\*\*\*

**المطلب الثاني: حال المدعو في الحاضر ومسالك المنهج الدعوي  
ومعرفته بمنهج نبي الرحمة:**

إن الداعية الذي لا يراعي فوارق مدعويه، في الزمان والمكان، وفي الليل والنهار وفي الحر والبرد، وفي الصحاري، وفي الوهاد والوديان والغابات والأحراش وفي السهول والجبال، وفي الغني والفقير، وفي التعليم والجهل، وفي التدين والضعف الديني، وفي مدى إلمامهم بالرحمة في منهج نبيهم ﷺ....

إن الداعي الذي لا يراعي تلك الأحوال، فإن دعوته تنفر أكثر مما تحبب وتُبعد أكثر مما تقرب، فهو كما يقولون: كمن يغرد خارج السرب فلا يُسمعُ تغريده!!

وهذا النوع من الدعاة هو الذي أفرز لنا أجيالاً من الشباب الأغرار



المغالين - مع عوامل أخرى متداخلة - الذين أخذوا معلوماتهم - على ضحالتها - ومعارفهم الدينية من أفواه هؤلاء ومن كتاباتهم، ولم يثنوا ركبهم لدى العلماء الربانيين العارفين بأصول وفروع ومتغيرات وثوابت ورحمة هذا الدين، ومصالحه المرسل وقواعده العامة وخصوصياته، الشيء الذي أوقع كثيراً من المسلمين في مشاكلات فيما بينهم ومع غيرهم من العالم الخارجي.

يقول ابن القيم في شرح قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمِ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

(جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق:

١ - فالمستجيب القابل للدعوة الذكي، الذي لا يعاند الحق ولا يابأه يدعى بطريق الحكمة.

٢ - والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

٣ - والمعاند الجاحد يدعى بالتي هي أحسن<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٢) التفسير القيم ص ٣٤٤ لأبن القيم الجوزية تحقيق حامد الفقي ٩٤٠٨.

فمن الفوارق التي يلزم الداعي مراعاتها رحمة بالمدعوين ما يلي:  
أولاً تداخل الثقافات وتعاقد الحضارات:

لقد جعلت سهولة المواصلات وسرعتها من العالم ما يمكن أن ينطلق عليه البلدة الواحدة فالإنسان يمكنه أن ينتقل من دولة إلى أخرى، في زمن وجيز بالطائرات السريعة فتنتقل معه عاداته وأفكاره ومعتقداته وثقافته حيثما توجه، وكذلك، من عوامل التأثير المتبادل بين الشعوب والأمم في الوقت الحاضر والمخترعات الحديثة في الاتصالات ابتداء بالبرقيات ومروراً بالهواتف المنزلية ثم المحمولة إلى شبكات المعلومات الدولية (Enter Net) والبريد الإلكتروني (E-Mail) ثم عملت الفضائيات على إكمال تلك الدائرة، حتى تداخلت أطرافها وانسبكت جوانبها حتى لا يكاد يرى أولها من آخرها فأصبح كل شيء في العالم متاحاً ومنشوراً يمكن الحصول عليه بالصورة والصوت حياً وفي حال وقوعه وحدوثه بارزاً للعيان أو طازجاً لم تبرد حرارته الشيء الذي لم يكن متاحاً للسابقين الذين احتفظوا بكثير من مقوماتهم ومكوناتهم الشخصية، التي كادت أن تشتبك خيوطها في حال عالمنا اليوم!! مما جعل شخصية شباب اليوم تتغير بسرعة تحتم على الدعاة ملاحقتها ومراعاتها، ودى معالفتها بأسس منهج الرحمة في سيرة نبيها..؟

ثانياً: تعقيد الحياة وتشعبها ومراعاة منهج الرحمة:

الحياة في عالمنا المعاصر تشعبت فروعها كثيراً وتشابكت أغصانها في كل جوانبها ففي المسكن لم يعد إنسان اليوم يقنع بالبيت المتواضع المصنوع من الأعشاب وعيدان الأشجار أو مبني من اللبن أو الطوب المحروق، إذا كان هذا هو المنزل في شكله الخارجي، فإن الأثاث هو الآخر أخذ في هذا التعقيد، مما جعل الإنسان يلهث وراء المادة ليغطي بها تلك الأعباء الإضافية التي فرضها عليه أسلوب حياة عصره.

وهذا التعقيد في الجانب الاقتصادي أدى إلى مشكلات كثيرة في جوانب أخرى كالجانب الاجتماعي وقلل من فرص التواصل بين الأسر والأقارب، كما أدى ضغط الحياة إلى انشغال الناس بأنفسهم عن غيرهم وقلت المساعدات للآخرين، وكاد الناس ينكفؤون على أنفسهم وينزوون، الشيء الذي أثر في المكونات النفسية لدى كثير الناس وتفشت الأمراض النفسية والعقلية بسبب تلك الضغوط.

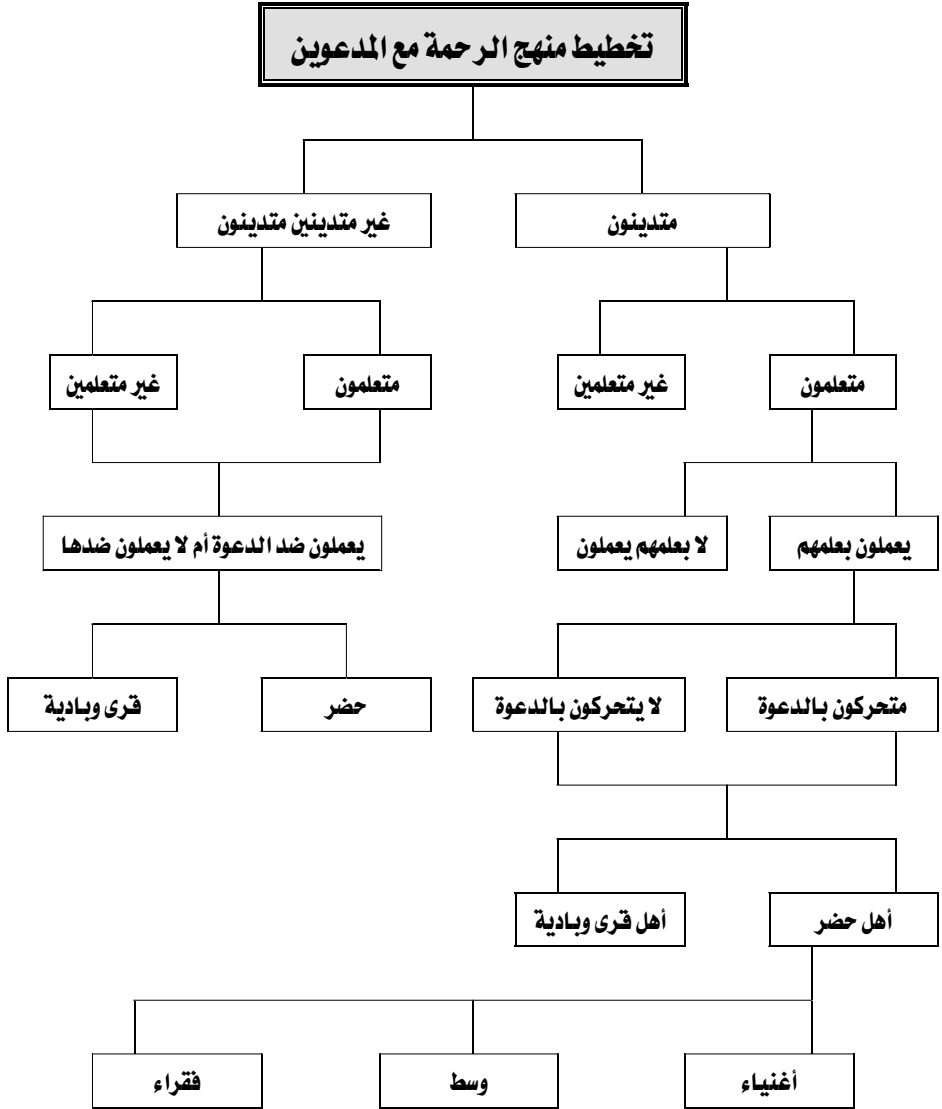
وعلى نفس المنوال نسجت الأحوال السياسية التي تداخلت فيها عوامل خارجية كثيرة ساد فيها تسلط القوي على الضعيف وأصبحت الدول الكبرى أو القوية تتدخل في خصوصيات الأخرى الأقل منها، وتستغلها لتسير على

منهجها وتمشي في ركبها وكان العامل الاقتصادي هو مصدر الشر الذي  
سرت منه كل النار، وذلك لمجانبته لمنهج الرحمة.

ومراعاة لهذه الأحوال، وتسهيلاً لعمل الدعاة وتطبيقاً لمنهج النبي في  
الرحمة نلخص العمل مع المدعويين في الوقت الحاضر إلى: مسلمين متدينين  
ومسلمين غير متدينين، وكل فريق من هؤلاء إما متعلمون أو غير متعلمين،  
والمتعلمون إما إنهم يعملون بعلمهم أو لا يعملون، وهل هم متحركون  
بالدعوة أم لا؟ وكل نوع من تلك الأقسام، إما أهل حضر ومدن أو أهل قرى  
وبادية، وكل مجموعة منهم، إما أغنياء أو فقراء، أو وسط في معيشتهم<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) للوقوف على تفاصيل أكثر انظر المنهج العلمي للدعوة للمؤلف ص ٢٦ وما بعدها.



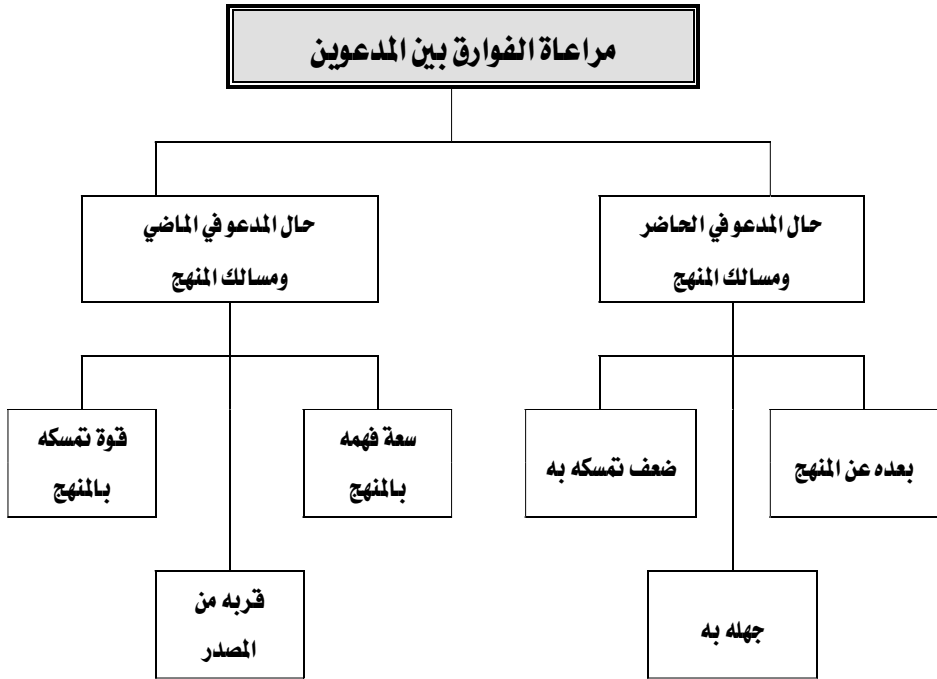
شكل رقم (٣)

فالمتدينون من المسلمين يكون العمل الدعوي معهم أسهل وأيسر على الداعي، لاسيما إن كانوا متعلمين، حيث يحتاجون لوضع الخطط ورسم المنهج السليم والوسطي وهو منهج النبي، وإعانتهم بوسائل دعوية تناسب حالهم، مثل إعطائهم بعض الكتب والمطبوعات الصغيرة والأشرطة المسجلة وإرشادهم إلى ذلك ومساعدتهم على الاعتناء بتربية أطفالهم وتنشئتهم على حب الخير والفضيلة وترسيخ مفهوم رحمة النبي في أذهانهم....

أما غير المتدينين من هؤلاء يحتاج العمل معهم إلى الصبر والحلم وبذل الجهد وسعة الصدر وربط حبل الود معهم ووصلهم بالهدايا والزيارات الأسرية ومساعدتهم على قضاء حوائجهم وإن أمكن أن تعقد لهم حلقات درس وإعطائهم بعض الكتب والرسائل العلمية الفقهية الخفيفة ذات الإخراج الجيد الجذاب التي تعينهم على فهم الدين والعودة إليه والتمسك به على علم وبصيرة لتبصيرهم بمنهج نبيهم.

وفي الختام وكما فعلت سابقاً- أدعوك أيها القارئ الحصيف إلى التأمل في هذا الرسم التخطيطي عن الفوارق بين المدعويين ومراعاة أحوالهم في الماضي والحاضر.





الشكل رقم (٤)

\*\*\*

## المبحث الرابع

### نماذج من قضايا المجتمع وكيف يعالجها الدعاة وفق منهج الرحمة

**المطلب الأول: التكفير والخروج على جماعة المسلمين من نواقض منهج الرحمة النبوي:**

تحيط بالمجتمعات الإسلامية مشكلات عديدة ومتنوعة ومتداخلة، بعضها داخلي والآخر خارجي، باعتبار أن الأمة الإسلامية جزء من نسيج هذا العالم، تتأثر به وتؤثر فيه، سلباً وإيجاباً، فنود هنا في هذه الورقة الصغيرة أن نتعرض لنماذج فقط من بعض تلك القضايا، نأخذ قضية أو ثلاث، والمشكلات الناجمة عنها مستنديين في ذلك على المصادر الشرعية الأصلية كأساس نبني عليه.

نود أن نسجل في البداية، أن التكفير ليس من منهاج نبي الإسلام ولا من آدابه ولا يقره، بل يشدد النكير على من كفر مسلماً بدون برهان، ويجعل كلمة التكفير تعود على من رمى بها الآخر إن لم يكن كذلك بعواقب غير حميدة: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة النساء الآية ٩٤.

وحتى يبعد الإسلام المسلم عن جو التكفير فقد نهاه عن أدني من ذلك، مثل الغيبة والنميمة والتجسس، وذكر مساوئ الآخرين، إبعاداً له عن همى التكفير: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِئْسَ الْإِلْسَامُ ۚ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

كما نهى النبي ﷺ عن سوء الظن بالمسلمين عموماً وأن يتركهم على ظاهرهم إن كان لم يبد عليهم ما يستوجب الظن أو الريبة ولهذا قال ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»<sup>(٢)</sup>.

وبغض المؤمن وتكفيره لا يكون إلا إذا ترك أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وهو من فرائض الإسلام ولوازمه وحتى هذه لا يكفر صاحبها عند كثير من العلماء إلا إذا جحد وجوبها وأنكرها رحمة بالناس وجمعاً لكلمتهم ولما لشملمهم.

(١) سورة الحجرات الآية ١١.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم ٥٠٩٠ سورة الأنعام والدارمي في كتاب الصلاة باب رقم ٢٣ المحافظة على الصلوات، وابن ماجة في المساجد باب ١٩ والإمام أحمد في مسنده ٥٣، ٦٨ / ٧٦.

ولننظر إلى هذا النص الذي يزعم صاحبه أنه يبغض فيه آخر في الله ولننظر أيضاً ماذا قال لهم رسول الله ﷺ، يقول واثلة: (إن رجلاً مر على قوم فسلم عليهم فردوا عليه) فلما جاوزهم قال رجل منهم: والله إني لأبغض هذا في الله فقال أهل المجلس: بئس والله ما قلت أما والله لننبأنه، قم يا فلان- رجلاً منهم - فأخبره، قال فأدركه رسولهم، فأخبره بما قال، فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله، مررت بمجلس من المسلمين فيهم فلان قال: والله إني لأبغض هذا الرجل في الله.. فادعه فاسأله على ما يبغضني؟ فدعاه رسول الله ﷺ، فاعترف بذلك، فقال له النبي ﷺ: «لم تبغضه؟ فقال: أنا جاره وأنا به خابر، والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة.. قال: فاسأله يا رسول الله هل رأي أخرتها عن وقتها؟ أو أسأت الوضوء لها؟ أو الركوع والسجود فيها؟ فسأله رسول الله ﷺ، فقال الرجل: لا والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر.. قال فاسأله يا رسول الله هل رأي أفطرت فيه؟ أو نقصت من حقه شيئاً؟ فقال الرجل: لا والله ما رأيته يعطي سائلاً أو مسكيناً قط.. ولا رأيته ينفق في سبيل الله من ماله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر.. قال: فاسأله يا رسول الله هل رأي نقصت منها.. أو ما كست في طالبها الذي يسألها؟ فسأله، فقال الرجل: لا، فقال له رسول الله ﷺ: قم فلعله

خير منك»<sup>(١)</sup>.

فهذا الرجل المبعوض من صاحبه، قد أدى الفرائض ولم يزد عليها ومع ذلك شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية، ووبخ الآخر، فهذا هو المنهج الإسلامي الصحيح الذي لا يتهم الناس بالباطل ويأخذهم بالظن والشبهات رحمة بهم ورأفة.

ولهذا فقد شدد النبي ﷺ على من كَفَّر أخاه فقال: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي في تأويل هذا الحديث، سارداً أقوال العلماء في معنى الكفر الوارد فيه: «معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر، وذلك أن المعاصي، كما قالوا: بريد الكفر ويخاف على المكثّر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر»<sup>(٣)</sup>.  
فالتكفير أقل ما فيه من مساوئ أنه يجلب للشخص الذي يكفّر المسلمين الجفوة والنفور منه وبغضه من الناس وعدم التعاون معه.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٥٥٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم ١١١ والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٣ و ١٤٢.

(٣) انظر شرح النووي على مسلم ١٠/ ٥٠ نشر البحوث العلمية الإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية (بدون تاريخ).

### المطلب الثاني: تكفير عموم الحكام يناقض منهج الرحمة:

قلنا فيما سبق إن تكفير المسلمين لا يقره الإسلام وهو لا يخدم رحمة النبي والحكام من جملة المسلمين في عمومهم، إلا من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ولكن الذين يكفرون الحكام المسلمين مطلقاً هم شباب لم يعرفوا الأحكام الشرعية ولم يأخذوها من مصادرها الأصلية فطفقوا يستدلون بآيات وأحاديث، لم يدروا فقهها، ولم يقفوا على أسباب نزولها، ولا سبب ورود الأحاديث، لكي يستأنسوا بذلك ليعينهم على فهم الآيات والأحاديث الفهم السليم.

وهذا ما فطن إليه ابن عباس، عند ما تساءل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:  
(كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة - زاد سعيد - وكتابها واحد؟ فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين إنما أنزل علينا القرآن، فقرأناه وعلمنا فيم نزل وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: زجره عمر وانتهره.. فانصرف ابن عباس، فنظر عمر فيما قاله فعرفه، فأرسل إليه وقال: أعد علي ما قلت فأعاد عليه فعرف عمر قوله فأعجبه<sup>(١)</sup>).

والآيات القرآنية منها ما يرد في المشركين، ومنها ما ينزل في الجاحدين لحكم

(١) انظر الإعصام للشاطبي ١٨٣/٢.

الله المنكرين له، وما من شك أن من أنكر حكم الله وجحدته أو قال إن أحكام البشر وقوانينهم ونظمهم ومناهجهم أفضل من حكم الله فهو كافر، ولكن من تعذر وتعلل بعلات وتأويلات، فلم يحكم عليه معظم العلماء بالكفر البواح، وأولوا الآيات الواردة في من لم يحكم بها أنزل الله بأنه كفر نعمة الحكم، قال بن كثير:

قال السدي: ومن لم يحكم بها أنزل الله فتركه عمداً أو جار وهو يعلم، فهو من الكافرين... وقال علي بن طلحة: من جحد ما أنزل الله، فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم، رواه ابن جرير، ثم اختار أن الآية المراد بها أهل الكتاب أو جحد حكم الله المنزل في الكتاب<sup>(١)</sup>.

والحاكم الجائر أو الظالم ينصح وينبه بكل وسائل النصح سواء باللسان أو القلم بالسر أو العلن إن كان ظلمه علانية ولكن بالتي هي أحسن وليس بالي هي أخشن، وتكون بشروطها وآدابها من حيث الوقت المناسب والمكان المناسب والحديث المناسب.. وهو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «من كان عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده ليخل به فإن قبلها، قبلها وإلا كان قد أدى الذي له»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦١ / ٢ طبع عيسى (بدون تاريخ).

(٢) أخرجه الحاكم المستدرک ٢٩٠ / ٣ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

### المطلب الثالث: الشباب والغلو المخالف لمنهج النبي في الرحمة:

إن الشباب ثروة الأمة وذخرها المدخر لمستقبلها وبناء مجتمعتها واستثمارها المستقبلي، فأمة بلا شباب كشجرة بلا براعم فهي عاطلة عن النمو تراوح مكانها، فلا بد للأمة الناهضة أو التي تريد التقدم أن تصرف جل جهدها في بناء الشباب ورعايتهم.

والناظر المدقق المحايد المتجرد من الهوى والغرض، لا يجد ديناً أو نظاماً أو منهجاً أو قانوناً أو دستوراً، اعتنى بالشباب ورعاه ووضع له نظاماً ومنهجاً في صلب عقيدته ودينه كالإسلام، منهجاً وسطاً يقوم على الرحمة بالناس عامة والشباب خاصة لقد كرم الإسلام الشباب، كما كرم الإنسان كله: وجعل منه أساس أمن المجتمع وقوامه، وعنصر القيادة والدعوة والحكم، وأعدده وهياً لكل الميادين واعترف بقوته وباهى بأعماله، واعتبره محط العناية الكبرى من جعل فئة الشباب أعظم فئات المجتمع، ويؤكد ذلك ما وضعه القرآن الكريم من مبادئ سامية ومناهج وقيم أخلاقية تضمن له النشأة الصالحة وتحفظ عليه نضارة شبابه وصحة بدنه، وقوة عزيمته وتمنحه سلامة التفكير وصلابة الإرادة وقوة الشخصية<sup>(١)</sup>.

(١) انظر الشباب والانفتاح الاجتماعي أ.د. يوسف الكناني من بحوث الندوة العالمية للشباب =



لقد أرشد القرآن إلى أن الشباب الواعي الناضج عقلياً وفكرياً وفقهياً، وهم حملة الدعوة الذائدين عن الدين، أصحاب المنهج المعتدل والأسلوب الوسط، فقد أثنى على إبراهيم عليه السلام وعلى دعوته ذات المنهج الميسر المتدرج، وهو فتى شاباً، يبدأ بنصح أبيه بلطف ولين، ثم قومه، بالمنطق والحجة:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝﴾. بل حتى عند ما أراد أن يستعمل معهم أسلوباً آخر حيث لم يفدهم أسلوب الحجة والبرهان ولم يوجه القوة لهم مباشرة، وإنما وجهها لأصنامهم - والحال أنهم كفار كفراً بواحاً فقال قلمهم: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

=الإسلامي ٣/ ٤١ طبع الرياض السعودية.

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٤، ٧٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٥٧.

إن ظاهرة الغلو عند بعض الشباب لم تبرز فجأة، وإنما جاءت لأمر تراكمية منها الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية وسوء فهم منهج الرسول القائم على الرحمة.

ومن أسباب الغلو أيضاً بعض ما يراه الشباب من تناقض أو تناقضات في محيطه الإسلامي من حركة المجتمع التي لا تسرهم، وخاصة في نظرته العجلى ولا استعمال السلطة في العنف المباشر دون حوار وحسم الأمور أمنياً زج بكثير من الشباب الإسلامي في غياهب السجون وصب عليهم ويلات التعذيب من بعض الجهات الأمنية... فشباب الأمة الإسلامية يعيش اليوم مأساة حقيقية، حيث يتمزق داخله مرتين، مرة حين يواجه التناقض بين ما يتلقاه في قاعة الدراسة من تاريخ شامخ ومشرف لأمة في صدر تاريخه، وبينما يراه اليوم من ضياع المسلمين الذين لا يؤبه لهم في أمورهم الخاصة، خاصة فضلاً عن أن يكون لهم رأي في شؤون العالم..

مثل هذا الشباب نجد أنه في النهاية يعمد إلى تدمير نفسه أو تدمير المجتمع الذي يعيش فيه وتكفيره، كل ذلك هرباً من هذا الواقع المتناقض، ولهذا قلنا على الدعاة أن يدرسوا هذه القضية الشبابية ويضعوا لها الحلول الجذرية التي تناسبها ولكن لا يمكن أن تكون الحلول ذات أثر فعال ما لم تتعاون السلطات مع الدعاة



المخلصين المعتبرين أصحاب المنهج الوسطي، وأن السلطة لها القدرة المادية والقانونية والتنفيذية.

إن مغالاة بعض الشباب اليوم وسوء فهمهم الذين دفعهم إلى وصم المجتمع الإسلامي بالكفر.

إن تربية الشباب تحتاج إلى جهد كبير، كما تحتاج لتعاون جهات عديدة تتضافر كلها، على رأسها الوزارات المعنية برعاية الشباب والشؤون الاجتماعية والأندية الرياضية الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة ووزارات الإرشاد والأوقاف.

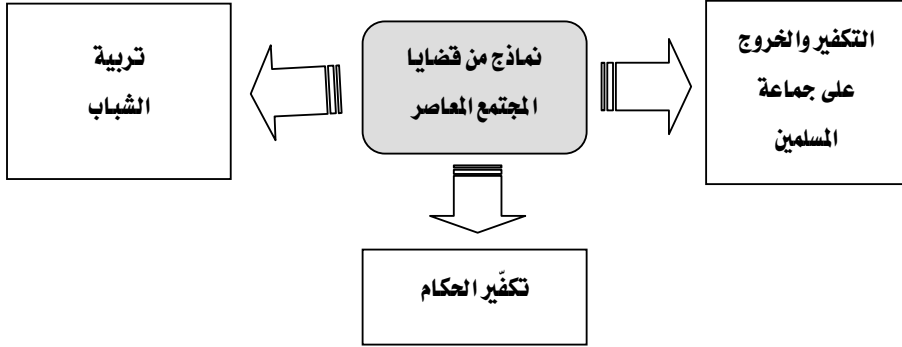
والشباب يحتاج لوزارة خاصة تعني بشؤونه وترسم الخطط السياسات التي ترشده وتقوده إلى الفلاح والصلاح ولا نستطيع في هذه الورقة الصغيرة أن نعدد البرامج المختلفة التي تعني بالشباب وتصلح من شأنه فهي أصلاً ليست صعبة ولكن المهم هو تنفيذ وإمكانات الدولة المالية، ولكن الخطط والبرامج أكثرها موجود، وأنا هنا ركزت أكثر على الجوانب أو الظواهر النشاذ لدى الشباب الإسلامي المتدين وما يحدث منه من غلو وتطرف ذلك لأنه يقود بقية الشباب الآخر إلى طريق الخير والاعتدال بدلاً من انخراطه في دوامة النزاع بين الحاكم والمجتمع.

وفي الختام نقول: على الدعاة عامة والشباب منهم خاصة أن يسددوا ويقاربوا ويراعوا أحوال الناس وزمانهم، كما وجه بذلك النبي ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا...»<sup>(١)</sup>. والتسديد والمقاربة هو منهج الرحمة النبوي...

وأسأل الله أن يوفق ويسدد كل من أراد بالإسلام والمسلمين خيراً، وأن يعينه على ذلك، إنه نعم المولى ونعم المعين.

وأترك الآن مع هذا المخطط لأنموذج لقضايا المجتمع المعاصر في

الشكل رقم (٥).



الشكل رقم (٥)

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم (٢٩).

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد أن تيسر لي إتمام هذا البحث الصغير المختصر، أخص بعض ما توصلت إليه من نتائج في نقاط مختصرة فيما يلي:

### أولاً: النتائج:

١ - لقد اتضح لي سعة ومرونة المنهج الإسلامي الذي يستوعب كل جديد وتليد على حد سواء.

٢ - كما لاحظت وتأكدت أن الله وضع في هذا الدين ميزتين تجعلانه صالحاً لكل جيل، وكل عصر هما: الثبات في أصوله والمرونة في فروعِهِ.

٣ - لقد تبين لي من خلال البحث أن ثلثة من الدعاة لم يستوعبوا هذا المنهج الوسطي المعتدل مما أوقع بعضهم في الغلو، وذلك لقلّة علمهم الشرعي وقلّة فهم منهج النبي الرحمة.

٤ - هنالك قضايا ومشكلات دعوية قائمة بين الدعاة أنفسهم وبينهم وبين الحكام وبينهم وبين المجتمع، لا يستعصى حلها لو اجتمع الدعاة مع العلماء

والحكام وجلسوا ثلاثتهم فكلهم مسلمون.

٥- الأصول الثابتة لا يسع الدعاة الاختلاف عليها، أما الفروع  
الاجتهادية فلا ينبغي أن تؤدي إلى تجنب والتنازع.

٦- الحوار القائم على العلم والمعرفة وسعة الصدر واحترام كل طرف  
للآخر، هو أحد السبل المفضية إلى تجنب الغلو.

٧- وجود ثلة كبيرة من المسلمين لم يعرفوا سعة الرحمة في منهج نبيهم.

\*\*\*



## ثانياً: التوصيات:

- ١- كما أوصي أن تطبع أوراق هذا المؤتمر بعد تنقيحها من المكرر وتوزع على المراكز الإسلامية خارج البلاد الإسلامية وترجم إلى بعض اللغات الحية العالمية.
- ٢- وأوصي بتكوين لجنة لمتابعة تنفيذ توصيات المؤتمر حتى تثمر وتزهر.
- ٣- وأوصي أن تعقد الجمعية العلمية السعودية منتديات دورية تجدد فيها الأبحاث الخاصة بنبي الرحمة وتتابع المستجدات المتلاحقة حول الإسلام ونبيه.
- ٤- أوصي أن يكون ضمن أمناء الجمعية بعض الشخصيات العلمية الشرعية من بعض البلاد الإسلامية من غير السعوديين يحضرون أهم جلساتها.

\*\*\*

ايض





# دور مناهج التاريخ الإسلامي في تجسيد رحمة النبي ﷺ «دراسة تقويمية وتصور مقترح»

إعداد

د. إبراهيم عبد الفتاح إبراهيم رزق

أستاذ مساعد المناهج وطرق تدريس التاريخ  
بكلية التربية للبنات بحضر الباطن جامعة الدمام

ابیض

## المقدمة

الرحمة قيمةٌ سائدةٌ في شرع الإسلام كله، كتاباً وُسْنَةً، ونظاماً وحياءً، وتعاملاً مع الآخر، في كل حال من سِلْمٍ أو حربٍ، ومن تمكينٍ أو ضعفٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، فالقرآن كله بمنزلة بصائر للقلوب، لأقوم حياة للناس كافةً، وهداية للناس من الضلال، ورحمة للمهتدين به، كما هو رحمةٌ للمارقين من حيث تأخير عقوبتهم في الدنيا، لعلهم يهتدون، فشريعة الإسلام رحمةٌ كلها.

ورحمة الله بمخلوقاته هي الصفة العُظمى التي اختارها الله سبحانه لوصف نفسه بها، دون غيرها من الصفات - وهي كلها عظيمةٌ وشريفةٌ - فذكرها سبحانه في سورة الفاتحة التي لا صلاة لمن لا يقرأ بها - كما في صحيح الحديث<sup>(٢)</sup> - والتي سُمِّيَتْ أم الكتاب؛ لاشتغالها على كُلِّيات العقيدة الإسلامية، فاختارها؛ لتتأكد قيمة الرحمة - في كل صلاة - في وجدان المسلم، بما في ذلك كل

(١) سورة الجاثية: آية ٢٠.

(٢) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ٢٩٥، ح ٣٩٤، ونصه «ثم لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن».

معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها.

وقد كانت الرحمة خصلةً رسول الله ﷺ لم تُفارقه قطُّ في كل سيرته، وفي كل مراحل حياته وأحواله، فكان ﷺ كما قالت عائشة: «خُلِقَ الْقُرْآنُ»<sup>(١)</sup> الذي هو رحمةٌ، وقد قال له ربه - يحثه على نهج الرحمة: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس، وأخلاقهم، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا، وجسدها ﷺ كقاعدة عامة في كل القضايا بقوله ﷺ: «يَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا»، وقد أمره الله بالمعروف، أي: الجميل من الأفعال والأقوال، ونهاه عن مكافئة السفهاء بسفهمهم، أو مماراتهم، وأمره بالحلّم عنهم، والإعراض عن إساءاتهم، لقد أمره الله أن يصل من قطعه، ويعطي من حرمة، ويعفو عن ظلمه، وأرسله؛ لِيَتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، بشيرًا ونذيرًا ومُمرِّبًا ومُرشِدًا للعالمين، وحجَابًا للعالمين من عذاب الاستئصال والانتقام العام في الدنيا، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup>، ومن رحمته

(١) أحمد بن حنبل (أبو عبد الله الشيباني): المسند، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت، ج ٦، ص ٩١،

ح ٢٤٦٤٥.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

(٣) سورة الأنفال: آية ٣٣.

ﷺ أن كان على أعلى درجة في الحرص على الناس والخوف الشديد عليهم من الهلاك والضلال، ورغبته الشديدة في رفع العنت عنهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ولقد رفع الله ذكر نبيه في مُحكم التنزيل، ومن رفع الله ذكره لا يُحْطُ في الناس، وإن اجتمعوا له، وإنما يَحْطُونَ من أنفسهم، فما صدر من ذلك من قبل الرسوم الكاريكاتورية التي تُسيء له ولدينه، من رجل دين مسيحي مُتَعْصِبٍ، أو إعلام غربي مصهين، بدعوى حُرِّيَّة التعبير، إنما هي إساءة لكل البشرية.

وبالمثل تلك الإساءات الأخرى كتصريحات بابا الفاتيكان المسيئة للنبي ﷺ، أو صدور كتاب «نبي الخراب» كلها تسيء - في حقيقة الأمر - إلى تاريخ الإنسانية في حق الأنبياء والشرائع السماوية، إنها رَدَّة حضاريَّة، ونزعة إحدائيَّة، ونكسة آدميَّة، تجاهلت حتى آراء المنصفين من علماء الغرب أنفسهم، ممن قالوا كلمة الحق وشهادة الصدق في النبي ﷺ، وعرفوا له مكانته.

فلقد جعل الله تعالى من محمد ﷺ أُسْوَةً حسنةً وقُدوةً عظمى للمؤمنين، يُقتدي به كل إنسان يريد أن يُؤدِّي رسالة حضاريَّة على كوكب الأرض قال

(١) سورة التوبة: آية ١٢٨.

تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾<sup>(١)</sup>، وهي شهادة من الله تعالى لكريم خصاله ﷺ، كما أوجب ﷺ التأسى به ﷺ في كل أمور الدين ومهام الإصلاح، وهو مع ذلك ليس بدُّعًا من الرُّسل، بل كان بشرًا مثلهم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾<sup>(٢)</sup>، أي رسولاً كسائر الرُّسل، بشرًا كسائر البشر، فالإقتداء به داخل في حدود البشرية، وهو والمؤمنون مأمورون بشرع الله كما في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، إنها الاستقامة التي صار عليها الرسول، على جادة الحق، غير عادلٍ عنها، ولا خارجٍ عن حدود الله، وكان المعلم الأول والمرشد الأكبر في إزالة الطغيان، وردع الظالمين وحُكَّام الجُور، وهو مع ذلك رحمةً للحُكام والمحكومين، ورحمةً بالأُمَّة جمعاء.

وقد ختم المعصوم ﷺ حياته بتجسيد كل معاني الرحمة في خطبته التاريخية الجامعة في حَجَّة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، فكانت الوصايا الجليلة التي اشتملت عليها خطبته سلسلة من الرحمات:

(١) سورة الأحزاب: آية ٢١.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩٣.

(٣) سورة هود: آية ١١٢.

رحمته ﷺ بالناس في تحريم الدماء والأموال، وتحريم الربا، وألا يتفاضلوا إلا بالتقوى: «كُلُّكُمْ لَأَدَمَ وَأَدَمُ مِنْ تُرَابٍ»، «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى..»، وإرساء قيم العدالة، لاسيما بين الأبناء والعدل في الإرث، فلا تجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث..

رحمته ﷺ بالنساء إذا قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسُهُنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِيَّاهُنَّ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ...»<sup>(١)</sup>.

ورحمته ﷺ بالمؤمنين، ألا يضرب بعضهم بعضًا، فقال ﷺ: «... لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى): سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، - مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٧/ ٢٩٥، ح ١٤٥٠١، محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص ٢٧١.

(٢) البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي): صحيح البخاري، بيروت: =

وختم ﷺ خطبته بقوله: «وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ». فختم كلمة

الوداع ووصاياہ بالسلام والرحمة!

والأمة الإسلامية عليها أن تتحمل مسئولية التعريف بالإسلام،  
وخصائصه الحضارية، ومميزاته التنويرية، وشيائل نبيه محمد ﷺ والتي أهمها  
الرحمة التي تجلّت في كل سيرته، قبل البعثة وبعدها، وفي الحرب والسلام، وفي  
تعامله مع الصديق والعدو، وإيثار الرفق واليسير، على العنف والتعسير،  
والحوار على الصدام والبطش، والتعاون بين الناس على اختلاف الملل  
والتوجهات في كل ما تصلح به الحياة، ويوفّر الأمن لكل المواطنين، ويُحقّق  
لل بشرية التنمية والسلام<sup>(١)</sup>.

فقد كانت رسالته ﷺ هدفها المحوري هو الارتقاء بالبشرية، والصعود  
بالإنسانية من المستوى البهيمي إلى المستوى الإنساني، ثم من أدنى درجة في  
الإنسانية إلى أعلى درجة فيها حيث تبدأ الرتبة الملائكية.

فالإنسانية التائهة والبشرية الضائعة وجدت ضالّتها إذن في بعثة النبي  
ﷺ من حيث السمو والرفعة والأمان؛ لأن الهدف هو الإنسان، والغاية هي

=دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٦١٩، ح ١٦٥٢.

(١) فريد عبد الخالق، في: محمد مسعد ياقوت: نبي الرحمة، دار الخراز، جدة، ٢٠٠٧، ص ٨.



سعادته ونجاته.

ولقد جسّد النبي الكريم محمد ﷺ كل معاني الرحمة قولاً وعملاً في حياته، مما يجعل من سيرته ﷺ فيضاً لا ينقطع لغرس خُلق الرحمة في نفوس الناشئة يحميها من الشرور التي تتعرّض لها، ويخُصّها على التراحم في علاقتها بكافة الكائنات.

ولقد قصّرت الأمة في الوفاء بحقه ﷺ في هذا العصر، فلم تُحسنْ عرض سيرته على الناس، فتعرّض له المغرضون، وأساءوا لأعظم إنسان عاش على ظهر هذه الأرض، وجاهد لتطهيرها من الفساد والظلم والخذاع والكذب والاستبداد. ومن واجب الأمة الآن أن تُخاطب الأمم بلغاتها، ومن خلال ثقافتها وحضاراتها، وأن تُراعي اختلاف الثقافات، وطبيعة العصر، وتنوّع الوسائل، والتباس المسائل، فتكشف الغيوم الداكنة بشمس الحقائق الساطعة، وتكنس الأوهام المتركمة، بالحُجَج النيرة والبراهين الميسرة عن سيرة وشخصية وحياة سيدنا رسول الله ﷺ، وأن تخاطب بذلك الناس جميعاً، بمُختلف بلدانهم وعقولهم ولُغاتهم، وأن تحشد لذلك كل الإمكانيات العقلية، والفكرية، والسياسية، والإعلامية والمادية<sup>(١)</sup>.

(١) أحمد إدريس الطعان، في: محمد مسعد ياقوت: المرجع سابق، ص ٢١.

ومن واجبها أيضًا بل وقبل ذلك كله أن تُحْيِي نهجه ورحمته بالعالمين بيانًا ساطعًا في سلوك أبناء أمته؛ لأنها بالقطع قصّرت في ذلك حتى نهجت طائفة من الأمة - للأسف عن جهل وضلالة - نهجًا أخذَ على الإسلام، واتخذته أعداء الإسلام ذريعةً للطعن في هذا الدين، وتشويه صورة نبيه ﷺ.

ويُعدُّ التاريخ الإسلامي ميدانًا رحبًا لعرض حقيقة الإسلام، ونهج رسوله ﷺ بيانًا عمليًا من خلال الأحداث التاريخية المُستندة إلى الدليل وهو ما يُسهم في تحقيق أمرين:

أولا - غرس الأخلاق السامية التي جسّدها النبي الكريم ﷺ، وصحابته رضي الله عنهم في نفوس النشء، وفي مُقدّماتها خُلُق الرحمة باعتباره وعاء الخُلُق الأعظم الذي ضمَّ بداخله كل القيم السامية.

ثانياً - تزويد النشء بالأدلة الساطعة على قيم الإسلام، ونهج رسوله الكريم نبي الرحمة ﷺ؛ بما يُمكنهم من الرّدّ على كل ما يُثيره خصوم الإسلام من دعاوى تستهدف النيل من شخص النبي الكريم ﷺ ورسالته السامية.

والمُتأمل لواقع المُجتمع يجد أن وسائل الإعلام المرئية باتت تُسرِف في عرض مشاهد العُنف والوحشية في تعامل البشر مع بعضهم البعض، وتعاملهم مع الكائنات الأخرى التي تُقاسمهم الحياة على كوكب الأرض، مُتغافلة في ذلك

الأثر المدمر الذي تركه تلك المشاهد في نفوس الصغار والشباب، في وقت لم يتيسر للنشء العرض الوافي الضافي والتجسيد الكامل لتاريخ النبي الخاتم ﷺ، والذي يفيض بالرحمة، وانشغل الآباء بتحصيل أسباب العيش، وقد تبدى أثر ذلك جلياً في سلوكيات الأبناء والتي أصبحت موضع نقْدٍ من كل ذي بصيرة، مما يدعونا لتقويم دور التربية ومؤسساتها في حماية النشء من هذا الضرر: هل استطاعت المناهج الدراسية، وبخاصة مناهج التاريخ الإسلامي الاستفادة من سيرة وتاريخ المصطفى ﷺ في تجسيد معاني رحمته ﷺ؛ لغرسها في نفوس الأبناء؛ بما يساعدهم على التخلُّق بخُلُقهِ ﷺ فيَسعدوا، وتَسعد مجتمعاتهم.

وإذا كانت السيرة النبوية تُدرَّس بمناهج التاريخ الإسلامي في جميع مراحل التعليم قبل الجامعي - المرحلة الابتدائية، والمرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية - فإن هذا يدعونا للتساؤل: إلى أيِّ مدى جسدت هذه المناهج جوانب رحمته ﷺ، وما هو التصوُّر المقترح لتفعيل دور مناهج التاريخ في تحقيق هذه الغاية.

وفي هذا الإطار يأتي هذا البحث؛ ليحاول أولاً: التحقق من مدى وفاء كُتُب التاريخ الإسلامي بمُتطلَّبات غرس خُلُق الرحمة في نفوس الناشئة، وليقدم

ثانيًا: تصوّرًا مُتكاملًا - حسبما ييسر الله لصاحبه ذلك - كيفية تجسيد معاني الرحمة في سيرته ﷺ؛ بما يجعلها قُوَّةً مُؤثِّرةً في بناء الأجيال الجديدة تُعالج ما اعوجَّ بسبب الجهل، وتيارات العنف التي يشاهدها من حوله عبر مُختلف وسائل الإعلام، وبما يكفل له شرف الانتساب إلى نبي الرحمة ﷺ بعمله في بناء مُجتمع، وليكون أبلغ ردّ على كل من يُحاول النيل منه ﷺ.

### مشكلة البحث:

تُحاول الدراسة الحاليّة تقويم دور مناهج التاريخ الإسلاميّ في تجسيد رحمة النبي ﷺ، وتقديم تصوّرٍ مُقترحٍ لمناهج التاريخ الإسلاميّ المدرسيّة، وذلك من خلال محاولة الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما جوانب رحمة النبي ﷺ التي يجب أن تُجسّدَها مناهج التاريخ الإسلاميّ؟

٢- ما مدى توافر هذه الجوانب في محتوى مناهج التاريخ الإسلاميّ التي تناولت سيرة الرسول ﷺ في مراحل التعليم قبل الجامعيّ؟

٣- ما التصرُّور المُقترح لتضمين جوانب رحمة النبي ﷺ في محتوى مناهج

التاريخ الإسلاميّ موضع الدراسة؟

## حدود الدراسة:

### ١- محتوى منهج التاريخ:

- للصف الرابع الابتدائي «تاريخ سيرة الرسول ﷺ»<sup>(١)</sup>.
- للصف الأول المتوسط «السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين»<sup>(٢)</sup>:  
الباب الأول «العهد النبوي في مكة»، والباب الثاني «العهد النبوي في المدينة».
- للصف الأول الثانوي «تاريخ الأنبياء والسيرة النبوية وانتشار الإسلام»<sup>(٣)</sup>: الباب الثاني «السيرة النبوية».

## أهداف الدراسة:

### تستهدف الدراسة الحالية:

#### ١- تحديد جوانب الرحمة في سيرة الرسول ﷺ.

- (١) وزارة التربية والتعليم، تاريخ سيرة الرسول ﷺ للصف الرابع الابتدائي، طبعة ١٤٢٨/١٤٢٩ هـ.
- (٢) وزارة التربية والتعليم، السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين للصف الأول المتوسط، طبعة ١٤٢٨/١٤٢٩ هـ.
- (٣) وزارة التربية والتعليم، تاريخ الأنبياء والسيرة النبوية وانتشار الإسلام للصف الأول الثانوي، ١٤٢٨/١٤٢٩ هـ.

٢- تحليل الوحدات التي عَرَضَتْ لسيرته ﷺ ضمن مناهج التاريخ الإسلامي في المراحل «الابتدائية - المتوسطة - الثانوية» للوقوف على مدى تأكيدها على هذا الجانب.

٣ - وضع تصوّرٍ لتضمنين جوانب رحمة النبي ﷺ في مناهج التاريخ الإسلامي في كل مرحلة بما يلائمها.

#### أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث فيما يلي:

١- يُسهم هذا البحث في تحديد المواقف والأحداث التاريخية التي جسّدت جوانب رحمة النبي ﷺ، والتي يمكن تضمينها في محتوى مناهج التاريخ الإسلامي المدرسيّة.

٢- قد يُفيد البحث في إعادة النظر في مناهج التاريخ الإسلامي بالمرحلة الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية؛ لتُسهم في تجسيد رحمة النبي ﷺ.

٣- يُقدّم البحث تصوّرًا مقترحًا؛ لتضمنين المواقف والأحداث التاريخية التي تُجسّد رحمة النبي ﷺ في مناهج التاريخ الإسلامي المدرسيّة يُمكن أن يستفيد منه مُعلّمِي التاريخ في تحقيق هذه الغاية.

## خطوات البحث:

١- مُراجعة المصادر المُعلّقة بمجال البحث الحالي، والاستفادة منها في

تحديد:

- خصائص الرحمة النبوية.

- جوانب الرحمة النبوية التي يُمكن أن تُسهِم مناهج التاريخ الإسلامي في

تجسيدها.

٢- إعداد قائمة بجوانب الرحمة في ضوء الخطوة السابقة، وضبطها

ووضعها في صورتها النهائيّة.

٣- تحليل مُحتوى مناهج التاريخ الإسلامي في ضوء القائمة السابقة،

ومُعاجة البيانات إحصائيّاً، وتحليلها، وتفسير نتائجها.

٤- إعداد تصوّرٍ مُقترحٍ؛ لتضمين المواقف والأحداث التاريخيّة التي تُجسّد

رحمة النبي ﷺ في مُحتوى مناهج التاريخ الإسلامي موضع الدراسة.

٥- التوصيات والمُقرّحات.

## فروض البحث:

١- مُحتوى منهج التاريخ الإسلامي للصفّ الرابع الابتدائي يُجسّد رحمة

النبي ﷺ.

٢- مُحتَوَى منهج التاريخ الإسلامي للصفّ الأول المتوسط يُجسّد رحمة

النبي ﷺ.

٣- مُحتَوَى منهج التاريخ الإسلامي للصفّ الأول الثانوي يُجسّد رحمة

النبي ﷺ.

### مُصطلحات الدراسة:

#### الرحمة:

تدور مادّة: (رح م) لُغَةً حول معنى الرّقّة، والعطف، والرّأفة، قال ابن فارس: الرّاء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يَدُلُّ على: الرّقّة والعطف والرّأفة، يُقال من ذلك: رَحِمَهُ يَرَحِمُهُ إذا رَقَّ لَهُ، وتَعَطَّفَ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.  
وَتُعَرَّفُ اصطلاحًا بأنها إرادة إيصال الخير<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن القيم: «إن الرحمة صفةٌ تقتضي إيصالَ المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كَرِهَتْهَا نفسه، وشَقَّتْ عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقيّة، فأرحم

(١) ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين): مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٣/ ٣٩٨.

(٢) الجرجاني (علي بن محمد بن علي): التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، ص ١١٠.



الناس من شقَّ عليك في إيصال مصالحك ودفع المَضارِّ عنك، فمن رحمة الأب بولده: أن يُكرِّهه على التأدُّب بالعلم والعمل، ويشقُّ عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لِقَلَّة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفِّهه ويُريجه<sup>(١)</sup>.

وقال الكَفَوِيُّ: الرحمة حالةٌ وجدانيَّةٌ تُعرض غالباً لمن به رِقَّة القلب، وتكون مبدأً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان<sup>(٢)</sup>.

### الدراسات السابقة:

فيما يتعلَّق بالدراسات السابقة ذات الصلة بهذه الدراسة، فيُمكن تقسيمها إلى ثلاثة محاور:

**المحور الأول - دراسات استخدمت الأسلوب الوصفي التحليلي، وتفاوتت من حيث أهدافها، ومنها:**

(١) ابن القيم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي): إغاثة اللهفان، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، ١٧٤/٢.

(٢) الكفوي (أبو البقاء): كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٤٧١.

- دراسة محمود عوض الله سالم (١٩٩٠)<sup>(١)</sup> والتي استهدفت تحليل الجوانب الوجدانية في مادة التاريخ بالصف الأول الثانوي بالمملكة العربية السعودية في ضوء تصنيف كراثوהל.
  - دراسة وضحة السويدي (١٩٩٢)<sup>(٢)</sup> والتي استهدفت تحليل كتاب التربية الدينية للصف السادس الابتدائي بدولة قطر؛ لتحديد القيم المتضمنة فيه.
  - دراسة آمال حمزة المرزوقي (١٩٩٤)<sup>(٣)</sup> والتي استهدفت تحديد القيم الخلقية في كُتب الدراسات الاجتماعية بالتعليم الابتدائي للبنات في المملكة العربية السعودية.
- وقد أفاد الباحث من هذه الدراسات - رغم اختلاف أهدافها عن أهداف

- 
- (١) محمود عوض الله سالم، تحليل الجوانب الوجدانية المتضمنة في مادة التاريخ بالصف الأول الثانوي العام لبنات بالمملكة العربية السعودية في ضوء تصنيف كراثوהל، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، ١٩٩٠.
  - (٢) وضحة السويدي، القيم المتضمنة بأسئلة كتاب التربية الدينية للصف السادس الابتدائي بدولة قطر دراسة تحليلية، مجلة التربية، العدد ١٠١، السنة الحادية والعشرون، ١٩٩٢.
  - (٣) آمال حمزة المرزوقي، القيم الخلقية في كتب الدراسات الاجتماعية بالتعليم الابتدائي للبنات في المملكة العربية السعودية، دراسات تربوية، جزء ١٦، المجلد التاسع، ١٩٩٤.

الدراسة الحالية - في المنهجية مُثَّلَّة في بناء أداة التحليل، وتحديد فئات التحليل ووحدة التحليل، وخطوات التحليل، واستخلاص النتائج وتفسيرها.

المحور الثاني - دراسات قَدَّمت تصوُّراً مُقترَحاً لمناهج دراسية، ومنها:

- دراسة عثمان إسماعيل الجزار (١٩٩٢)<sup>(١)</sup> والتي استهدفت تطوير مناهج التاريخ في الصف الثاني الثانوي في ضوء بعض أهدافه (المعرفية - الوجدانية - المهارية).

- دراسة حسام الدين مازن (١٩٩٩)<sup>(٢)</sup> والتي هدفت إلى إبراز ملامح مناهج عصرية تتناسب وتتواءم مع تحديات القرن الحادي والعشرين والتي من بينها التطورات الخُلقية والسلوكية.

وقد استفاد الباحث منها في إعداد التصوُّر المُقترح لمناهج التاريخ الإسلامي؛ لتجسيد رحمة النبي ﷺ.

(١) عثمان إسماعيل الجزار، تطوير منهج التاريخ في الصف الثاني الثانوي في ضوء بعض أهدافه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة الأزهر، ١٩٩٢.

(٢) حسام الدين مازن، الحاجة إلى مناهج عصرية لمواجهة التغيرات العالمية في مطلع قرن جديد، كتاب المؤتمر السنوي الحادي عشر، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ١٩٩٩.

### المحور الثالث - دراسات تناولت رحمة النبي ﷺ، ومنها:

- دراسة محمد مسعد ياقوت (٢٠٠٧)<sup>(١)</sup> والتي عرضت تعريفا عاما بنبي الرحمة ﷺ، وتناول المستشرقين لشخصيته ﷺ، وخصائص رحمته، وجوانب رحمته في مجالات الحضارة والأخلاق والتشريع والسياسة والعسكرية، وكذا رحمته ﷺ في مجال المرأة والطفل، ورحمته ﷺ بالضعفاء.
- دراسة أبو عبد الرحمن سلطان علي (بدون تاريخ)<sup>(٢)</sup> والتي عرضت لخصائص الرحمة المحمدية، وخلق الرحمة في حياته ﷺ وصنوف رحمته ﷺ: بأصحابه ﷺ، بالنساء، بالأطفال، بخدمه ومواليه، بالأعراب، بالأمة في الدنيا والآخرة، بالعصاة، بالحيوان، بالنبات، بالجناد، بالكفار، بالمنافقين، ثم عرضت لاعتراف المستشرقين المنصفين ببعض جوانب رحمته ﷺ.

وقد أفاد البحث من دراسات هذا المحور في إعداد قائمة بأبعاد رحمة النبي ﷺ.

(١) محمد مسعد ياقوت، مرجع سابق.

(٢) أبو عبد الرحمن سلطان علي، عبد واحد أنزل الله فيه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾،

موقع نبي الرحمة، <http://www.nabialrahma.com>، بدون تاريخ.

## الإطار النظري:

للإنسان تساؤلاته الكبرى منذ أن وُجد على ظهر هذه الأرض: من أنا؟ ومن أين أتيت؟ وكيف أتيت؟ ولماذا أتيت؟ وإلى أين المصير؟ وما الغاية؟ ولقد تتابع الوحي الإلهي ترا كما قال ﷺ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُوهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>؛ لكي يُطْمَئِنَّ الإنسان ويُريحه، ويحل له ألغاز الوجود، وينقذه من عذاب التساؤلات، وظلام الحيرة، وقلق الشك، وكلما ابتعد الإنسان عن منارة الوحي هاجمته شكوكه، وأقبلت عليه وساوسه، واستبدَّ به شياطين الإنس والجن، وأحرق به أنصار الشر والفساد. فأراد الله ﷻ لهذه البشرية الهائمة رسالة خالدة، تحمل أجوبة خالدة، تظل ماثلة أمام العقول، ومُلامسةً شغاف القلوب، فكانت بعثة المصطفى ﷺ ومعجزته الخالدة المشرقة في القرآن الكريم.

ومن نعم الله ﷻ ورحمته بهذه الأمة: أنه تفضَّل عليها بالقرآن ومثله معه «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ»<sup>(٢)</sup>؛ ليكون بياناً ساطعاً، ونوراً مُشرقاً، فجاءت

(١) سورة المؤمنون آية ٤٤.

(٢) أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي): سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، د.ت، ١٣ / ٣٢٤، مسند أحمد، ٣٧ / ١٠٧، =

بحمد الله ﷻ:

رسالة كاملة شاملة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> غطت كل جوانب الحياة العقديّة والتشريعيّة والأخلاقيّة. هاديّة منيرة مصححة مُسدّدة ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> تُخرج الناس من الظلمات إلى النور: من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، ومن ظلمة الشك إلى نور اليقين، ومن ظلمة الخوف إلى نور الرجاء والأمان، ومن ظلمة الجور إلى نور العدل والقسط، ومن ظلمة العصبية والجاهلية إلى نور الأخوة الإنسانية.

= ١٦٥٤٦.

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة النساء آية ١٧٤.

(٣) سورة المائدة: آية ١٥، ١٦.

واضحةً بيّنة: «بَيِّضَاءَ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ»<sup>(١)</sup>، لا لبس فيها ولا غموض، إنها أجلى من الشمس في رابعة النهار.

ليس فيها حَرَجٌ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

سهلةٌ يسيرةٌ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٣)</sup>، «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ...»<sup>(٤)</sup>، «يُسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا...»<sup>(٥)</sup>.

(١) الحاكم (محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري): المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، بیروت: دار الکتب العلمیة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ١/ ١٧٥، ح ٣٣١، مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦، ح ١٦٥١٩، ابن ماجه (محمد بن یزید أبو عبد الله القزويني): سنن ابن ماجه، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقي، بیروت: دار الفکر، د.ت، ١/ ١٦، ح ٤٣، الطبرانی (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم): المعجم الكبير، تحقیق: حمدي بن عبد المجيد، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣، ١٨/ ٢٥٧، ح ٦٤٢.

(٢) سورة الحج: آية ٧٨.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٢٣، ح ٣٩، والنسائي: (أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن) سنن النسائي الكبرى، تحقیق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، بیروت: دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٦/ ٥٣٧، ح ١١٧٦٥.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٣٨، ح ٦٩، صحيح مسلم ٣/ ١٣٥٩، ح ١٧٣٤.

فيها تنوعٌ وثرَاءٌ في تشريعاتها وتوجيهاتها، تُمدُّ الوجود الواقعي والحياتي دائماً بمُعْطياتها ونصائحتها دون عسفٍ أو غمطٍ للواقع، ودون إهمالٍ أو تفريطٍ به.

فيها تنوعٌ في خطابها بحسب أصناف الناس وقدراتهم وطاقاتهم من تقاعسٍ أو نشاطٍ، وقوةٍ أو ضعفٍ، فتشجّع القويَّ والنشط وتُحثُّه على المزيد «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»<sup>(١)</sup>، ولكنها لا تُقنط الضعيف والفقير «ففي كل خيرٍ»، وتُراعي حال المريض والمُحْرَج والمُضْطَرَّ ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

لا تؤيس العاصي والمُخْطِئ، بل تدعوه إلى التوبة ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

(١) سنن النسائي الكبرى ٦/١٥٩، ح ١٠٤٥٧.

(٢) سورة التوبة: آية ٩١.

(٣) سورة النور: آية ٦١.

(٤) سورة البقرة: آية ١٧٣.



الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١﴾، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

لا تقطع أمل المنحرف والمُسرف على نفسه، بل تفتح له نافذة من الرجاء والأمل ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٤)</sup> لاحظ كيف يصفُ المُسرفين بأنهم عباده، ويضيفهم إلى نفسه ﷺ، ثم ينهاهم عن القنوط واليأس من رحمة الله، ثم يعدُّهم بمغفرة الذنوب جميعاً دون استثناء، ثم يُعقِّبُ ذلك بوصف نفسه جل وعلا بالمغفرة والرحمة، ثم تأمَّل في هذه الآية كم فيها من معاني الرجاء للعصاة والمذنبين ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَاحِمًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النور: آية ٣١.

(٢) سورة البقرة: آية ١٦٠.

(٣) سنن البيهقي الكبرى ١٠/١٥٤، البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى): شعب

الإيمان، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ٥/٤٣٦، ح ٧١٧٨، وسنن

ابن ماجه، ٢/١٤١٩، ح ٤٢٥٠، الطبراني: المعجم الكبير ١٠/١٥٠، ح ١٠٢٨١.

(٤) سورة الزمر: آية ٥٣.

(٥) سورة آل عمران: آية ١٣٥.

لا تسوّي بين الكسول المتقاعس والنشيط الجادّ، ولا بين المهمل المُقصر وصاحب الهمة والعزيمة، بل تفتح الباب لكلٍ منهما للرقّيّ والسُّموّ، وذلك عبْر المراتب الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، فمن أراد أن يرقى فدونه الجبل لا أحد يمنعه، ودونه القمة فليتسلق إليها لا أحد يدفعه. ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾<sup>(١)</sup> فمن يعمل ويسعى ويُجاهد ليس كمن ينام ويتقاعس ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وليس الناس على درجة واحدة من الهمة والعزيمة والقصد ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ إِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>، والإسلام طموح، ويُعلّم أبناءه الطموح والهمة العالية «يُقَالُ لِقَارِي الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا...»<sup>(٤)</sup> ويربط الرقيّ بالعمل، بل وبإتقان العمل أيضًا، ويدعو أبناءه

(١) سورة الإسراء: آية ١٩.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

(٣) سورة فاطر: آية ٣٢.

(٤) الترمذي: (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي) الجامع الصحيح سنن الترمذي:

تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٧٧/٥، ح ٢٩١٢، =

إلى طلب القِمة والسعي إليها «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»<sup>(١)</sup>.  
 هذه رسالة محمد ﷺ، رسالة الإنسان، رسالة السعادة، رسالة الحضارة،  
 رسالة العدالة، رسالة الرحمة، لا تنظر إليها من زاوية من الزوايا إلا وتجد فيها  
 التشوُّف إلى سعادة الإنسان وراحته ومنفعته، وقد يُدرك الإنسان أبعاد هذه  
 المنفعة والسعادة، وقد تخفى عنه، فلا يُلاحظها إلا بعد حين.  
 إنها رسالة تُراعي سِرَّ الخلق في كيان الإنسان؛ لأنها تنزّل من العليم الخبير  
 ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فجاءت رسالته ﷺ رسالة الرحمة؛ لتحفظ نظام الكيان الإنساني من  
 الانفراط، وعقد الكينونة من الاختلال، فأعطت كل ذي حقَّ حقَّه «فَإِنَّ لِحَسَبِكِ

=وسنن النسائي الكبرى ٥/ ٢٢، ح ٨٠٥٦، وابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم  
 التميمي البستي): صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة،  
 الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، ٣/ ٤٣، ح ٧٦٦، ومسند الإمام أحمد ٢/ ١٩٢، ح ٦٧٩٩،  
 الطبراني: المعجم الكبير ٢/ ٥٠، ح ١٢٥٣.

(١) المقدسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي) (٥٦٧ - ٦٤٣ هـ): الأحاديث  
 المختارة، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة،  
 ١٤١٠ هـ، ج ٨/ ٣٢٧، ح ٣٩٤.

(٢) سورة الملك: آية ١٤.

عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا...»<sup>(١)</sup>، ورفضت نظام التَّرهُّبِ والانسحاب من الحياة «أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ اللَّهَ، وَأَتَّقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَصِلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(٢)</sup>.

هذه رسالة الإسلام، رسالة الرحمة الإلهية، جاء بها المصطفى ﷺ؛ ليُكمل بناء الإسلام الذي بناه أنبياء الله وُيِّتَمَّه.

ولم يكن ﷺ منفصلاً عن الناس يعيش في بُرجٍ عاجيٍّ، بل كان يأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون، وينام كما ينامون، ينام على الحَصِيرِ فيؤثِّرُ في جنبه حتى يبكي سيدنا عمر تأثُّراً على حال رسول الله ﷺ، ويرى «... الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهْلَةٍ في شهرين، وما أُوقِدَ في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ»<sup>(٣)</sup>، «ويشدُّ الحجرَ على بطنه من الجوع»<sup>(٤)</sup>، «ويَمُرُّ على نسائه، فلا يَجِدُ طعاماً،

(١) صحيح البخاري ٥/١٩٩٥، ح ٤٩٠٣.

(٢) صحيح البخاري ٥/١٩٤٩، ح ٤٧٧٦، صحيح مسلم ٢/١٠٢٠، ح ١٤٠١.

(٣) صحيح مسلم ٤/٢٢٨٣، ح ٢٩٧٢، ابن القيم: (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي): زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، بيروت - الكويت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ١/١٤٢.

(٤) الطبري: الحافظ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) تهذيب الآثار، تحقيق محمود محمد =

فيقول: «إني صائم»<sup>(١)</sup> «ويطوي الأيام، ثم إذا وجد الحَلَّ أكل منه، فحمد الله، ثم قال: نِعَمَ الإِدَامُ الحَلُّ»<sup>(٢)</sup>.

وصَفَه رَبُّهُ ﷻ بقوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، أجل إنه ﷺ من أنفسنا ومن أنفسنا، حريصٌ علينا، شفوqُ بنا، يُخزِنه عصياننا وانحرافنا، رؤوفٌ رحيمٌ بنا، يقف على الصراط، ويقول: «رَبِّ سَلِّمْ رَبِّ سَلِّمْ»<sup>(٤)</sup>، ويطيل السجود والدعاء والتبَتُّل يدعو لأُمَّته بالنجاة والسعادة والهداية، ويوم القيامة يسجد تحت العرش، فلا يرفع رأسه حتى يقال له: ارفع رأسك، وسلِّ تُعْطَ، واشفع تُشَفَّعْ!

= شاكر، مطبعة المدني، ٢١/٣، وأبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤٠٥ هـ، ١٣٧/٢، وابن كثير (إسماعيل بن عمر): السيرة النبوية، بيروت: مكتبة المعارف، د. ت، ١٨٨/٣، ومحمد بن يوسف الصالح الشامي (ت ٩٤٣ هـ): سبل الهدى والرشاد في سیر خير العباد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عام ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، ١٠٤/٧.

(١) سنن النسائي ٤/١٩٤، ح ٢٣٢٣.

(٢) صحيح مسلم ٣/١٦٢٢، ح ٢٠٥٢.

(٣) سورة التوبة: آية ١٢٨.

(٤) صحيح مسلم ١/١٨٧، ح ١٩٥.

فيقول: «يَا رَبُّ أُمَّتِي»<sup>(١)</sup>، لقد جعل همّه همًّا واحدًا هو رضوان الله جل شأنه، وتفرّع عن هذا الهم حِرْصُه الشديد على أُمته رحمةً ورأفةً ورجاءً «إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ النَّاسِ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخْذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا»<sup>(٢)</sup>، إن غايته الكبرى هي نجاة أُمته، فهو لم يَخْشَ علينا الفقر، بل يَخْشَى علينا من الدنيا وانبساطها وإغرائها كما قال للانصار ذات يوم: «فَأَبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وقال لسيدنا عليّ يوم خيبر: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»<sup>(٤)</sup> لأنه سيكون سببًا في إنقاذ رجلٍ - بل ربما أسرة مُمتدة إلى يوم القيامة - من الشقاء الأبديّ، والجحيم السرمديّ.

(١) صحيح البخاري ٤/١٧٤٦، ح ٤٤٣٥.

(٢) الحنبلي (أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب) (٧٣٦-٧٩٥): التخييف من النار، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩٩هـ، ص ١١.

(٣) صحيح البخاري ٣/١١٥٢، ح ٢٩٨٨ وصحيح مسلم ٤/٢٢٧٣، ح ١٩٦١.

(٤) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٧٧، ح ٢٧٨٣، وصحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧٢، ح ٢٤٠٦.

لقد كانت رسالته ﷺ أشبه بالغيث الصيّب في السنة القاحلة، وهكذا شَبَّهَ رسول الله ﷺ بعثته المباركة، فقال: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أُمَسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

هذه رسالة محمد ﷺ ذلكم الطفل اليتيم الذي نشأ، وترعرع في ربوع مكة يَرَعَى أَغْنَامَهَا، وَيُرَاقِبُ أَحْلَامَهَا، وَيُعَاشِ شَبَابَهَا، وَيُرَافِقُ تَجَارَهَا، وَيَخَالطُ زَعَمَاءَهَا، ويحضر مجالسها وأحلافها - حلف الفضول<sup>(٢)</sup> - ويشارك في حروبها - حرب الفجار - فكان مثلاً للرجولة، وعنواناً للأخلاق، ونبراساً للصدق والأمانة، فاستحقَّ بجدارة لَقَبِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ من أعدائه وخصومه قبل أقربائه وأصدقائه، فتهيأً لتحمل المسؤولية العظيمة بأن يكون رسولاً للناس أجمعين، ورحمةً مُهْدَاةً للعالمين، ومبلغاً لآيات الوحي المبين.

(١) صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٢، ح ٧٩، وصحيح مسلم، ج ٤، ص ١٧٨٧، ح ٢٢٨٢.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، ج ٦، ص ٣٦٧، ح ١٢٨٥٩.

فكان ﷺ بإزاء هذه النعمة الكبرى عليه، وهذا الفضل الرباني العظيم ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup> لا يرى نفسه إلا عبدًا لله ﷻ «يجوع يومًا فيصبر، ويدعو ويتضرع إلى ربه ﷻ، ويشبع يومًا، فيشكر ربه ويحمده»<sup>(٢)</sup>، يرجو رحمة الله، ويخاف عقابه ﷻ، أليس هو القائل ﷺ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

وبرغم ما أكرمه الله ﷻ به من النصر العزيز، والفتح المبين لم يُنْكَلْ بأعدائه وخصومه الذين آذوه وطردوه، وقتلوا أصحابه وأحبابه، بل قال كلمته المشهورة «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلُقَاءُ»<sup>(٤)</sup> لمن؟! لمن طردوه وآذوه أشدَّ الأذى، وقاتلوه أشدَّ القتال، وتكالبوا عليه، وألبوا عليه العرب، وقتلوا أعزَّ الناس على قلبه! قال لهم:

(١) سورة النساء: آية ١١٣.

(٢) البيهقي: شعب الإيمان ٢١/٣٤٣، أبي نعيم الأصبهاني حلية الأولياء ٨/١٣٣.

(٣) صحيح البخاري ٥/٢١٤٧، ح ٥٣٤٩، وصحيح مسلم ٤/٢٢٦٩، ح ٢٨١٦.

(٤) البيهقي: السنن الكبرى ٩/١١٨، وابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري الماعفري أبو محمد) (ت. ٢١٣هـ): السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، عدد الأجزاء ٦، بيروت - دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ص ٤١١-٤١٢، وأبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، جدة: دار الشروق، ط ١٤١٠هـ، مجلد ٨، ص ٣٤١.



«اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ»!

دخل وهو يركبُ فرسه متواضعًا خاشعًا لله ﷻ، وحوله كتيبته الخضراء،  
يترنم بسورة الفتح مُطَاطِئًا رأسه شاكرًا لربه ﷻ، ومُستمطرًا رحمته وكرمه،  
وهي رسالة إلى كل عقل حُرٍّ، وقلب حيٍّ، وإنسانٍ صادقٍ في بحثه عن الحقيقة  
تُخبرُه عن حقيقة هذا الرجل من هو؟! أهو طالب ملك؟ ها هو الملك بين يديه،  
فلماذا لا يتعاضم به؟ أهو رائد دُنيا وعظمة؟ ها هي الدنيا والعظمة تتضاءل بين  
يديه، فلماذا لا يمتلكها؟ أم هو نبيٌّ مُرْسَلٌ يرجو رحمة ربّه، ويخاف عذابه،  
ويبتغي رضوانه؟.

أجل لقد اقترب منه رجلٌ أعرابيٌّ، فرأى حوله جنده وجيشه، فأخذته  
رعدةً من الخوف، فهدأ النبي ﷺ من رَوْعِهِ، وقال له: «يَا أَخَا الْعَرَبِ، إِنَّمَا أَنَا  
ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ»<sup>(١)</sup>.

أجل إنه ﷺ في هذه اللحظة الحاسمة بعد عشر سنواتٍ من الجهاد

(١) الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم): المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض  
الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ هـ، ج ٢،  
ص ٦٤، ح ١٢٦٠، الألباني (محمد ناصر الدين): السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبة  
المعارف، د.ت، ٤/٤٩٦.

والحروب ها هي مكة بين يديه، وأهلها طَوَّع أمره، وعُتَاتها وطُعَاتها في قبضته، إنها صورة رائعة تدعو إلى التطاول والكبرياء، وتُغري بالانتقام، ولكنه ﷺ وقد أدَّبَه رَبُّهُ ﷻ فأحسن تأديبه، تذكَّر أن هذا فضلٌ من الله ﷻ، وكرمٌ وتوفيقٌ ونصرٌ منه ﷻ، ثم عاد مُباشرةً بذاكرته إلى الأيام الخوالي، يوم كان طفلاً يتيماً فقيراً مُعدمًا، يوم كان يرعى الأغنام، يوم كانوا يرشُّون التُّراب في وجهه، يوم الطائف، يوم الحصار والجوع، ثم توقَّف عند صورةٍ مؤثِّرةٍ هي: يوم كان يأكل القديد مع أُمِّه بمكة! أجل يا أخا العرب فأنا ابن امرأةٍ كانت تأكل القديد بمكة!.

في وسط البهجة والانتصار، وفي وسط المجد والفخر، وفي وسط العِزَّة والافتدار، يتذكَّر ويذكَّر النبي ﷺ بحالة ضعفه وفقره؛ لينفعل مع جيشه وجنده والناس جميعًا بالشكر لله عز وجل، فكل ما هو فيه الآن هو محض فضلٍ وإنعام من الله جل وعلا.

ولم يستطع بعض أصحابه أن يَتَدَّ حالة الزهو والفخر في كيانه، فقال وهو يَمْثُرُ على بعض سادة قريشٍ الواجهين المُنكسرين: اليوم يوم الملحمة، ونُقل ذلك له ﷺ، فقال: بل اليوم يوم المرحمة<sup>(١)</sup>، ونَزَعَ اللواء من صاحبه، وأعطاه لابنه

(١) ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي): فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار الريان للتراث، عدد الأجزاء: ثلاثة عشر جزءًا، ١٤٠٧ هـ=

- لابن صاحب اللواء - وهنا تتجلى رحمة النبي ﷺ وسياسته في إصلاح الأخطاء، وتأليف القلوب، وتضميد الجراح، وتنظيف الصدور، وتطبيب الخواطر.

جاءه عثمان بن طلحة بمفاتيح الكعبة، فتناولها منه النبي ﷺ، ففتح الكعبة المشرفة، وصلى فيها ثم أعادها إليه، وقال له: «خُذُوهَا لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ»، ولا شك أن عثمان خجل من نفسه، وتمنى لو ابتلعه الأرض حين فاجأه النبي بهذا الكلام، ذلك لأنه يذكر يوماً آخر في مكة قبل هذا اليوم، حين كان النبي ﷺ فقيراً وحيداً مكذباً طريداً، فقد طلب منه النبي ﷺ المفاتيح، فأبى عثمان، فقال له النبي ﷺ: «كَيْفَ بِكَ يَا عُثْمَانُ ذَاتَ يَوْمٍ، وَالْمَفَاتِيحُ بِيَدِي أَضَعُهَا حَيْثُ أَشَاءُ؟» فقال له عثمان: لقد ذلت قريش يومئذ وهانت، فقال المصطفى ﷺ: «بَلْ عَمَرْتُ وَعَزَّتُ»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكره النبي ﷺ بذلك فقال له: ألم يكن الذي قلت لك؟ ولكن لا ليَجرح خاطره، وإنما ليزيده إيماناً بنبوته، وقد فهم عثمان الرسالة فقال: بلى أشهد أنك رسول الله. وبدلاً من التفكير بالانتقام أكرمه النبي ﷺ غاية الإكرام.

= ١٩٨٦م، ٩/٨.

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد ٣/ ٣٥٦.

أجل إنه يتمثل قول الله ﷻ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﷻ فيه: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ<sup>ط</sup> وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

هكذا كانت رسالته ﷺ، وهكذا كانت دعوته: المحبة والتسامح، والعفو والرحمة، والتواضع لله جل شأنه. تأمل في قوله ﷻ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»<sup>(٣)</sup>، كم يحمل هذا الحديث من دلالات مُعَبَّرَةٍ، ومعانٍ مُؤَثَّرَةٍ، فهو ﷺ يرى أن الدين بناء شَكَلَ الأنبياء جميعاً فيه لِبْنَاتٌ مُتَمَاسِكَةٌ، ولم يبق من هذا البناء إلا مِقْدَارُ لَبْنَةٍ، وكان البناء جميلاً وبديعاً تعجَّب منه الناس، وَتَمَنَّوْا لَوْ وُضِعَتْ تِلْكَ اللَّبْنَةُ، فَكَانَتْ بَعَثْتَهُ ﷺ هي لَبْنَةُ الْكَمَالِ، ولكنه ﷺ لم يجعل من نفسه رَكِيزَةَ الْبِنَاءِ،

(١) سورة الحجر: آية ٨٥.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٣) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٣٠٠، ح ٣٣٤١، وصحيح مسلم، ج ٤، ص ١٧٩٠،

أو أحد جُدرانِه، وإنما جعل من نفسه لَبَنَةً في بناء النُبُوَّة، يتراصُّ مع إخوانه من الأنبياء السابقين؛ ليتكوَّن للبشر بناءٌ يُحقِّق لهم المأوى والمثوى والسعادة في الدنيا والآخرة، فلم يبخس النبيُّ إخوانَه من الأنبياء - ﷺ - جميعًا - حقَّهم، ولم يُنكر فضلهم وجهادهم.

إنه ﷺ يُعلِّمنا كيف نتكامل «إِنَّمَا بُعِثْتُ؛ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>، ويُعلِّمنا كيف نتواضع، فيقول ﷺ: «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»<sup>(٢)</sup>، ويُعلِّمنا كيف نتعاون ونتراصُّ؛ لكي نكون أقوى في مسيرة الحياة، وأقدر على الإعمار، وأصبر على الشدائد.

\*\*\*

(١) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین ٤/ ٢٨، البيهقي: السنن الكبرى ١٠/ ١٩٢، المعجم الأوسط ١٥/ ١٦٥.

(٢) البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي): الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ١/ ١٥٣، ح ٤٢٨.

خصائص رحمته ﷺ

(١) ربانيّة الرحمة:

فمن أسماء الله تبارك وتعالى الرحمن والرحيم، وقد افتتح سور القرآن،  
ببسم الله الرحمن الرحيم، وقال الله تعالى: ﴿بَنِيَ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾  
وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ<sup>(١)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
«لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخُلُقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ  
غَضَبِي»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ  
الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ  
كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً! فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ  
الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ

(١) سورة الحجر: الآيتان ٤٩، ٥٠.

(٢) صحيح البخاري ٣/١١٦٦، ح ٣٠٢٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق - باب: الرجاء مع الخوف. ح ٥٩٨٨.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ؛ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»<sup>(١)</sup>.

وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً على رحمة الله للعبد: فقد رأى امرأة متلهفة على ولدها، تبحث عنه، فلما رآته، تلقفته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟»، قالوا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا!»<sup>(٢)</sup>.

وقد اتَّصف وتخلَّق بالرحمة والعفو، حتى زكاه ربه بها، وأثنى عليه فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وحَدَّدَ ﷺ مصدر رحمة نبيه بقوله جل وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن الترمذي ح ٣٤٦٣.

(٢) صحيح البخاري ٥/٢٢٣٥، ح ٥٦٥٣.

(٣) سورة التوبة: آية ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

## (٢) دعوة الرحمة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، هكذا قالها الله بأسلوب القصر، يعني النفي ثم الاستثناء، أي: أنت لست إلا رحمة لست شيئا آخر غير الرحمة.. كما يقول النبي ﷺ «أَيُّهَا النَّاسُ.. إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهِدَاةٌ»<sup>(٢)</sup>.

## (٣) عالميّة الرحمة:

كذلك يُفيد قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، أن رحمة النبي ﷺ رحمة شاملة وعامة وعالمية، وليست عنصرية تقوم على الأعراق أو الألوان أو المذاهب، بل رحمة لكل البشر، رحمة عامة ومجرّدة للعالمين جميعاً، ليست رحمة للعرب دون العجم، أو للمسلمين دون غيرهم، أو للشرق دون الغرب، بل هي رحمة للعالمين.

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

(٢) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین ١/ ٩١، والبيهقي، شعب الإيمان ٢/ ١٤٣، ح ١٤٠٢، ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، ٧/ ٤٤١، الألباني: السلسلة الصحيحة، رقم ٤٩٠.

(٣) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.



وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرَاحُمُوا!»، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيماً! قال: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ صَاحِبُهُ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ.. رَحْمَةُ الْعَامَّةِ!»<sup>(١)</sup>، فهي الرحمة بالعامّة، أي بعامّة البشر، ويجعل النبي ﷺ ذلك من شروط الإيثار، فلا يُعَدُّ الرجل مؤمناً حتى يرحم الناس بصفة عامّة كما في حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَضَعُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ»، قالوا: يا رسول الله، كلنا يرحم، قال: «لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ صَاحِبُهُ.. يَرْحَمُ النَّاسَ كَافَّةً»<sup>(٢)</sup>.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ»<sup>(٣)</sup>، فالرحمة بأهل الأرض

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ح ٧٤١٨، ورواه الطبراني ورواه رواة الصحيح، وحسنه غيره الألباني (محمد ناصر الدين) في: صحيح الترغيب والترهيب، الرياض: مكتبة المعارف - الطبعة الخامسة.

(٢) أبو يعلى الموصلي (أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي): مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، رقم ٤١٤٥. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٦٧.

(٣) الحميدي (عبد الله بن الزبير أبو بكر): مسند الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت - القاهرة: دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبّي، د. ت، ح ٦١٩، وأحمد ح ٦٢٠٦، =

تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم، فالمؤمن يرحمه، ويتقَى الله فيه، ويعلم أنه مسئولٌ أمام الله عن هذه العجاوات<sup>(١)</sup>، كما أن الرحمة بالخلق وأهل الأرض شرطٌ لنيل رحمة الخالق.

وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ رَحْمَتُهُ ﷺ إِنْسَانِيَّةً عَامَّةً، شَمِلَتْ الْمُسْلِمَ وَغَيْرَ الْمُسْلِمِ، وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُنَافِقَ، وَالْعَرَبِيَّ وَغَيْرَ الْعَرَبِيِّ، وَالشَّرْقِيَّ وَغَيْرَ الشَّرْقِيِّ، وَالْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ، وَالرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وَالْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ وَالطَّيْرَ وَالْجَمَادَ، فَهُوَ يَعْتَبِرُ الْبَشَرِيَّةَ جَمِيعَهَا أَسْرَةً وَاحِدَةً، تَنْتَمِي إِلَى رَبِّ وَاحِدٍ، وَإِلَى أَبٍ وَاحِدٍ، وَإِلَى أَرْضٍ وَاحِدَةٍ.. كما قال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ ثَمَّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحْمَةً لِكُلِّ الْأُمَمِ، وَلَأُمَمَتِهِ خَاصَّةً، مُهْتَمًّا

= وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ٩٢٥.

(١) يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة التاسعة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٢٨٣.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، ح ٢٢٣٩١، والطبراني: المعجم الأوسط ح ٤٩٠٥، والبيهقي ح ٤٩٢١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ٢٧٠٠.

بأمرها، يخشى عليها من عذاب الله يوم القيامة، وقد كانت مشاعره جياشةً في هذه المسألة، فذات مرّة قرأ قول الله تعالى في القرآن على لسان عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، ففاض ينبوع الرحمة، واهتزّ قلب النبي ﷺ يُناجي ربه في خشوع: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى...!!».. وسرعانَ ما نزل الأمين جبريل مُهدّئاً من فزعه ﷺ على أمته، ومبلغاً قائلاً: إن الله يقول لك: «إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أَمْرِكَ، وَلَا نَسْؤُوكَ»<sup>(٢)</sup>.

وكان رحمة كذلك لغير المسلمين، بل وأشرّ الخلق، فكان رسول الله ﷺ يُمارس هذه الرحمة مع شرار الناس، حتى يظنّ الفاجر أنه بخير!، وتأمل قول عمرو بن العاص رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يُقبلُ بوجهه وحديثه على أشرّ القوم يتألفهم بذلك، فكان يُقبلُ بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننتُ أني خيرُ القوم»<sup>(٣)</sup>.

واستفاد غير المسلمين من رحمة النبي ﷺ؛ لأن الله تعالى كان يُهلك من

(١) سورة المائدة: آية ١١٨.

(٢) صحيح مسلم، باب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، ح ٣٠١.

(٣) حسنه الألباني في: مختصر الشبائل المحمدية، عدد الأجزاء: ١، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن.

قَبْلُ الأَمَمِ الكافرة بسبب كفرها وعصيانها للأَنْبياء هلاكاً جماعياً، بينما رفع الله تعالى بعد بعثة محمد ﷺ هذا الهلاك الجماعي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فاستفاد الناس من خلاصهم من مثل هذا العذاب، فكان ذلك نعمةً دنيويةً بالنسبة للكُفَّار.

وتأمل قَدْرَ النبي ﷺ ومنزلته عند الله: أي طالما أنت تعيش بينهم فلن يعذبهم الله، طالما أن ذِكْرَكَ موجودٌ، وتلهج به الألسنة، وطالما أن الناس يتبعون طريقك فلن يعذبهم الله ولن يهلكهم<sup>(٢)</sup>.

وكان رحمةً للمنافقين أيضاً. فبسبب هذه الرحمة الواسعة لم يرَ المنافقون العذاب في الحياة الدنيا، فقد حضروا إلى المسجد، واختلطوا بالمسلمين، واستفادوا من كل الحقوق التي تمتع بها المسلمون، ولم يُقَمْ رسول الله ﷺ بفضحهم وإفشاء أسرار نفاقهم أبداً مع أنه كان يعرف دخائل نفوسهم ونفاقهم، حتى إنه أخبر حذيفة ؓ بذلك<sup>(٣)</sup>؛ لذا كان عمر بن الخطاب ؓ يُراقب

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٣.

(٢) محمد فتح الله كولن: النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، ترجمة وتحقيق: لينا عبدالقدوس أبو صالح، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ٦٩/٢.

(٣) صحيح البخاري، فضائل أصحاب النبي، ص ٢٠.

حُذيفة، فإن رآه لا يصلي على جنازة لم يُصلِّها هو كذلك<sup>(١)</sup>، دون إحداث ضجّة أو تشهير بالمنافق الميّت.

ومع ذلك فلم يهتك الإسلام سرّهم، فبقّوا بين المؤمنين، وانقلب كفرهم المطلق إلى ريبة وشكّ على الأقل.

#### (٤) وظيفة الرحمة وخدمتها للدعوة:

لقد كانت رحمة النبي ﷺ من عوامل نجاحه التي استعملها واستفاد منها في دعوته، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، يعني: لولا رحمتك يا محمد لانفضوا من حولك رافضين دعوتك.

كما أن رحمته ﷺ من دلائل فطنته، بمعنى آخر كانت رحمته تُشكّل بُعداً آخر من أبعاد فطنته، وكانت هذه الرحمة من عوامل نجاحه التي استعملها ووظفها، وجعل منها شباكاً لصيد القلوب، واتخذ رحمته وسيلة لفتح القلوب السوداء، وتحريك المشاعر الصمّاء، ولا يعني هذا أنه كان يتصنّع الرحمة،

(١) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، بيروت / لبنان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ١/ ٤٦٨.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

وَيَتَّخِذُهَا ذَرِيعَةً لِلْوُصُولِ إِلَى مَا رَبِّ غَيْرِ شَرِيعَةٍ، بَلْ كَانَتْ سَمْتَهُ الطَّبِيعِيَّ، وَفَطَرْتَهُ الَّتِي جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ رَحْمَةٍ خَالِصَةٍ لَوْجِهَ اللَّهِ، وَرَحْمَةٍ مِنْ أَجْلِ مَنْفَعَةٍ شَخْصِيَّةٍ وَضِيعَةٍ، وَشَتَّانَ بَيْنَ رَحْمَةٍ مِنْ أَجْلِ رِسَالَةٍ سَامِيَةٍ، وَرَحْمَةٍ مِنْ أَجْلِ زُعَامَةٍ فَانِيَةٍ.

«هَكَذَا كَانَتْ «الرَّحْمَةُ» فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِفْتَاحًا سِحْرِيًّا. وَهَذَا الْمِفْتَاحُ فَتَحَ مَغَالِيقَ أَقْفَالِ صَدَّةٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَوَقَّعُ فَتْحَهَا بِأَيِّ مِفْتَاحٍ، وَأَشْعَلَ شُعْلَةَ الْإِيمَانِ فِي الْقُلُوبِ، أَجْلٌ لَقَدْ سَلَّمَ هَذَا الْمِفْتَاحُ الذَّهَبِيُّ إِلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى ﷺ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَلِيقَ النَّاسِ بِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى دَائِمًا يُسَلِّمُ الْأَمَانَةَ لِمَنْ هُوَ أَهْلُهَا»<sup>(١)</sup>.

#### (٥) وَسْطِيَّةُ الرَّحْمَةِ:

وَمِنْ خِصَائِصِ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا: أَنَّهَا رَحْمَةٌ مُتَزَنَةٌ وَعَادِلَةٌ، فَهُوَ رَحِيمٌ دُونَ ضَعْفٍ، مُتَوَاضِعٌ بَغَيْرِ ذِلَّةٍ، مُحَارِبٌ لَا يَغْدِرُ، سِيَاسِيٌّ لَا يَكْذِبُ، يَسْتَخْدِمُ الْحِيلَةَ فِي الْحَرْبِ، وَلَكِنْ لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِيقَ، آمَنَ خُصُومَهُ بِصَدَقِهِ وَأَمَانَتِهِ، يَجْمَعُ بَيْنَ التَّوَكُّلِ وَالتَّنْدِيرِ، وَبَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالْعَمَلِ، وَبَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْحَرْبِ<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد فتح الله كولن: مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٦.

(٢) محمد علي الخطيب: محمد رسول الله ﷺ الرحمة المهداة، البحث الفائق بالجائزة الرابعة بمسابقة موقع الألوكة: (انصر نبيك وكن داعياً)، فرع البحث العلمي. ٢٨ / ١١ / ٢٠٠٦م =

وهذا وهو الحال في أخلاق محمد ﷺ جميعها، فهي تعمل ضمن منظومةٍ مُتناسقةٍ مُتناغمةٍ، تتشابه جميعها لتأدية أغراضها، فلا تتوسّع صفةٌ أو تقوى على حساب أخرى، ولا تعمل إحداها ضد الصّفة التي تُقابلها. كالقرآن والسيف في دعوة النبي ﷺ، فالقرآن - في يدي النبي ﷺ - كتاب هداية لمن أراد الهدى، والسيف معه ﷺ وسيلةٌ لردع من يعتدي عليه.

ويشير «جورج حنا» إلى هذا التوازن في شخصيّة النبي ﷺ، فيقول: «إنه لم يرض بأن يحوّل خدّه الأيسر لمن يضربه على خدّه الأيمن.. بل مشى في طريقه غير هيّاب، في يده الواحدة رسالة هداية، يهدي بها من سالموه، وفي يده الثانية سيفٌ يحارب به من يُحاربوه، لقد آمن به نفرٌ قليل في بداية الدّعوة، وكان نصيب هذا نفر مثل نصيبه من الاضطهاد والتكفير.. كان هؤلاء باكورة الديانة الإسلامية، والشعلة التي انطلقت منها رسالة محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>.

ومظهرٌ آخر للتوازن، هو ثبات صفة الرحمة فيه ﷺ، فهو رحيمٌ في كل أحواله وأطواره ومواقفه، فالنبي ﷺ رحيمٌ قَبْلَ البعثة وبعد البعثة، قبل الفتح وبعد الفتح، رحيمٌ في النصر والهزيمة، رحيمٌ في عُسرهِ ويُسرهِ، رحيمٌ في سفره

== ٨ / ١١ / ١٤٢٧ هـ، ٣٣. <http://www.alukah.net>

(١) جورج حنا: قصة الإنسان، بيروت، دار الثقافة ١٩٥٩، ص ٧٦.

وحضره... الخ.

## (٦) عمليّة الرحمة:

ومن خصائص رحمة النبي ﷺ أيضًا: أنها ليست مُجرّد تعاليم نظريّة، أو تطلّعات فلسفيّة، أو كما يقال حبرٌ على ورق، بل شأنها كشأن سائر خصاله وأخلاقه التي ترجمها إلى منهج حياة عمليّة، وواقع حي عاشه المسلمون في العهود الإسلاميّة العريقة..

فرحمة النبي محمد ﷺ رحمة تطبيقيّة يُمارسها في حياته اليوميّة، كما تقول عائشة رضي الله عنها عندما سُئِلَتْ عن خُلُقِهِ، فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»<sup>(١)</sup>، فقد خرج من تعاليم القرآن المكتوبة إلى واقع الحياة بتطبيق هذه التعاليم ومُمارستها سلوكًا عمليًّا.

## أولاً - إعداد قائمة جوانب رحمة النبي ﷺ:

للإجابة على التساؤل البحثيّ الأوّل، وهو: ما جوانب رحمة النبي ﷺ التي يجب أن تُجسّدَها مناهج التاريخ الإسلامي؟ قام الباحث بإعداد قائمة بجوانب رحمة النبي ﷺ وَفَقًا لِلخُطُوات التالية:

(١) الهدف من إعداد القائمة: يهدف إعداد القائمة إلى تحديد أهمّ جوانب

(١) صحيح - رواه أحمد ح ٢٣٤٦٠، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع وزيادته،





رحمة النبي ﷺ، وذلك للكشف عن مدى تضمينها في محتوَى مناهج التاريخ الإسلامي المدرسيّة.

## (٢) مصادر اشتقاق القائمة:

- القرآن الكريم.
- كُتُب السنة الصحيحة.
- الكُتُب والمراجع والدوريات في مجال السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي.
- البُحوث والدراسات السابقة ذات الصلة بالدراسة الحالية.
- آراء المعلمين والموجهين والخبراء والمتخصصين في مجال المناهج، وطُرُق التدريس.

## (٣) وضع القائمة في صورتها الأولى: من خلال المصادر السابقة، تم

تحديد جوانب رحمة النبي ﷺ في ثمانية عشر جانباً مع نماذج من سيرته ﷺ تُبرز كل جانب (ملحق ١).

## (٤) ضبط القائمة: تم عرض القائمة السابقة على مجموعة من المحكمين

بغرض الاهتمام بآرائهم، ومُقترحاتهم من حيث:

- انتهاء ودلالة الموقف التاريخي، أو الحديث الشريف على الجانب الذي

أدرج فيه من جوانب الرحمة.

- مدى إمكانية تدريسه من خلال مناهج التاريخ الإسلامي.

- المرحلة التعليمية المقترح تدريس الموقف التاريخي فيه.

وقد تمّ الأخذ بمُعظم الملاحظات التي أبدتها السادة المحكّمون، والتي

تمثّلت في:

- دُمج بعض جوانب الرحمة في بُعدٍ واحدٍ مثل «رحمته ﷺ بالبنات»، «رحمته ﷺ ببناته» على اعتبار أن الرسول في نظره وتعامله مع البنات عموماً لم يُميّز بين بناته وعموم بنات المجتمع الإسلامي.
- تعديل محور «رحمته ﷺ بالخصوم والأعداء» إلى «رحمته بالكُفّار والمُشركين»؛ لوجود محور آخر لـ «رحمته ﷺ بأهل الذمّة».
- استبعاد جانب رحمته ﷺ بالأرامل.

وقد تمّ إجراء جميع التعديلات اللازمة، والتوصل إلى القائمة في صورتها

النهائية والتي صارت تشتمل على ستة عشر جانباً للرحمة (ملحق ٢).

ثانياً - تقويم مناهج التاريخ الإسلامي في ضوء قائمة أبعاد وجوانب رحمة

النبي ﷺ:

وللإجابة عن السؤال البحثي الثاني، وهو: ما مدى توافر هذه الجوانب في

مُحتوى مناهج التاريخ الإسلامي التي تناولت سيرة الرسول ﷺ في مراحل التعليم قبل الجامعي؟ قام الباحث بتقويم مُحتوى منهج التاريخ الإسلامي للصف الرابع الابتدائي «تاريخ سيرة الرسول ﷺ»، ومنهج التاريخ الإسلامي للصف الأول المتوسط «السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين»: الباب الأول «العهد النبوي في مكة»، والباب الثاني «العهد النبوي في المدينة»، ومنهج التاريخ الإسلامي للصف الأول الثانوي «تاريخ الأنبياء والسيرة النبوية وانتشار الإسلام»: الباب الثاني «السيرة النبوية»؛ للوقوف على الواقع الحالي في ضوء القائمة التي تمّ التوصل إليها، وقد استخدم الباحث أسلوب تحليل المُحتوى<sup>(١)</sup> وَفَقَ الحُطُوات التالية:

١- تحديد فئات التحليل: تمّ اتخاذ جوانب رحمة النبي ﷺ التي جاءت بالصورة النهائية - والتي بلغت ستة عشر جانباً- فئات للتحليل والوصف الموضوعي لمُضمون مُحتوى مناهج التاريخ الإسلامي المدرسيّة.

٢- تحديد وحدات التحليل: اتَّخَذَ الباحث من الفقرة وَحْدَةً لتحليل المُحتوى؛ لملائمتها لطبيعة الدراسة، فالفقرة ليست صغيرة كالكلمة، ولا كبيرة

---

(١) رشدي طعيمة: تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخدامه، القاهرة:

دار الفكر العربي، ١٩٨٧.

كالموضوع، ولأن الفقرة تُمثِّل وَحْدَةً ذات معنى يمكن أن تتضمن مظهرًا من مظاهر رحمته ﷺ بشكل صريح أو ضمني.

٣- أداة التحليل: قام الباحث بتصميم الأداة بحيث تتضمن قائمة جوانب رحمته ﷺ كفئات للتحليل بشكل رأسي في يمين الاستمارة، بينما وضعتُ الوحدات والموضوعات التي يتضمنها المحتوى بشكل أفقي أعلى الصفحة (ملحق ٣).

٤- قواعد وأسس التحليل: قراءة المحتوى قراءة متأنية؛ لتحديد جوانب الرحمة في كل فقرة إن وُجدت - صراحةً أو ضمناً - ورصد تكرارها في استمارة التحليل، وقام بإعادة التحليل بعد شهر تقريباً من التحليل الأول، ورصد النتائج بنفس الطريقة.

٥- ثبات التحليل: استخدم الباحث مُعادلة كوبر؛ لحساب نسبة الاتفاق، وهي على النحو التالي:

عدد مرّات الاتفاق

معامل الثبات =  $\frac{\text{عدد مرّات الاتفاق}}{100 \times \text{عدد مرّات الاختلاف}}$

عدد مرّات الاختلاف + عدد مرّات الاتفاق

وقد بلغ معامل الثبات ٩٠.٨٩، وهو معامل مرتفع.

٦ - نتائج التحليل: كشف تحليل مُحتوى الكُتُب المقرّرة، والتي تناولت

السيرة النبويّة عن النتائج كما يُوضّحها جدول (١):

جدول (١) نتائج تحليل مُحتوى المناهج المدرسيّة للتاريخ الإسلامي في

ضوء جوانب رحمة النبي ﷺ:

جوانب رحمة النبي ﷺ		الرابع الابتدائي		الأول المتوسط		الأول الثانوي	
		تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
١	رحمته ﷺ بأصحابه	١	١.٢٠	٢	٠.٨٩	١	٠.٩٦
٢	رحمته ﷺ بالأطفال	-	-	-	-	-	-
٣	رحمته ﷺ بالبنات	-	-	-	-	-	-
٤	رحمته ﷺ بالأيتام	-	-	-	-	-	-
٥	رحمته ﷺ بالفقراء	١	١.٢٠	-	-	١	٠.٩٦
٦	رحمته ﷺ بالعبيد والخدم	-	-	-	-	٢	١.٩٢
٧	رحمته ﷺ بذوي الاحتياجات	-	-	-	-	-	-
٨	رحمته ﷺ بالمُسْنِين	-	-	-	-	-	-
٩	رحمته ﷺ بالأموال	-	-	-	-	-	-
١٠	رحمته ﷺ بالأمة	-	-	-	-	-	-
١١	رحمته ﷺ بأهل الذمّة	-	-	-	-	-	-
١٢	رحمته ﷺ بالمُنافقين	-	-	-	-	-	-

جوانب رحمة النبي ﷺ		الرابع الابتدائي		الأول المتوسط		الأول الثانوي	
		تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
١٣	رحمته ﷺ بالكفار والمشركين	٤	٤.٨١	٨	٣.٥٧	٥	٤.٨
١٤	رحمته ﷺ بالأسرى	-	-	١	٠.٤٤	-	-
١٥	رحمته ﷺ بقتلى العدو	-	-	-	-	-	-
١٦	رحمته ﷺ بالنبات والجماد	-	-	-	-	-	-
المجموع		٦	٧.٢٢	١١	٤.٩١	٩	٨.٦٥

أولا - محتوى منهج التاريخ الإسلامي للصف الرابع الابتدائي «تاريخ سيرة الرسول ﷺ»:

- عدد الفقرات الكلي في الكتاب ٨٣ فقرة.
- عدد الفقرات التي انطبقت على المعيار والتي تشير بشكل صريح أو ضمني إلى رحمة النبي ﷺ بلغت ٦ فقرات، وبذلك تكون نسبة الفقرات التي انطبقت عليها وحدات المعيار إلى العدد الكلي لفقرات الكتاب ٧.٢٢٪.
- ورد بالمحتوى إشارات سريعة لبعض جوانب رحمة النبي، والمتعلقة برحمته ﷺ بالكفار والمشركين (٤ فقرات)، ورحمته ﷺ بأصحابه (فقرة واحدة)، ورحمته ﷺ بالفُقراء (فقرة واحدة).

- لم يُشر المحتَوَى نهائياً إلى رحمته ﷺ بالأطفال، البنات، الأيتام، العبيد والخدم، ذوي الاحتياجات الخاصة، المسنين، الأموات، الأمة، أهل الذمة، المنافقين، الأسرى، قتلى العدو، النبات والجماد، وهو ما يُحدُّ من قدرته على تجسيد رحمة النبي ﷺ، وعليه يتم رفض الفرض الأوّل جزئياً والذي ينصُّ على أن «محتوى منهج التاريخ الإسلامي للصفّ الرابع الابتدائي يُجسّد رحمة النبي ﷺ».

ثانياً - مُحتَوَى منهج التاريخ الإسلامي للصفّ الأوّل المتوسط «السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين»: الباب الأوّل «العهد النبوي في مكة»، والباب الثاني «العهد النبوي في المدينة».

- عدد الفقرات الكلّي في الباب الأوّل والثاني ٢٢٤ فقرة.
- عدد الفقرات التي انطبقت على المعيار، والتي تُشير بشكل صريح أو ضمني إلى رحمة النبي ﷺ بلغت ١١ فقرة، وبذلك تكون نسبة الفقرات التي انطبقت عليها وحدات المعيار إلى العدد الكلّي لفقرات الكتاب ٤.٩١٪.

- ورد بالمُحتَوَى إشاراتٌ سريعةٌ لبعض جوانب رحمة النبي ﷺ والمتعلقة برحمته ﷺ بالكُفّار والمُشركين (٨ فقرات)، ورحمته ﷺ

بأصحابه (فقرتين)، ورحمته ﷺ بالأُسرى (فقرة واحدة).

- لم يُشر المحتوى نهائياً إلى رحمته ﷺ بالأطفال، البنات، الأيتام، الفقراء، العبيد والخدم، ذوي الاحتياجات الخاصة، المسنين، الأموات، الأمة، أهل الذمة، المنافقين، قتلى العدو، النبات والجماد، وهو ما يُحدُّ من قدرته على تجسيد رحمة النبي ﷺ، وعليه يَتِمُّ رفض الفرض الثاني جزئياً، والذي ينصُّ على أن «مُحتوى منهج التاريخ الإسلاميَّ للصفِّ الأول المتوسط يُجسِّد رحمة النبي ﷺ».

ثالثاً - مُحتوى منهج التاريخ الإسلامي للصفِّ الأوَّل الثانويّ «تاريخ

الأنبياء والسيرة النبوية وانتشار الإسلام»: الباب الثاني «السيرة النبوية».

- عدد الفقرات الكُلِّيُّ في الباب الثاني ١٠٤ فقرة.
- عدد الفقرات التي انطبقت على المعيار والتي تشير بشكل صريح أو ضمنيٍّ إلى رحمة النبي ﷺ بلغت ٩ فقرات، وبذلك تكون نسبة الفقرات التي انطبقت عليها وحدات المعيار إلى العدد الكُلِّيِّ لفقرات الكتاب ٨.٦٥٪.

- وَرَدَ بالمُحتوى إشاراتٌ سريعةٌ لبعض جوانب رحمة النبي والمتعلقة برحمته ﷺ بالكفار والمُشركين (٥ فقرات)، ورحمته بالعبيد والخدم



(٢) ورحمته ﷺ بأصحابه (فقرة واحدة)، ورحمته ﷺ بالفقراء (فقرة واحدة).

- لم يُشر المحتوى نهائياً إلى رحمته ﷺ بالأطفال، البنات، الأيتام، الأسرى، العبيد والخدم، ذوي الاحتياجات الخاصة، المسنين، الأموات، الأمة، أهل الذمة، المنافقين، قتلى العدو، البنات والجماد، وهو ما يُحد من قدرته على تجسيد رحمة النبي ﷺ، وعليه يَتِم رفض الفرض الثالث جزئياً والذي ينصُّ على أن «مُحتوى مناهج التاريخ الإسلامي للصف الأول الثانوي يُجسِّد رحمة النبي ﷺ».

تعليقٌ عامٌ:

كشف تحليل مُحتوى مناهج التاريخ الإسلامي - موضع الدراسة - عن قصور واضح في تجسيد جوانب رحمة النبي ﷺ تمثّل في غياب مُعظم الجوانب تماماً، وورود بعضها بتكرارات قليلة جداً.

ثالثاً - التصرُّو المقترح لتضمين جوانب الرحمة النبويّة في مُحتوى مناهج

التاريخ الإسلامي:

في ضوء الإطار النظريّ للبحث والبحوث، والدراسات السابقة، والقائمة الخاصّة بجوانب رحمة النبي ﷺ التي ينبغي تضمينها في مناهج التاريخ

الإسلامي، ومراعاة الضوابط الخاصة بطبيعة المرحلة العمرية للمتعلمين في كل مرحلة من حيث المدى والتتابع، تم بناء التصور المقترح لتضمين جوانب الرحمة النبوية في محتوَى مناهج التاريخ الإسلامي.

وقد استضاءت الدراسة بكتاب الله ﷻ وكتب السنة الصحيحة، والمراجع الأساسية في التاريخ، وأهمها سيرة ابن إسحق<sup>(١)</sup>، وسيرة ابن هشام<sup>(٢)</sup>، وتاريخ الأمم والملوك للطبري<sup>(٣)</sup>، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد<sup>(٤)</sup>، والكامل لابن الأثير<sup>(٥)</sup>، والبداية والنهاية لابن كثير<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن إسحق (أبو بكر محمد بن إسحق بن يسار بن خيار المدني القرشي) (٨٥-١٥١ هـ): سيرة رسول الله، شبكة مشكاة الإسلامية.

<http://www.almeshkat.net/books/open.php?book=1147&cat=44>

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق.

(٣) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) (ت ٣١٠ هـ): تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف.

(٤) ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري) (١٦٨-٢٣٠ هـ): الطبقات الكبرى، ٨ أجزاء، بيروت: دار صادر، د - ط - ت.

(٥) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري): الكامل في التاريخ، موقع نداء الإيمان <http://www.al-eman.com/IslamLib>

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية. موقع نداء الإيمان <http://www.al-eman.com/IslamLib>

وكذا كُتِبَ المؤرخين المُحدثين، ومن أبرزهم محمد الخضري<sup>(١)</sup> محمود شيت خطاب<sup>(٢)</sup>، والشيخ محمد الغزالي<sup>(٣)</sup>، والدكتور محمد الطيب النجار<sup>(٤)</sup>، والدكتور عبد الصبور مرزوق<sup>(٥)</sup>.

ومن المعروف أن المُستشرقين الغربيين قد تناولوا حياة الرسول ﷺ فيما تناولوه من الأبحاث عن التاريخ الإسلامي، ولكن روح التعصّب والتحامل كانت تطفئ على مُعظم كتاباتهم، كما أن هناك فئة تميّزت بالاعتدال والإنصاف وعدم التعصّب، وقد أفاد البحث من جهود الدكتور جمال عبد الهادي<sup>(٦)</sup> والدكتور عبد العظيم الديب<sup>(٧)</sup> في الكشف عن هذه الكتابات وتمييزها، ورأى

(١) محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، موقع صيد الفوائد.

<http://www.saaaid.net/book>

(٢) محمود شيت خطاب: الرسول القائد، بيروت: دار الفكر، الطبعة السادسة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

(٣) محمد الغزالي، فقه السيرة.

(٤) محمد الطيب النجار، مرجع سابق.

(٥) عبد الصبور مرزوق، السيرة النبوية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

(٦) جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت جمعة: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ - منهج كتابة التاريخ لماذا وكيف، المنصورة: دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

(٧) عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة =

الباحث الاستشهاد ببعض أقوال المنصفين في منهج المرحلة الثانوية؛ يُدرك الطلاب أن المنصفين من مُفكّري الغرب قد ذكروا للنبي ﷺ مناقبه، بل وأشادوا بها.

وقد جاء التصوّر المُقترح على النحو التالي:

أولاً: هدف التصوّر المُقترح:

يهدف التصوّر المُقترح إلى تفعيل دور مناهج التاريخ الإسلامي في مراحل التعليم العام في تجسيد رحمة النبي ﷺ.

ثانياً: مُحتوى التصوّر المُقترح:

وذلك من خلال عرض المُحتوى الدراسي لكل منهج، وبيان البنود التي تُجسّد جوانب رحمة النبي ﷺ، والبُعد الذي ينتمي إليه كل بند، وذلك على النحو التالي:

جدول (٢) البنود التي تعكس أبعاد رحمة النبي ﷺ

في محتوي منهج التاريخ للصف الرابع الابتدائي «تاريخ سيرة الرسول ﷺ»

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
سيرة الرسول ﷺ قبل البعثة مولد النبي ﷺ ونشأته، حياته ﷺ في شبابه، نبوة محمد ﷺ ورسالته.	- ترغيبه ﷺ في كفالة اليتيم: عن سهل بن سعد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ يَعْني السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأيتام.
	- زيارة الرسول ﷺ لقبر أمه <sup>(٢)</sup> في عام الحديبية (٦هـ)، وتأثره، وكان عمره يومها نحو الستين.	- رحمته ﷺ بالأموال.
	- حفظه ﷺ لأمانات قومه.	- رحمته ﷺ بالكُفَّار
	- مشاركته ﷺ في حلف الفضول <sup>(٣)</sup> لنصرة المظلوم.	والمُشركين.

(١) صحيح البخاري ٥/٢٠٣٢، ح ٤٩٩٨، وأبو داود ٤/٣٣٨، ح ٥١٥٠.

(٢) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٧١، ح ٩٧٦ «عن أبي هريرة قال ثم زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله...».

(٣) سنن البيهقي الكبرى، ج ٦، ص ٣٦٧، ح ١٢٨٥٩.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	- حلُّ الخلاف حول وضع الحجر الأسود <sup>(١)</sup> عند إعادة بناء الكعبة.	
سيرة الرسول ﷺ بعد البعثة	- مواساته ﷺ لأصحابه حال التعذيب الذي تعرضوا له.	- رحمته ﷺ بأصحابه.
نشر الدعوة سرًّا وجهراً، هجرة المسلمين إلى الحبشة، حصار النبي ﷺ في الشعب.	- الإذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة.	
أبرز الأحداث بعد البعثة	- رحلة المعراج وفرض الصلاة، ورجوع النبي ﷺ لربّه عدّة مرّات يسأله التخفيف <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأمّة.
الإسراء والمعراج، بيعتا العقبة، هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.	- مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار.	- رحمته ﷺ بأصحابه.
أشهر غزوات النبي ﷺ	- حرصه ﷺ على السلام وحقن الدماء قبل غزوة بدر، وحرص	- رحمته ﷺ بالكفار والمشرّكين.
غزوة بدر، غزوة أحد		

(١) الأحاديث المختارة، ج ٢، ص ٦٣، ح ٤٣٩.

(٢) أنظر حديث أبي ذر في صحيح البخاري ج ٣، ص ١٢١٧، ح ٣١٦٤.

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
غزوة الخندق، فتح مكة.	أبو جهل على سفك الدماء.	
	- إطلاق سراح الأسرى مقابل تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، وقوله ﷺ لأصحابه «اسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا» <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأسرى.
	- يوم أحد يدعو ﷺ للكفار والمشركين رغم أنه جرح وكسرت ربايعته: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالكفار والمشركين.
	- عفوه ﷺ عن قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد <sup>(٣)</sup> .	- رحمته ﷺ بالكفار والمشركين.
	- زيارته ﷺ لقبور شهداء أحد <sup>(٤)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأموات.
	- يوم فتح مكة يعفو ﷺ عن من	- رحمته ﷺ بالكفار

(١) ابن كثير: (إسماعيل بن عمر): البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، د. ت. ٣ / ٣٠٧.

(٢) صحيح ابن حبان، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ١٤٩٤، ح ٣٨٤٤، حيث جعفر بن عمرو بن أمية.

(٤) صحيح البخاري، في المغازي ٢٧، ومسلم في الفضائل ٣٠.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	آذوه وأخرجوه وحاربوا دعوته.	والمُشركين
خاتمة السيرة النبوية صفات النبي ﷺ	- توبيخه ﷺ للغلاظ مع الأطفال <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأطفال.
الجسميّة والخلقيّة، حجّة الوداع، وفاة النبي ﷺ	- ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، أَحَدُهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْآخَرُ عَنْهُ وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِهِ <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأمّة.

\*\*\*

(١) صحيح البخاري، باب رحمة الولد وتقيله، ح ٥٥٣٨.

(٢) صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٥٥٧، ح ١٩٦٧.



جدول (٣) البنود التي تعكس أبعاد رحمة النبي ﷺ

في محتوى منهج التاريخ للصف الأول المتوسط «السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين»

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
الفترة الأولى من العهد النبوي في مكة بدء الوحي والدعوة السَّريَّة - الدعوة الجهرية - الهجرة إلى الحبشة.	- مواساته لأصحابه فيما لا قوه من تعذيب واضطهادٍ على أيدي عتاة الكفر في مكة آنذاك. - الإذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة؛ فرارًا بدينهم من الاضطهاد والتعذيب.	- رحمته ﷺ بأصحابه.
الفترة الثانية من العهد النبوي في مكة حصار الشَّعب - موت أبي طالب وخديجة - خروجه ﷺ إلى الطائف -	- بعد رحلته ﷺ إلى الطائف وما لاقاه فيها لم يدع ﷺ عليهم وإنما قال: «... بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بالكُفَّار والمُشركين.
الإسراء والمعراج	- في رحلة الإسراء والمعراج عندما فرضت الصلاة ظلَّ يسأل رَبُّهُ التَّخْفِيفَ لَأُمَّتِهِ حتَّى	- رحمته ﷺ بأُمَّته

(١) متفق عليه.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	صارت خمس صلوات في اليوم والليله <sup>(١)</sup> .	
الفترة الأخيرة من العهد النبوي في مكة	- ترك ﷺ علي بن أبي طالب في مكة؛ كي يرد الأمانات إلى أهلها.	- رحمته ﷺ بالكفار والمشركين
بيعتا العقبة - هجرة المسلمين إلى المدينة - هجرة الرسول إلى المدينة	- حديثه ﷺ إلى أبو بكر الصديق في غار ثور «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا، لَا تَحْزَنَنَّ اللَّهُ مَعَنَا».	- رحمته ﷺ بأصحابه.

\*\*\*

(١) الهيثمي (علي بن أبي بكر) (ت ٨٧٠ هـ): مجمع الزوائد، القاهرة، بيروت: دار الريان

للتراث، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ، ج ٦، ص ٢٨٠.

تابع جدول (٣) البنود التي تعكس أبعاد رحمة النبي ﷺ

في محتوى منهج التاريخ للصف الأول المتوسط «السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين»

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
الفترة الأولى من العهد النبوي في المدينة وصول النبي ﷺ إلى المدينة - أعمال النبي في المدينة «بناء مسجده وحُجرات سكنه، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، المعاهدة مع اليهود».	- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. - شراء المربد من الغلامين اليتمين <sup>(١)</sup> . - نهيه ﷺ عن قتل الذمي «حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ» <sup>(٢)</sup> . - نهيه ﷺ عن قذف الدُّمِيِّ <sup>(٣)</sup> .	- رحمته ﷺ بأصحابه. - رحمته ﷺ باليتيم. - رحمته ﷺ بأهل الذِّمَّة
تابع الفترة الأولى من العهد النبوي في المدينة	- نهيه ﷺ عن ظلم الذمي المؤدي الجزية المقر بذلته <sup>(٤)</sup> .	- رحمته ﷺ بأهل الذِّمَّة

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٤٢١، ح ٣٦٩٤، حديث عروة بن الزبير.

(٢) صحيح البخاري، ح ٦٤٠٣.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ١٥/ ٤٣٤، والطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم):

مسند الشاميين، بيروت: مؤسسة الرسالة، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، الطبعة الأولى،

١٤٠٥ - ١٩٨٤، ٩/ ٣١٦.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، شبكة مشكاة الإسلامية، ١٤٢٦ هـ، ١١/ ٣٣٩.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
وصول النبي ﷺ إلى المدينة - أعمال النبي ﷺ في المدينة «بناء مسجده وحجرات سكنه، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، المعاهدة مع اليهود».	- زيارة النبي ﷺ لـ غلامٍ يهوديٍّ كان يخدمه عندما علم بمرضه، ودعوته إلى الإسلام، وإسلامه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة «حديث أنس ﷺ» <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بأهل الذمّة.
	- احتضانه ﷺ للجذع الذي كان يخطب عليه عندما حنَّ إليه بعد أن تركه النبي ﷺ للمنبر «حديث جابر بن عبد الله ﷺ» <sup>(٢)</sup> ، وحديث أنس ﷺ <sup>(٣)</sup> ، وحديث أبي بن كعب ﷺ <sup>(٤)</sup> .	- رحمته ﷺ بالنبات والجماد

(١) مسند أحمد ٣/ ١٧٥، ح ١٢٨١٥ وأبي داود ٣/ ١٨٥، ح ٣٠٩٥، وصححه الألباني: صحيح

وضعيف سنن أبي داود.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٣١٣، ح ٣٣٩٠.

(٣) رواه أحمد ١/ ٢٦٦، ح ٢٤٠٠.

(٤) رواه أحمد ٥/ ١٣٧، ح ٢١٢٨٢، ابن ماجه ١/ ٤٥٤، ح ١٤١٤، الألباني: صحيح وضعيف

سنن ابن ماجه.

المحتوى الدراسي	البندود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
المرحلة الأولى من جهاد النبي ﷺ مشروعية الجهاد وأهدافه، السرايا، غزوة بدر الكبرى غزوة أحد، غزوة الأحزاب	- في السرايا: مُراعاه مشاعر الضعفاء من أصحابه «لولا أن أشقَّ على أمتي ما تخلَّفتُ عن سريَّة، ولكن لا أجِدُ حُمولةً، ولا أجدُ ما أحملهم عليه، ويشقُّ عليَّ أن يتخلَّفوا عَنِّي، ولَوَدِدْتُ أني قاتلتُ في سبيلِ الله فقتلتُ ثم أُحييت، ثمَّ قتلتُ، ثمَّ أُحييت» <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بأصحابه.
	- نهيه ﷺ عن التمثيل بجثث القتلى، أو الغدر، أو قتل الوليد... في الجهاد «حديث صفوان بن عَسَّال» <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالكفار والمشركين.

(١) صحيح البخاري ٣/١٠٨٥، ح ٢٨١٠.

(٢) رواه ابن ماجه ٢٨٥٧، والطبراني في المعجم الكبير، ٨/٧٠، وصححه الألباني في صحيح  
وضيعف سنن ابن ماجه (الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني) (٢٧٥هـ)  
تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى  
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٤٠٨، ح ٢٩٠٨.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	<p>- سَرِيَّة علي بن أبي طالب إلى طيء</p> <p>٩ هـ: كُسوة ونَفقة لسفانة ابنة حاتم الطائي إكرامًا لأبيها الذي كان يُحِبُّ مكارم الأخلاق<sup>(١)</sup>.</p>	<p>- رحمته ﷺ بالأُسرى.</p>
<p>تابع المرحلة الأولى من</p> <p>جهاد النبي ﷺ</p> <p>مشروعية الجهاد وأهدافه، السرايا، غزوة بدر الكبرى</p>	<p>- يوم بدر: يتبادل ﷺ الركوب والسير على قدميه على قدم المساواة مع أصحابه «حديث عبدالله بن مسعود ﷺ»<sup>(٢)</sup>.</p>	<p>- رحمته ﷺ بأصحابه</p>
<p>غزوة أحد، غزوة الأحزاب</p>	<p>- يوم بدر إكرامه ﷺ لمن أسدى للمسلمين فضل ولو كان مُشركًا يقول ﷺ لأصحابه: «من لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله».</p>	<p>- رحمته ﷺ بالكفار والمُشركين</p>

(١) ممدوح إبراهيم الطنطاوي: أخلاقيات الحرب في الإسلام، مجلة الجندي المسلم: العسكرية

الإسلامية العدد ١١٢.

(٢) ابن هشام، ٣٨٩/٢، وحسنه الألباني في: محمد الغزالي: فقه السيرة، تحقيق العلامة المحدث

محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم دمشق، الطبعة السابعة ١٩٩٨، ص ١٦٧.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	- نزول الرسول يوم بدر على رأى أبو بكر بقبول الفداء في الأسرى، وتوصية أصحابه ﷺ بهم <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأسرى.
	- إطلاق سراح عائل البنات من أسرى بدر «أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي» <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالبنات.
	- مواراة جيف قتلى العدو في بدر <sup>(٣)</sup> .	- رحمته ﷺ لقتلى العدو.
	- عفوهُ عن سُفهاء الخصوم من ذوي العاهات يوم أحد <sup>(٤)</sup> .	- رحمته ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصّة.
	- تكريمه ﷺ لعبد الله بن أم مكتوم، وجعله على المدينة عند	

(١) ابن هشام ١/٦٤٤، فتح الباري ٦/١٤٤.

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٦/٣٢٠، ح ١٢٦١٨، حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) البخاري ٧/٢٣٤.

(٤) ابن كثير: السيرة النبوية، ج ٢/٣٤٧.

المحتوى الدراسي	البفود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	خروجه ﷺ في الغزوات (حديث أنس) <sup>(١)</sup> .	
	- سآحه ﷺ لعمر بن الجموح، وكان المبتلى في رجله بأن يخرج مُجاهداً يوم أُحُدٍ حتى نال الشهادة <sup>(٢)</sup> .	
	- رحمته بأصحابه بعد أحداث غزوة أُحُدٍ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> .	- رحمته ﷺ بأصحابه.

(١) رواه أحمد، ح ١٣٠٢٣، وصححه الألباني (محمد ناصر الدين) في: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٨ مجلدات)، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ /

١٩٨٥ م، ح ٥٣٠.

(٢) ابن هشام ٢ / ٩٠.

(٣) آل عمران: آية ١٥٩.



المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	- تعفّفه ﷺ عن قبول المال مُقابل تسليم جُثّة نوفل بن عبد الله يوم الأحزاب، وتسليمها لهم بلا مُقابل <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بقتلى العدو.
المرحلة الثانية من جهاد النبي ﷺ صلح الحديبية، فتح مكة، غزوة حنين، وحصار الطائف.	- عام الحديبية (٦هـ) يبكي ﷺ بحرقة عند قبر أمّه آمنه بنت وهب <sup>(٢)</sup> . - يوم حنين ٨هـ عفوّه عن الأسرى من النساء والأطفال، ونهيه عن قتل الدُرّة.	- رحمته ﷺ بالأموال. - رحمته ﷺ بالأطفال.
	- نماذج من تعليق المُستشرقين على موقف الرسول ﷺ من خصومه وأعدائه يوم فتح مكة <sup>(٣)</sup> .	- رحمته ﷺ بالكفار والمُشركين.

(١) علي بن برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ٢/٦٢٨.

(٢) حسين محمد يوسف: سيد الدعاة - ﷺ، القاهرة: دار الإنسان، ١٩٧٩، ص ٤٤.

(٣) مولانا محمد علي: حياة محمد وسيرته، ترجمة: منير البعلبكي، بيروت: دار العلم =

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	- رفقہ ﷺ بأبي قحافه وتوقيره له عندما جاءه مُعلنًا إسلامه بعد فتح مكة <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بالمُسْتَنِينَ.
	- مواساته لأبناء جعفر بن أبي طالب بعد استشهادہ في معركة مؤتة.	- رحمته ﷺ بالأيتام.
المرحلة الثالثة من جهاد النبي ﷺ	- في غزوة تبوك دفنه للموتى بنفسه الصحابي عبد الله ذا البجادين المزي مثالا <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالموتى.
غزوة تبوك ٩هـ، وفود القبائل والإعلان عن إسلامها، المسلمون واليهود	- أسرى بني قريظة «لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح.. قيلوهم حتى يبرُدوا».	- رحمته ﷺ بالأسرى من أهل الذمة.

=للملايين، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ٢٦٩، وجان باغوت غلوب: الفتوحات العالمية

الكبرى، د.ط، ص ١٥٦، بشرى زخاري ميخائيل: محمد رسول الله هكذا بشرت به

الأنجيل، القاهرة: عالم الكتب، ط ٢، ص ٥٠.

(١) ابن كثير: السيرة النبوية ٣/ ٥٥٨.

(٢) شعب الإيمان ١/ ٤١٧، ح ٥٨٣، حديث الأدرع الأسلمي.

المحتوى الدراسي	البندود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	- بعد فتح خيبر: قصة الشاة المسمومة <sup>(١)</sup> .	- رحمة النبي ﷺ بأهل الذمة.
	- فتح خيبر «... إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ» <sup>(٢)</sup> .	
الفترة الأخيرة من العهد النبوي في المدينة حجة الوداع، وفاته ﷺ	- «... لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلِمَا اسْتَطَعْتُمْ» <sup>(٣)</sup> ، وفي حَجَّة الوداع «.. افْعَلْ وَلَا حَرَجَ» <sup>(٤)</sup> .	- رحمة النبي ﷺ بالأمة.
	- حديث النبي ﷺ لفاطمة في مرض الموت <sup>(٥)</sup> .	- رحمة النبي ﷺ ببناته.
	- وصيته ﷺ بالعبيد والإماء في مرضه الأخير «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ،	رحمته ﷺ بالعبيد والخدم.

(١) ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ٦٢.

(٢) رواه أبي داود ٣/ ١٧٠، ح ٣٠٥٠، وحسنه الألباني.

(٣) ابن حجر ١٣/ ٢٦٠، ومسلم ٢/ ٩٧٥، ح ١٣٣٧.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ <sup>(١)</sup> .	

\*\*\*

(١) أبو داود ٧٦١/٢، ح ٥١٥٦، الألباني (محمد ناصر الدين) في: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، بيروت: المكتب الإسلامي، د. ت.

جدول (٤)

البُنىود اللى عكس أبعاد رحمة النبي ﷺ فى مَحتوى منهج التاريخ للصف الأول الثانوى  
«تاريخ الأنبياء والسيرة النبوية وانتشار الإسلام»

المحتوى الدراسي	البُنىود اللى عكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
سيرة رسول الله ﷺ قبل البعثة	- أقوال المُستشرقين فى رحمة ﷺ بالأيتام <sup>(١)</sup> .	- رحمة ﷺ باليتيم.
نشأته ﷺ، موقفه ﷺ من الأصنام، حلف الفضول، إعادة بناء الكعبة، تعبده ﷺ فى الغار، نزول الوحي.	- مشاركته ﷺ فى حلف الفضول <sup>(٢)</sup> . - حلُّ النزاع الذى نشب بين زعماء القبائل عند إعادة بناء الكعبة على وضع الحجر الأسود فى مكانه.	- رحمة ﷺ بالكفار والمُشركين.

- (١) محمد شريف الشيباني، الرسول فى الدراسات الاستشراقية المنصفة، د.ط. ص ١٢٠، فيليب حتى: الإسلام منهج حياة، ترجمة عمر فروخ، عدد الأجزاء: ١، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، ص ٥٤، عباس محمود العقاد: ما يقال عن الإسلام، سلسلة كتاب الهلال، العدد ١٨٩، القاهرة: دار الهلال ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م. ص ٥٤- ٥٥، لويس سديو: خلاصة تاريخ العرب العام: إشراف علي مبارك باشا، القاهرة، د.ت، ص ١١٠.
- (٢) سنن البيهقي الكبرى، ج ٦، ص ٣٦٧، ح ١٢٨٥٩.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
سيرة رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله	- النهي عن المشقة في العبادات: حديث أنس بن مالك ﷺ <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بأصحابه.
مراحل الدعوة في حياة النبي ﷺ، تبليغ النبي ﷺ للدعوة، وسائله ﷺ في الدعوة، حكمته ﷺ في الدعوة، أسلوبه ﷺ في الدعوة، الحاجة إلى الدعوة إلى الله وفضلها.	- وصيته لأبي موسى ومعاذ إلى اليمن: عن أبي بردة ﷺ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَحْتَلِفَا» <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالامة.
	- سريّة ذات السلاسل ٨هـ: عن عمرو بن العاص ﷺ قَالَ: احتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ في غزوة ذات السلاسل، فأشفقتُ إنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ، فَتَيْمَمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا	- رحمته ﷺ بأصحابه

(١) البيهقي، شعب الإيمان ٤ / ٣٨٠.

(٢) متفق عليه.

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	عَمَرُوا صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟» فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الْاِغْتِسَالِ، وَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا <sup>(١)</sup> .	
تابع سيرة رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله مراحل الدعوة في حياة	- رحمته بالفقراء وذوي الاحتياجات عبد الله بن أم مكتوم نموذجاً <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالفقراء وذوي الاحتياجات.

(١) البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي) (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي: السنن الصغرى، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ١/ ١٨٥، ح ٢٥٣.

(٢) سورة الكهف: آية ٢٨، سورة عبس: آية ١-١٠، لويس سيديو: تاريخ العرب العام، ص ١٠٣، لايتنر: دين الإسلام، ترجمة: عبدالوهاب سليم، دمشق: المكتبة السلفية، دمشق، ١٤٢٣هـ، ص ١٣٣، صحيح - صححه الألباني في تخريج كتاب فقه السيرة لمحمد الغزالي ص ٣٩٢، انظر: ابن سيد الناس: (أبي الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى) (ت ٧٣٤هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشهائل والسير، بيروت: دار الآفاق، ١٩٧٧م، ٢/ ٤٢١: ٤٢٢.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
النبي ﷺ، تبليغ النبي ﷺ للدعوة، وسائله ﷺ في الدعوة، حكمته ﷺ في الدعوة، أسلوبه ﷺ في الدعوة، الحاجة إلى الدعوة إلى الله وفضلها.	- فَرِيَّةُ سَنِّ الاسْتِرْقَاقِ <sup>(١)</sup> ، ونماذج من رحمته ﷺ بالعبيد والخدم <sup>(٢)</sup> ، وتحذيره ﷺ من إيذائهم <sup>(٣)</sup> ، وأمره ﷺ بالإحسان إليهم <sup>(٤)</sup> ، والعمل على تحريرهم <sup>(٥)</sup> وجعله كفَّارَةً ضرب العبد عتقه <sup>(٦)</sup> .	- رحمته ﷺ بالعبيد والخدم.

- (١) لايتنر: دين الإسلام، ص ٧، عرفات كامل العشي: رجال ونساء أسلموا، الكويت: دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ص ٢٣١.
- (٢) صحيح - رواه مسلم في فضائل النبي ﷺ باب حسن خلقه، رقم ٢٣١٠، رواه أبو داود، باب في حق المملوك، ح ٤٤٩٦.
- (٣) صحيح - سنن أبي داود، ح ٤٤٩٢، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني) (٢٧٥ هـ)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ٣/ ٢٦٦، ح ٥١٥٩.
- (٤) رواه أحمد، ح ١٦٥٥٠، والنسائي، ٣٨٢/ ٥، ح ٩٢٠٤، ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء) (٧٧٤هـ): التفسير بيروت: دار الفكر ١٤٠١هـ، عدد الأجزاء ٤، ج ٢/ ٢٦٤، صحيح - رواه داود ح ١٣٠٩، الألباني (محمد ناصر الدين): صحيح الترغيب والترهيب، الرياض: مكتبة المعارف - الطبعة: الخامسة، ١٣٣/ ٢، البخاري، كتاب الإيمان، ح ٣٠، مسلم، ح ١٦٦١.
- (٥) رواه الحاكم في المستدرک، ح ٦٥٤١، والطبراني في المعجم الكبير، ح ٦٠٤٠، والقصة منتشرة في كتب السيرة، في ثانيا أحداث الخندق.
- (٦) صحيح - سنن أبي داود، ح ٤٥٠٠، وصححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب، =



المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	- رحمته بالمُسَيَّنِّين: إنصاته لعتبة بن ربيعة، وتلطّفه معه <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بالمُسَيَّنِّين.
	- سعيه لفك أسر شيخ كبير «سعد بن النعمان بن أكال» <sup>(٢)</sup> .	
سيرة الرسول ﷺ في الإعداد والجهاد	- حاصروه ﷺ في الشَّعْبِ <sup>(٣)</sup> ، ويشفع لهم في الميرة، سرّية القرط، وأسر ثمامة بن أثال ثم إسلامه <sup>(٤)</sup> ومنعه الميرة عن قريش حتى شفّع لها الرسول ﷺ.	- رحمته ﷺ بالكفار والمُشْرِكِينَ.
الحُنُكَّةُ وبُعد النَّظَر، حسن الإعداد والمشورة، الثبات ورباطة الجأش رغم الأهوال، الحكمة وحسن التصرف والاختيار،	- حَفْظُ الْعُهُودِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ «قِصَّةُ تَخْلُفِ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنْ	

= ح ٢٢٧٨، البخاري: كتاب الإيمان، ح ٣٠، ومسلم، ح ١٦٦١، سنن أبي داود، ح ٤١٥٤،

وابن ماجة، ح ١٩٧٤، الألباني: مختصر الشمائل المحمدية، ص ١٨٢.

(١) ابن كثير: السيرة النبوية ١/ ٥٠٤.

(٢) محمد بن يوسف الصالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد ٤/ ٧٠.

(٣) سيرة ابن كثير ٢/ ٤٧.

(٤) البخاري، ح ٤٠٢٤، ومسلم، ح ٣٣١٠.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
الشجاعة واللياقة البدنية.	بدر، وأمر النبي ﷺ له بالوفاء بما تعهد به للأعداء والخصوم.	
	- الشورى والنزول على رأى الحُباب بن المُنذر يوم بدر <sup>(١)</sup> .	- رحمته ﷺ بأصحابه.
	- غزوة بدر: النهي عن استجلاب المعلومات بالعنف <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأُسرى.
	- أَسْرُ أبي العاص زوج زينب في غزوة بدر <sup>(٣)</sup> ، وموقف النبي ﷺ، وكذا السرية التي أصابت ماله.	- رحمته ﷺ ببناته.
سيرة رسول الله ﷺ الشخصية، وصفاته التربوية	- تعليق المُستشرقين على رحمته بعبد الله بن أبي بن سلول <sup>(٤)</sup> ، قوله	- رحمته ﷺ بالمنافقين.

(١) ابن هشام ١/ ٦٢٠.

(٢) ابن هشام ١/ ٦١٦.

(٣) الصنعاني (أبو بكر عبد الرزاق بن همام) (١٢٦-٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مصنف عبد الرزاق، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ج ٧، ص ١٢٦٤٩، ١٧١، حديث ابن شهاب.

(٤) مولانا محمد علي: حياة محمد وسيرته، ص ٢٦٩-٢٧٠.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
التقوى والعبادة، الإخلاص والاجتهاد، المداومة، التيسير، الزهد والقناعة، التواضع والكرم، العدل والرحمة والعفو، الحلم والأناة، حلاوة النطق، خُلُقُه ﷺ القرآن.	«دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»، أَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ وَقَالَ: «أَذِنِّي أُصَلِّيَ عَلَيْهِ» <sup>(١)</sup> ، «لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا».	
	- مشاورة النبي ﷺ للصحابة في قضية أسرى بدرٍ، وآراء كُلٍّ من أبي بكرٍ وعُمَرُ، وموقف القرآن الكريم كما تصوّره سورة الأنفال <sup>(٢)</sup> ، شهادة أبي العاص بن الربيع <sup>(٣)</sup> ، - النهي عن المثلّة بالأسير «لا	- رحمته بالأسرى

(١) رواه البخاري ٤٢٧/١، ح ١٢١٠.

(٢) سورة الأنفال: آية ٦٧.

(٣) الواقدي: المغازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/ ١١٩، سبل الهدى والرشاد،

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	أُمِّثْلُ بِهِ، فَيُمَثِّلُ اللَّهُ يِي، وَإِنْ كُنْتُ نَبِيًّا!! <sup>(١)</sup> .	
سيرة رسول الله ﷺ الشخصية وصفاته التربوية التقوى والعبادة، الإخلاص والاجتهاد، المداومة، التيسير، الزهد والقناعة، التواضع	- بعد معركة بني المصطلق هـ قول عائشة «..فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها» <sup>(٢)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأسرى.
والكرم، العدل والرحمة والعفو، الحلم والأناة، حلاوة النطق، خلقه ﷺ القرآن.	- يوم أُحُد يجعل جندياً من جنوده - سواد بن غزيرة - يقتص منه، وهو القائد <sup>(٣)</sup> .	- رحمته ﷺ بأصحابه.
	- عَفُوهُ ﷺ عن ثمانين أسيراً كانوا يريدون قتله في الحديبية <sup>(٤)</sup> .	- رحمته ﷺ بالأسرى.
	- «يَا عَائِشَةُ عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ» <sup>(٥)</sup> .	- رحمته ﷺ بأهل الذمة.

(١) ابن هشام ١/٦٤٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٤/١٥٩.

(٣) ابن هشام ١/٦٢٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ٢٨٣٥.

(٤) ابن القيم: زاد المعاد ٣/٩٩.

(٥) رواه البخاري ٥/٢٢٤٣، ح ٥٦٨٣.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۝﴾ <sup>(١)</sup> ، حديث عروة بن الزبير <sup>(٢)</sup> .	
	- النَّهْيُ عَنْ ظُلْمِ الْمُعَاهِدِ أَوْ انْتِقَاصِهِ، أَوْ تَكْلِيفِهِ فَوْقَ طَاقَتِهِ (حديث صفوان بن سليم) <sup>(٣)</sup> .	
	- فِرْيَةُ الْقَتْلِ الْجَمَاعِيِّ لِيَهُودِ بَنِي قَرِيطَةَ، وَالرَّدُّ عَلَيْهَا <sup>(٤)</sup> .	

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٦.

(٢) رواه البخاري ١٦٦٣/٤، ح ٤٢٩٠.

(٣) رواه أبي داود ١٧٠/٣، ح ٣٠٥٢، وصححه الألباني.

(٤) ابن القيم: زاد المعاد، ١١٧/٣، وابن سيد الناس: عيون الأثر، ٥٤/٢، وابن هشام،

٢/٢٤٠، جمعة علي الخولي: معاملة الرسول ﷺ لبني قريظة، والرد على ما يثار حولها من

شبهات، الرياض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥٧، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م،

السهيلي: الروض الأنف، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي،

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٤٢٢/٣، ابن سيد الناس ٣٨/٢،

وابن كثير: البداية والنهاية، ١٠٣/٤، محمد رجب البيومي، مجلة الحج، العدد ١٢، السنة =

المحتوى الدراسي	البنود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	- رحمة ﷺ بالبنات: حديث السيدة عائشة <sup>(١)</sup> ، حديث أبي قتادة <sup>(٢)</sup> .	- رحمة ﷺ بالأطفال.
سيرة رسول الله ﷺ الشخصية وصفاته التربوية التقوى والعبادة،	- أقوال بعض المستشرقين في رحمة ﷺ بالأطفال <sup>(٣)</sup> ، حديث أنس بن مالك <sup>(٤)</sup> ، وبريدة <sup>(٥)</sup> ،	- رحمة ﷺ بالأطفال

= ١٩٨٨م، محمود شيت خطاب: الرسول القائد، بيروت: دار الفكر، الطبعة السادسة،

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ٢٥٩.

(١) البخاري، ح ٥٥٣٦.

(٢) البخاري، ح ٥٥٣٧.

(٣) لويس سيديو: تاريخ العرب العام، ص ١١٠: ١١١، جاك ريسلر: الحضارة العربية، ترجمة:

خليل أحمد خليل، عويدات للطباعة والنشر، د.ت، ص ٥٣.

(٤) مسلم، ح ٤٢٨٠، البخاري، ح ٦٦٧.

(٥) الترمذي ٥/ ٦٥٨، ح ٣٧٧٤، وأبو داود، ١/ ٢٩٠، ح ١١٠٩، والنسائي، ٣/ ١٠٨،

ح ١٤١٣.

وصححه الألباني في مشكاة المصابيح للتبريزي (محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي)،

تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ثلاثة أجزاء، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة،

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ح ٦١٥٩.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
الإخلاص والاجتهاد، المدامومة، التيسير، الزهد والقناعة، التواضع والكرم، العدل والرحمة والعفو، الحلم والأناة، حلاوة النطق، خُلُقُه ﷺ القرآن.	وأبي قتادة <sup>(١)</sup> ، وأبو هريرة <sup>(٢)</sup> . - حُزْنُه ﷺ إذا فاتته جنازة، وصلاته عليها <sup>(٣)</sup> . - توقيره ﷺ للجناز والقبور، وتأثره بمن يُعَذَّب في قبره <sup>(٤)</sup> . - نهيه ﷺ عن الجلوس على القبر <sup>(٥)</sup> . - نهيه ﷺ عن إيذاء الميت <sup>(٦)</sup> . - دعاؤه للأموات <sup>(٧)</sup> ، وحثُّ	- رحمته ﷺ بالأموات

- (١) النسائي، ح ١١٢٩، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١٤١٩هـ / ١٩٩٨، مجلد ١، ص ٢٧٢، ح ٨٢٦.
- (٢) صحيح - السلسلة الصحيحة ح ٣٣٢٥.
- (٣) البيهقي: السنن الكبرى، ٤/ ٤٨.
- (٤) ابن حجر: فتح الباري، ١/ ٣٤١.
- (٥) مسلم، ح ١٦١٢.
- (٦) أبو داود، ح ٢٧٩٢.
- (٧) مسلم، ٢/ ٦٦٢، ح ٩٣٦، النسائي ١/ ٦٤٢، ح ٢١١٠، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، مجلد ٢، ص ١٠٣، ح ٢٥٢٤.

المحتوى الدراسي	البُنىود التي تعكس رحمة النبي ﷺ	أبعاد الرحمة
	أصحابه على ذلك <sup>(١)</sup> ، وبكاؤه ﷺ <sup>(٢)</sup> .	
	— «أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ» <sup>(٣)</sup> ، .... «سَيُلْغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا» <sup>(٤)</sup> .	رحمته ﷺ بالأُمَّة.
	— «... دَعَوَتِي شَفَاعَةٌ لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ» <sup>(٥)</sup> .	
	— «... إِنَّ أَحَدًا جَبَلَ يُحِينَا وَنُجِبُهُ» <sup>(٦)</sup> .	رحمته ﷺ بالجهد

(١) حسن - حسنه الألباني في إرواء الغليل، ح ٧٣٢.

(٢) البخاري ١/٤٣٩، ح ١٢٤١، مسلم ٤/١٨٠٧، ح ٢٣١٥.

(٣) رواه أبو داود والحاكم وقال الذهبي صحيح الإسناد وصححه الألباني في: السلسلة الصحيحة، ح ٩٥٩.

(٤) مسلم ٤/٢٢١٥، ح ٢٨٨٩، الترمذي ٤/٤٧٢، ح ٢١٧٦، والنسائي ٣/٢١٦، ح ١٦٣٨ وصححه الألباني.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.



### ثالثاً - أساليب واستراتيجيات التعليم والتعلم:

هناك عِدَّة طُرُقٍ وأساليب مُستَمَدَّةٌ في مُعْظَمِهَا من القرآن والسنة النبوية المطهرة، وكثير منها مارسها الرسول ﷺ في تربية أصحابه وتعليمهم مبادئ الإسلام، وهذه الطُّرُق يُمكن أن تُسهم في تجسيد رحمة النبي ﷺ، ولعل من أشهرها:

١- أسلوب القدوة الحسنة: تُعدُّ من أهمِّ الطُّرُق المؤثرة في مجال التربية؛ ذلك لأنَّ المُعلِّم يُعدُّ المثل الأعلى في نظر المُتعلِّم، فهو يتأثر به تأثيراً عميقاً ومُباشراً في أخلاقه وسلوكه، بوعيٍ أو بدون وعيٍ؛ ولذلك كانت القدوة عاملاً مُهمّاً في إصلاح المُتعلِّم، وهى أكثر تأثيراً من الوعظ المُباشر، وهنا ينبغي على مُعلِّم التاريخ الإسلامي أن يكون قُدوةً حسنةً لطلابه.

٢- أسلوب القِصَّة: لأسلوب التعليم من خلال القِصَّة آثاراً تربويَّةً نفسيَّةً بليغة؛ ذلك لأنَّ الأسلوب القِصَصِيَّ يُشوق المُتعلِّمين ويشدُّ انتباههم، ويؤثِّر في عواطفهم ووجدانهم، ويربطهم نفسياً بالمواقف التي يُواجهونها، فيسعدوا لسعادتها، ويحزنوا لحزنها؛ ولذلك نجد أنَّ القِصَّة الصادقة إذا وضعت في قالبٍ عاطفيٍّ مؤثِّرٍ تُحرِّك الدوافع الخيرة لدى الإنسان، وتطرِّد النِّزعات الشريرة عنه، فهي تجعل المُتلقِّي - سامعاً أو قارئاً أو مُشاهداً - يتأثر بأحداثها ومواقفها، فيميل

إلى الخير ويفعله، ويمتعض من الشرّ ويجتنبه.

٣- أسلوب ضرب المثل: وهو أسلوب تربويّ يعتمد على تصوير المعاني وإبرازها في صورة رائعة مُوجزة، لها وقعها في النفس سواءً أكانت تشبيهاً أو قولاً مُرسلاً؛ ولهذا الأسلوب دورٌ مهمٌّ في التربية أبلغ أثراً وأعمق معنى من التلقين المباشر؛ لأنه يثير عواطف المُتلقي، ويُحرّك مشاعره، ويُجسّد المعاني المُجرّدة، مما يجعلها سهلة الفهم قريبة المأخذ.

٤- أسلوب الحوار: يُعدُّ أسلوب الحوار من الأساليب التربويّة المهمّة التي تعتمد على الفهم والإقناع العقليّ القائم على المنطق، وهو يستخدم السؤال والجواب بصورة سائقة تشحذ الذهن وتُقرّب المعنى، وتُشجّع المُتعلّم على المُبادأة والمنافسة البناءة، والمُشاركة المُفيدة في عمليّة التعلّم، مما يُؤدّي إلى تثبيت المعلومات، وتنمية الميول الإيجابيّة.

٥- أسلوب الموعظة الحسنة: الموعظة الحسنة هي أن تُدلّ الشخص على ما تُريد أن تُدله عليه بأدب ولُطف، دون أن تُسفه آراءه، أو تحتقر تفكيره، أو تمتهنّ كرامته، ويُعدُّ هذا الأسلوب من أهمّ أساليب التربية الإسلامية المؤثّرة في تربية المُسلم إيماناً وخلقياً وروحياً واجتماعياً؛ لما للموعظة من أثر عميق في تبصيره بحقائق الأشياء، ودفعه إلى معالي الأمور، وتحليّهِ بمكارم الأخلاق.

٦- أسلوب الإقناع العقلي: ويُقصدُ به استخدام المنطق العقلي، وتقديم الأدلة والبراهين على الدَّعوة، وعدم اللجوء إلى الجدل العقيم والمغالطة واتِّباع الهوى دون دليل.

٧- أسلوب التربية بالأحداث والمواقف: يُعدُّ هذا الأسلوب من أهمِّ أساليب التربية الإسلامية، فقد اتخذَ الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لِقَنَها للمسلمين، وكان ﷺ لا يدعُ فُرصةً أو حدثًا يَمُرُّ دون أن يجعل منه درسًا وموعظةً، ومُعَلِّم التاريخ الإسلامي يُمكن أن يتَّخذ من الأحداث الجارية والمواقف فُرصةً لبيان هديه ﷺ وتصرفه في مثلها، الأمر الذي يترك أعظم الأثر في نفوس المتعلِّمين<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً - الوسائل التعليمية ومصادر التعلُّم:

ينبغي توظيف التقنيات الحديثة في تدريس التاريخ الإسلامي، وفي مُقدِّمتها الخرائط المتحرِّكة المصحوبة بمؤثِّراتٍ صوتية، وكذا الاستفادة من شبكة المعلومات؛ لِما تُتيحُه من فُرصٍ لتدريب المتعلم على جمع المعلومات وتمحيصها، وكذا مُختلف المراجع والكتب والدوريات والمطبوعات التي تتناول

(١) عبد الله بن عقيل العقيل، التربية الإسلامية مفهومها، خصائصها، مصادرها، أصولها،

تطبيقاتها، مريوها، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ١٥٨.

سيرته ﷺ، مع مراعاة طبيعة المرحلة العمرية للمتعلمين.

#### خامسا - الأنشطة التعليمية:

يجب ألا تقتصر على الأنشطة الصفية، بل يجب التوسع في الأنشطة الالصفية باعتبارها مجالا خصبًا لتمثل الطلاب لسلوكه وخلقه ﷺ، ويجب أن تتنوع بين الأنشطة الفردية والجماعية.

#### سادسا - التقويم:

يجب أن تتنوع أساليب التقويم؛ لتشمل إلى جانب الاختبارات المقابلة والملاحظة ومقاييس القيم والقصص ذات النهايات المفتوحة<sup>(١)</sup> والسجلات المجمعة<sup>(٢)</sup>؛ وذلك لتحقيق من بلوغ الأهداف المنشودة.

\*\*\*

(١) علي أحمد الجمل، القيم ومناهج التاريخ الإسلامي، دراسة تربوية، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٥.

(٢) حلمي أحمد الوكيل، محمد أمين المفتي، أسس بناء المناهج وتنظيمها، الأردن، عمان: دار المسيرة، ط ٣، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م ص ١٨٤.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على النبي الخاتم المهدى رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد:

### توصيات البحث:

بناءً على نتائج الدراسة فإن الباحث يُوصي بالآتي:

- الاستفادة من قائمة جوانب رحمة النبي ﷺ التي يُمكن تنميتها لدى المتعلمين من خلال دراسة التاريخ الإسلامي، والتي قدّمَتها الدراسة في تطوير الكُتب المدرسية وفُق منظومة للمدى، والتابع بما يتناسب مع الحاجات الخاصّة بكل مرحلة.
- ضرورة الاهتمام بجوانب رحمة النبي ﷺ التي غابت إلى حدٍّ بعيدٍ من مُحتوى كُتب التاريخ الإسلامي المدرسية موضع الدراسة بما يضمن تعزيز أنماط السلوك الإيجابي، ومعالجة أنماط السلوك السَلبي لدى المتعلمين.
- ضرورة اهتمام مُعلّمي التاريخ بتجسيد رحمة النبي ﷺ في تناولهم

للأحداث التاريخية، وإثرائه بتقديم القدوة الحسنة من خلال تمثلهم لتلك الرحمة بجوانبها المختلفة في سلوكهم اليومي.

- تضمين دليل المعلم في المراحل المختلفة مواقف تعليمية تعلمية تُبين المداخل الطُرُق والاستراتيجيات الناجحة في تدريس التاريخ الإسلامي بما يُساعد على تجسيد رحمة النبي ﷺ.
- ضرورة تطوير أساليب التقويم الحالية بحيث تُولي العناية بمختلف جوانب الأهداف التربوية (المعرفية - الوجدانية - المهارية)، ولا تقتصر على الجوانب المعرفية.

مقترحات ببحوث أخرى:

- تطوير مناهج التاريخ الإسلامي المدرسية في ضوء متطلبات تجسيد رحمة النبي ﷺ.
- فعالية استخدام بعض استراتيجيات التدريس في تعليم التاريخ الإسلامي على تنمية خلق الرحمة لدى طلاب المرحلة الثانوية.
- برنامج مقترح لتنمية مهارات تدريس الجوانب الوجدانية في مناهج التاريخ لدى مُعلّمي التاريخ بالمرحلة المتوسطة.



- وحدة مُقترحة لتنمية الوَعْي برحمة النبي ﷺ لدى تلاميذ الصَّفّ الرابع الابتدائيّ.

\*\*\*

## قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- (١) آمال حمزة المرزوقي تحديد القيم الخُلُقِيَّة في كُتُب الدراسات الاجتماعية بالتعليم الابتدائي للبنات في المملكة العربية السعودية، دراسات تربوية ١٩٩٤ م.
- (٢) ابن الأثير: (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، بيروت / لبنان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- (٣) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري): الكامل في التاريخ، موقع نداء الإيمان <http://www.al-eman.com/IslamLib>
- (٤) ابن أبي شيبه (أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.
- (٥) ابن إسحاق (أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني القرشي) (٨٥-١٥١ هـ): سيرة رسول الله، شبكة مشكاة الإسلامية <http://www.almeshkat.net/books/open.php?book=1147&cat=44>
- (٦) ابن القيم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي): إغاثة اللهفان، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.



- (٧) ابن القيم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي): زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، بيروت - الكويت: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- (٨) ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- (٩) ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي): فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار الريان للتراث، عدد الأجزاء: ثلاثة عشر جزءاً، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- (١٠) ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري) (١٦٨ - ٢٣٠ هـ): الطبقات الكبرى، ٨ أجزاء، بيروت: دار صادر، د - ط - ت.
- (١١) ابن سيد الناس (أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى): (٧٣٤ هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، بيروت: دار الآفاق، ١٩٧٧ م.
- (١٢) ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين): مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- (١٣) ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - أبو الفداء) (٧٧٤ هـ): البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، (د. ت.).

- (١٤) ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - أبو الفداء) (٧٧٤هـ): تفسير ابن كثير، بيروت: دار الفكر ١٤٠١هـ، عدد الأجزاء ٤.
- (١٥) ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - أبو الفداء) (٧٧٤هـ): السيرة النبوية، بيروت: مكتبة المعارف، (د. ت).
- (١٦) ابن ماجه (محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر، د. ت.
- (١٧) ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد) (ت. ٢١٣هـ): سيرة ابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، عدد الأجزاء ٦، بيروت - دار الجليل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- (١٨) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، جدة: دار الشروق، ط ١٤١٠هـ.
- (١٩) أبو داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) (٢٧٥هـ): سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، د. ت.
- (٢٠) أبو عبد الرحمن سلطان علي، عبدٌ واحدٌ أنزل الله فيه {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}، موقع نبي الرحمة، <http://www.nabialrahma.com>، بدون تاريخ.
- (٢١) أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- (٢٢) أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني): معرفة الصحابة، شبكة مشكاة الإسلامية، ١٤٢٦هـ.

- (٢٣) أبو يعلى (أحمد بن علي بن المثنى الموصلية التميمي): مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
- (٢٤) أحمد بن حنبل (أبو عبد الله الشيباني): المسند، القاهرة: مؤسسة قرطبة، (د.ت.).
- (٢٥) الألباني (محمد ناصر الدين (المتوفى: ١٤٢٠هـ): إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، عدد الأجزاء: ٨، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٢٦) الألباني (محمد ناصر الدين): السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف، (د.ت.).
- (٢٧) الألباني (محمد ناصر الدين): صحيح الترغيب والترهيب، الرياض: مكتبة المعارف - الطبعة: الخامسة.
- (٢٨) الألباني (محمد ناصر الدين): صحيح وضعيف الجامع الصغير وزاداته، بيروت: المكتب الإسلامي، (د.ت.).
- (٢٩) الألباني: (محمد ناصر الدين الألباني) صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) (٢٧٥هـ)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٣٠) الألباني: (محمد ناصر الدين الألباني): صحيح وضعيف سنن أبي داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) (٢٧٥هـ)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- (٣١) الألباني (محمد ناصر الدين الألباني): صحيح وضعيف سنن النسائي (أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٣٢) الألباني (محمد ناصر الدين): مختصر الشرائع المحمدية، عمان: المكتبة الإسلامية.
- (٣٣) البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي): صحيح البخاري، بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- (٣٤) البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي): الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م. عدد الأجزاء: ١.
- (٣٥) البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي) (ت ٤٥٨ هـ): السنن الصغرى، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- (٣٦) البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى): دلائل النبوة، مكتبة مشكاة الإسلامية، ١٤٢٦ هـ.
- (٣٧) البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى): سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- (٣٨) البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى): شعب الإيمان، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- (٣٩) التبريزي (محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي): مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: ٣، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- (٤٠) الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي) الجامع الصحيح سنن الترمذي: تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت - دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: ٥.
- (٤١) الجرجاني (علي بن محمد بن علي): التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- (٤٢) الحاكم (محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري): المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- (٤٣) الحلبي (علي بن برهان الدين الحلبي): السيرة الحلبيه، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- (٤٤) الحميدي (عبد الله بن الزبير أبو بكر): مسند الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت - القاهرة: دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، (د. ت).
- (٤٥) الحنبلي (أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب) (٧٣٦-٧٩٥): التخويف من النار، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩٩هـ.
- (٤٦) السهيلي: الروض الأنف، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- (٤٧) الصنعاني: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام) (١٢٦-٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مصنف عبد الرزاق، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

(٤٨) الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم): المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ.

(٤٩) الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي ابن عبد المجيد، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

(٥٠) الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم): مسند الشاميين، بيروت: مؤسسة الرسالة، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(٥١) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف.

(٥٢) الطبري: الحافظ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): تهذيب الآثار، تحقيق محمود محمد شاكر، عدد الأجزاء: ٦، مطبعة المدني - مصورة عن الطبعة القديمة.

(٥٣) الكفوي (أبو البقاء): كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٥٤) المقدسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي) (٥٦٧هـ - ٦٤٣هـ): الأحاديث المختارة، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠هـ.

(٥٥) النسائي: (أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن) سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- (٥٦) الهيثمي (علي بن أبي بكر) (ت ٨٧٠ هـ): مجمع الزوائد، القاهرة، بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.
- (٥٧) الوافدي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي) (١٣٠-٢٠٧ هـ): المغازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٥٨) بشرى زخاري ميخائيل: محمد رسول الله هكذا بشرت به الأنجيل، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الثانية.
- (٥٩) جاك ريسلر: الحضارة العربية، ترجمة: خليل أحمد خليل، عويدات للطباعة والنشر (د.د).
- (٦٠) جان باغوت غلوب: الفتوحات العالمية الكبرى (د.ط).
- (٦١) جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت جمعة: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ - منهج كتابة التاريخ لماذا وكيف، المنصورة: دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٩٩٤ م.
- (٦٢) جمعة علي الخولي: معاملة الرسول ﷺ لبني قريظة، والرد على ما يشار حولها من شبهات، الرياض: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥٧، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٦٣) جورج حنا: قصة الإنسان، طبعة بيروت - دار الثقافة، ١٩٥٩ م.
- (٦٤) حسام الدين مازن، الحاجة إلى مناهج عصرية لمواجهة التغيرات العالمية في مطلع قرن جديد، كتاب المؤتمر السنوي الحادي عشر، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ١٩٩٩ م.

- (٦٥) حسين محمد يوسف: سيد الدعاة عليه السلام، القاهرة - دار الإنسان، ١٩٧٩ م.
- (٦٦) حلمي أحمد الوكيل، محمد أمين المفتي، أسس بناء المناهج وتنظيماتها، الأردن، عمان: دار المسيرة، ط ٣، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م.
- (٦٧) رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخدامه، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٧ م.
- (٦٨) عباس محمود العقاد: ما يقال عن الإسلام، سلسلة كتاب الهلال، العدد ١٨٩، القاهرة: دار الهلال. ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.
- (٦٩) عبد الصبور مرزوق: السيرة النبوية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ م.
- (٧٠) عبد العظيم محمود الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة (٢٧).
- (٧١) عبد الله بن عقيل العقيل، التربية الإسلامية مفهومها، خصائصها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مؤبؤها، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- (٧٢) عثمان إسماعيل الجزار، تطوير منهج التاريخ في الصّف الثاني الثانوي في ضوء بعض أهدافه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة الأزهر، ١٩٩٢ م.
- (٧٣) عرفات كامل العشي: رجال ونساء أسلموا، الكويت: دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣ م.
- (٧٤) علي أحمد الجمل، القيم ومناهج التاريخ الإسلامي، دراسة تربوية، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٥ م.



- (٧٥) فليب حتى: الإسلام منهج حياة، ترجمة عمر فروخ، عدد الاجزاء: ١، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين.
- (٧٦) لايتنر: دين الإسلام، ترجمة: عبد الوهاب سليم، دمشق: المكتبة السلفية، دمشق، ١٤٢٣هـ.
- (٧٧) لويس سديو: خلاصة تاريخ العرب العام: إشراف علي مبارك باشا، القاهرة، (د.ت).
- (٧٨) محمد الغزالي: فقه السيرة، تحقيق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم دمشق، الطبعة السابعة ١٩٩٨م.
- (٧٩) محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ٩٤٣هـ)،: سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد. مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- (٨٠) محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، موقع صيد الفوائد <http://www.saaaid.net/book>
- (٨١) محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- (٨٢) محمد رجب البيومي، مجلة الحج العدد ١٢ السنة ١٩٨٨م.
- (٨٣) محمد شريف الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، (د.ط.ت).
- (٨٤) محمد علي الخطيب: محمد رسول الله ﷺ الرحمة المهداة، البحث الفائز بالجائزة الرابعة بمسابقة موقع الألوكة: (انصر نبيك وكن داعياً)، فرع البحث العلمي. ٢٨/١١/٢٠٠٦م - ٨/١١/١٤٢٧هـ.

- (٨٥) محمد فتح الله كولن: النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، ترجمة وتحقيق: لنا عبد القدوس أبو صالح، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- (٨٦) محمد مسعد ياقوت: نبي الرحمة، جدة: دار الخراز، ٢٠٠٧م.
- (٨٧) محمود شيت خطاب: الرسول القائد، بيروت: دار الفكر، الطبعة السادسة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (٨٨) محمود عوض الله سالم، تحليل الجوانب الوجدانية المتضمنة في مادة التاريخ بالصَّفِّ الأول الثانوي العام لبنات بالملكة العربية السعودية في ضوء تصنيف كراثوהל، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، ١٩٩٠م.
- (٨٩) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- (٩٠) ممدوح إبراهيم الطنطاوي: أخلاقيات الحرب في الإسلام، مجلة الجندي المسلم: العسكرية الإسلامية العدد ١١٢.
- (٩١) مولانا محمد علي: حياة محمد وسيرته، ترجمة: منير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- (٩٢) وزارة التربية والتعليم، تاريخ سيرة الرسول ﷺ للصف الرابع الابتدائي، طبعة ١٤٢٨/١٤٢٩هـ.
- (٩٣) وزارة التربية والتعليم، السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين للصف الأول المتوسط، طبعة ١٤٢٨/١٤٢٩هـ.



(٩٤) وزارة التربية والتعليم، تاريخ الأنبياء والسيرة النبوية وانتشار الإسلام للصف

الأول الثانوي، ١٤٢٨/١٤٢٩ هـ.

(٩٥) وضحه السويدي، القيم المتضمنة بأسئلة كتاب التربية الدينية للصف السادس

الابتدائي بدولة قطر دراسة تحليلية، مجلة التربية، العدد ١٠١، السنة الحادية

والعشرون، ١٩٩٢.

(٩٦) يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة: القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة التاسعة،

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

\*\*\*

ايض



# دور جماعة أنصار السنة المحمدية في إبراز معالم الرحمة في سيرة النبي ﷺ

إعداد

د. عبد العظيم بن بدوي

نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بجمهورية مصر العربية

ابيض

## بين يدي البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعد: فهذا بحث في (دور جماعة أنصار السنة المحمدية في إبراز معالم الرحمة في دين الإسلام وسيرة نبيه ﷺ)، أقدمه لمؤتمر (نبي الرحمة محمد ﷺ)، الذي تنظمه الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

• أما المقدمة: فقد بينت فيها أهمية الاهتمام بإظهار مكارم أخلاق النبي ﷺ، ولاسيما خلق الرحمة.

• وأما المبحث الأول: فقد عرّفت فيه بالجماعة، وهو يشتمل على أربعة مطالب:

○ المطلب الأول: حال المجتمع المصري قبل نشأة الجماعة.

○ المطلب الثاني: أهداف الجماعة.

○ المطلب الثالث: نشأة مجلتي الهدى النبوي والتوحيد.

○ المطلب الرابع: دعوة مجلتي الهدى النبوي والتوحيد.

- المبحث الثاني: دعوة الجماعة إلى السنّة، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: التعريف بالسنّة.
  - المطلب الثاني: بيان أن السنّة وحيّ من الله كالقرآن.
  - المطلب الثالث: ردُّ الجماعة على منكري السنّة: وهو ثلاثة فروع:
    - الأول: ردُّ الجماعة على من زعم الاستغناء بالقرآن عن السنّة.
    - الثاني: ردُّ الجماعة على منكري الاحتجاج بأحاديث الآحاد.
    - الثالث: ردُّ الجماعة على الذين يصحّحون الأحاديث ويضعفونها بعقولهم.
- المبحث الثالث: دعوة الجماعة إلى مكارم الأخلاق، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: نماذج من كتابات الجماعة في الدعوة إلى مكارم الأخلاق.
  - المطلب الثاني: مكارم أخلاق النبي ﷺ.
  - المطلب الثالث: وجوب التّأسيّ به ﷺ في مكارم الأخلاق.
- المبحث الرابع: نبيّ الرحمة، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: مظاهر الرحمة في حياته ﷺ.





- المطلب الثاني: كيف كان ﷺ رحمة للعالمين في دينهم.
- المطلب الثالث: كيف كان ﷺ رحمة للعالمين في دنياهم.

منهجي في البحث:

- ١- الاعتماد على مجلتي الهدى النبوي والتوحيد، الجامعتين لتراث الجماعة.
- ٢- عزو الآيات القرآنية إلى سورِها وذكر أرقامها.
- ٣- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، وبيان درجتها من الصحة والضعف.
- ٤- شرح بعض الكلمات الغريبة الواردة في البحث.
- ٥- ترجمة أكثر الكتاب والتعريف بهم تعريفا موجزا.
- ٦- ختم البحث ببيان نتيجته وتوصيات الباحث.
- ٧- عمل فهرس لموضوعات البحث.

\*\*\*

## المقدِّمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١ - ٣]، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل في كتابه: ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي قال له ربه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وفطره على مكارم الأخلاق وجميل الصفات حتى يُقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَيَتَّبِعُوهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، وَزَكَاهُ بِمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ وَجَمِيلِ صِفَاتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وَخَصَّ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ خُلُقَ الرَّحْمَةِ الَّذِي جَبَلَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِن حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد شملت رحمته ﷺ القريبَ والبعيدَ، والكبيرَ والصغيرَ، والمسلمَ والكافرَ، والرجلَ والمرأةَ. وقد تجلَّتْ رحمته ﷺ في مظاهر متنوعة، وصورٍ

شَتَّى، شَاهَدَهَا مَنْ عَاصِرُهُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمَنْ كَفَرَ، ثُمَّ لَمَّا طَالَ الزَّمَانُ بِالنَّاسِ، جَهِلُوا قَدْرَهُ ﷺ، وَلَمْ يَقْرَءُوا سِيرَتَهُ، فَحَاولُوا أَنْ يَنَالُوا مِنْ قَدْرِهِ الْعَالِي، وَمَنْزِلِهِ الرَّفِيعِ، فَتَطاولُوا عَلَيْهِ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، فَتَعَيَّنَ عَلَى أَتْبَاعِهِ الَّذِينَ اقْتَفَوْا أَثَرَهُ وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ، وَعَرَفُوهُ مِنْ خِلَالِ صَحِيحِ سُنَّتِهِ، أَنْ يُظْهَرُوا لَهُؤُلَاءِ وَلِغَيْرِهِمْ شَمَائِلُهُ، وَفَضَائِلُهُ، وَمَنَاقِبُهُ، عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، وَأَنْ يَخْصُوا مِنْ ذَلِكَ خُلُقَ الرَّحْمَةِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ أَصْلًا فِي اتِّبَاعِ النَّاسِ لَهُ، وَدَخُولِهِمْ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

وَقَدْ قَامَ الْعُلَمَاءُ مِنَ السَّابِقِينَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ بِهَذَا الْوَاجِبِ، وَيُظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْمُبَارَكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، الَّذِي تُنَظِّمُهُ الْجَمْعِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ لِلسَّنَةِ وَعُلُومِهَا.

وَيَسْعَدُنِي أَنْ أَشَارَكَ فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ بِالْكِتَابَةِ فِي الْمَحَوِّرِ الثَّامِنِ وَهُوَ (دَوْرُ الْمَوْسَمَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالِدَّعْوِيَّةِ وَالْأَفْرَادِ فِي إِبْرَازِ مَعَالِمِ الرَّحْمَةِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَسِيرَةِ نَبِيِّهِ ﷺ).

وَيُشْرَفُنِي أَنْ أُمَثَلَ جَمْعِيَّةَ أَنْصَارِ السُّنَّةِ الْمَحْمُودِيَّةِ بِجُمْهُورِيَّةِ مِصْرَ الْعَرَبِيَّةِ بِهَذَا الْبَحْثِ الَّذِي أُبَيِّنُ فِيهِ دَوْرَ الْجَمْعِيَّةِ فِي نَشْرِ السُّنَّةِ الْمَحْمُودِيَّةِ، وَإِبْرَازِ مَكَارِمِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَظَاهِرِ رَحْمَتِهِ لِلْعَالَمِينَ.

وَإِنِّي لِأَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَجْزِيَ عَنَّا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ خَيْرَ مَا جَزَى

نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، وَأَنْ يُجْزِيَ عُلَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا عَلَى مَا بَذَلُوهُ لِنَشْرِ سُنَّتِهِ، وَأَنْ يُجْزِيَ  
الْجَمْعِيَّةَ الْعِلْمِيَّةَ السُّعُودِيَّةَ لِلسُّنَّةِ وَعُلُومِهَا خَيْرًا عَلَى مَا بَذَلَتْ مِنْ جَهْدٍ لِإِقَامَةِ  
هَذَا الْمُؤْتَمَرِ، مُؤْتَمَرِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْ يُجْزِيَ كُلَّ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ سَاهَمُوا  
بِالْكِتَابَةِ فِي الْأُبْحَاثِ الَّتِي قُدِّمَتْ هَذَا الْمُؤْتَمَرِ.

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

\*\*\*

## المبحث الأول

### التعريف بالجماعة ونشأتها

أسسها فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي<sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللهُ عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م من جماعة نصبوا أنفسهم لإحياء سنة رسول الله ﷺ ومحاربة البدع ومحدثات الأمور ودحض الأباطيل والأوهام والخرافات والترهات التي سادت الناس، ولم يسلم منها ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

#### المطلب الأول: حال المجتمع المصري قبل نشأة الجماعة:

تُصَوِّرُ مجلة الهدى النبوي تلك الحال التي كان عليها المجتمع المصري آنذاك، فتقول في عددها (ربيع أول ١٣٥٨هـ)، وهي السنة الثانية لصدورها، تحت عنوان (جهاد أنصار السنة المحمدية):

«إن الأكثرية الساحقة من الأمة على جاهلية في علمها وعقيدتها وخُلِقَها

---

(١) هو محمد بن الشيخ سيد أحمد عبده الفقي (١٣١٠ - ١٣٧٨هـ / ١٨٩٢ - ١٩٥٩م) درس بالأزهر، وتخرج منه سنة ١٩١٧م، وانقطع منذ تخرجه لخدمة الكتاب والسنة، وأنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية في عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م، ثم أسس مجلة الهدى النبوي ١٣٥٦هـ - ١٩٣٦م، وظل يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى توفي فجر الجمعة ١٣٧٨هـ / ٧ / ١٦ / ١٩٥٩م.

وَحُكْمُهَا وَنِظَامُهَا، وَقَدْ ضَرَبَ الْجَهْلُ عَلَى الْقُلُوبِ نَظَاقًا مُظْلِمًا أَسْوَدَ حَجَبٍ عَنْهَا كُلَّ هَدًى وَكُلَّ نَوْرٍ، الْأَكْثَرِيَّةُ السَّاحِقَةُ عَلَى ذُلِّ الْقُلُوبِ لِلْمَوْتِ، وَاسْتِخْذَائُهَا<sup>(١)</sup> لِلْحِجَارَةِ وَالْأَشْجَارِ، وَاسْتِكَانَتُهَا وَخَشُوعُهَا لِلنَّصَبِ وَالْمَقَاصِيرِ وَالْقِيُودِ، وَالْأَكْثَرِيَّةُ مُعْرَضَةٌ عَنِ التَّحَاكُمِ فِي عَقِيدَتِهَا وَعِبَادَتِهَا وَمَالِيَتِهَا وَشُؤُونِهَا إِلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ».

#### المطلب الثاني: أهداف الجماعة:

يَبْنِي مُؤَسَّسُ الْجَمَاعَةِ أَهْدَافَهَا الَّتِي تَتَطَلَّعُ إِلَى تَحْقِيقِهَا، وَهِيَ:

١ - دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الْمُطَهَّرِ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَاسِ الشِّرْكِ وَأَذْرَانِهِ وَشَوَائِبِهِ، وَإِلَى حُبِّ اللَّهِ - تَعَالَى - حُبًّا صَاحِبًا صَادِقًا، يَتِمَثَّلُ فِي طَاعَتِهِ وَتَقْوَاهِ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

٢ - إِرْشَادُ النَّاسِ إِلَى أَخْذِ دِينِهِمْ مِنْ نَبْعِيهِ الصَّافِيَيْنِ: الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَصَحِيحِ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَسْعِدَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيُنْجِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا فَهْمُهُمَا وَاتِّبَاعُهُمَا، فَمَا عَادَاهُمَا مِنْ أَقْوَالِ النَّاسِ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ، فَالصَّحِيحُ مَا حَكَمًا بِصَحَّتِهِ، وَالْبَاطِلُ مَا حَكَمًا بِبَطْلَانِهِ، أَيًّا كَانَ قَائِلُهُ.

(١) استخذائها: أي خضوعها وذلها. يقال: خذأ له يخذأ خذأً: خضع وانقاد له. وأخذه فلان: أي ذله. لسان العرب (٦٤/١).

٣- إرشادهم إلى أَنَّ نصوص الكتاب والسنة لا محيد عنها ألبتة. وأنَّ دينَ الله محصورٌ في ظاهرِ هذه النصوصِ التي قضتْ حكمةُ الله أَنْ ينيطَ بها صلاحَ خَلْقِهِ في دينهم ودنياهم، فالزمهم اتِّباعها، ونهاهم عن اتِّباعِ ما تشابه منها ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءِ تأويلِهِ. فمن اطمأنَّ قلبُهُ بالإيمانِ وسعُهُ ما وسعَ الرَّسولُ ﷺ وأصحابه وتابعيم بإحسان.

٤- الدَّعوةُ إلى حبِّ رسولِ الله ﷺ حبًّا صادقًا صحيحًا، يحملُ على اتِّخاذِهِ مثلاً أعلى، وأُسوةً حسنةً، والاقْتداءَ به في عبادتِهِ وأحكامِهِ ومعاملاتِهِ وأخلاقِهِ. ومجانبة كلِّ ما لم يكن عليه أمرُهُ وأمرُ أصحابِهِ، وتقديم قوله على كل قولٍ أيًّا ما كان قائله.

٥- إرشادهم إلى أن الحكم بغير ما أنزل الله هلكة في الدُّنيا وشقوة في الآخرة، وأن الله أعلم بمصلحة عباده حيث أنزل لهم شرعاً يحيط بهذه المصلحة من جميع جهاتها.

٦- الدعوة إلى مجانبة البدع ومحدثات الأمور، والوقوف عند قول الرسول ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(١)</sup>. فكل ما جاء به في حياته فهو دين إلى قيام الساعة، وما لم يأت به فليس بدين إلى يوم القيامة، لقوله تعالى في

(١) م (١٧١٨/١٣٤٣ و١٣٤٤/٣)، خ (٣٥٥/٤) تعليقا.

آخر آية أنزلها إليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٧- محاربة الخرافات والعقائد الفاسدة التي دسها العدو لمحاربة هدى الله الذي حصره في الكتاب والسنة، والعمل على هداية الناس إلى الحقائق الكونية والدينية التي لا تقبل شكاً ولا جدلاً.

٨- إرشاد الناس إلى أن حياتهم الدنيوية والأخروية مرتبطة كل واحدة منهما بالأخرى أوثق رباط، وكلتاها مرتبطتان أقوى رباط بتلاوة القرآن حق تلاوته، وفهمه وتدبره والعمل به، والحذر كل الحذر من الشرك والكفر الذي يصفه ويحذر منه، والمبادرة إلى الإيمان والعقيدة والتوحيد والعبادة التي يدعو إليها. والتخلق بما يدعو إليه من خلق.

٩- إرشاد الناس إلى أن موقفهم من صفات الله وأسمائه يجب أن يكون كموقف الرسول ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، من إيمان بكل صفة جاءت في القرآن وصحيح السنة من الاستواء والفوقية واليد والعين والنزول والضحك وسائر الأسماء والصفات على ظاهرها، بدون تأويل أو تمثيل أو تعطيل، مع استحضار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. عند ذكر أي صفة من الصفات.



### المطلب الثالث: نشأة مجلة الهدي النبوي ومجلة التوحيد:

وبعد عشر سنين من تأسيس الشيخ محمد حامد الفقي جماعة أنصار المحمدية رأى أنَّ الجماعة بحاجة إلى مجلة تعبر عن دعوتها وتصل بها إلى أكبر قدر ممكن من القراء، فأسس عام ١٣٥٦ هـ ١٩٣٦ م مجلة سمّاها ( الهدي النبوي ) وتولى بنفسه رياستها.

وقد حددَ الشيخ أغراض المجلة، فقال في أول عدد صدر فيها:

إنَّ من أول أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وإرشاد في الشؤون الدينية والأخلاقية، أخذت على نفسها موثقا من الله أن تنصح فيما تقول، وأن تتحرى الحق، وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله - تعالى - وحديث رسوله ﷺ.

### نشأة مجلة التوحيد:

استمر الشيخ الفقي رحمه الله في إصدار المجلة ، وخلفه في رئاستها إخوان له، ثم حدث أن صدر قرار بضم الجماعة إلى الجمعية الشرعية، فتوقفت مجلة الهدي وتعطلت الجماعة عن أداء رسالتها، ولكنَّ رجال الجماعة ودعاتها المخلصين لم ييأسوا، فتواصلوا مع القادة والمسؤولين، حتى استطاعوا أن يحصلوا على إذن بعودة الجماعة لاستقلالها، واستمرارها في دعوتها، وكان على رأس هؤلاء الشيخ

محمد عبد المجيد الشافعي<sup>(١)</sup>، فقام ﷺ بإصدار المجلة - لسان حال الجماعة - ولكنه اختار لها اسماً آخر وهو (التوحيد)، وظل يرأسها ويكتب فيها بعنوان: لماذا التوحيد؟!

ومنذ ذلك التاريخ ومجلة التوحيد تصدر بفضل الله أول كل شهر، وقد أصبحت أكثر المجلات الإسلامية انتشاراً، ويتم توزيع مائة وثلاثين ألف نسخة منها كل شهر في الداخل والخارج. وقد جُمِعَتْ في سبعة وثلاثين مجلداً، كما جمعت مجلة الهدى النبوي في ثلاثين مجلداً.

#### المطلب الرابع: دعوة مجلتي الهدى والتوحيد:

لما كان الشرك والبدع، والخرافات والضلالات، والتعلق بأصحاب الأضرحة والمقامات، متفشياً في المدن والقريات، فقد أخذت تلك الجماعة على نفسها العهد بمحاربة تلك الشراكيات والمحدثات، في المساجد وكل الاجتماعات،

---

(١) محمد بن عبد المجيد الشافعي (١٣٣٨-١٤١١هـ-١٩١٩-١٩٩٠م)، حصل على مؤهل تجاري ثم أكمل دراسته، فحصل على دبلوم عال تعاوَن من رومانيا، وتولى بعض المناصب في محافظة الجيزة، تعرف على الشيخ محمد حامد الفقي ودعوته فأحب الدعوة والداعية، وصار من دعاة الجماعة المخلصين، وكان له دور في إعادة الجماعة بعد صدور قرار بدمجها في الجمعية الشرعية، ثم أعاد المجلة لسان حال الجماعة وسماها (التوحيد)، وظل يكتب فيها تحت عنوان (لماذا التوحيد؟).

وعلى صفحات المجلتين: الهدي، والتوحيد، وذلك ببيان ضرر الشرك وخطر البدعة، والدعوة إلى تصفية التوحيد من شوائب الشرك، وتصفية العبادة من شوائب البدعة، وذلك لا يتم إلا بإفراد الله تعالى بالعبادة، وإفراد الرسول ﷺ بالمطابقة، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى في حق النبي ﷺ: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فهما توحيدان لا نجاة للعبد إلا بهما: توحيد الله بالعبادة، وتوحيد الرسول ﷺ بالمطابقة.

ولما كان المقصود من هذا البحث متعلقاً برسول الله ﷺ وأخلاقه، وبالأخص خلق الرحمة، فقد رأيت أن أعنتي بإبراز دور الجماعة في الدعوة إلى السنة ولزومها، وإبراز مكارم أخلاق النبي ﷺ، ولا سيما خلق الرحمة، ووجوب اتباعه ﷺ، والتأسي به، والتخلق بأخلاقه.

\*\*\*

## المبحث الثاني دعوة الجماعة إلى السنة

حرصت الجماعة منذ نشأتها على دعوة الناس إلى العودة إلى السنة الصحيحة، التي اتباعها فرض لازم، وشرط لصحة كل عبادة، ويظهر ذلك جلياً من خلال ما كتبه دعائها على صفحات مجلتها.

### المطلب الأول: تعريف السنة:

السنة لغة: هي السيرة، حسنة أو قبيحة، ففي الحديث عن الرسول ﷺ «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(١)</sup>. وهي في الاصطلاح الشرعي: كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

أما القول فهو أحاديثه ﷺ التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات كقوله «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ

(١) م (١٠١٧/٧٠٤ و ٧٠٥/٢)، ن (٧٥ و ٧٦/٥).

(٢) صحيح: [ص. ج: ١٨٩٥]، ج (٢٣٤٠/٧٨٤/٢).

مَا نَوَى<sup>(١)</sup>.

وأما الفعل فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابةُ مثل وضوئه ﷺ، وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، وكيفية أدائه مناسك الحج.. إلخ.  
وأما التقرير فهو ما أقرّه ﷺ مما صدر عن بعض أصحابه من أفعال وأقوال: سواء بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقتِهِ وإظهار تأييده، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار كأنه صدر عن الرسول ﷺ، ومن قبيل ذلك إقراره في الأعياد غناء الجاريتين في بيته، ولعب الحبشة بالحراب في المسجد<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: السنة وحي كالقرآن:

لقد أوحى الله - تعالى - إلى نبيه ﷺ كتابه العظيم، كما أوحى إليه معه بيانه الحكيم، إتماماً للنَّعمة، ومنعاً للقول في كتاب الله ودينه بغير ما جاء عن الله ورسوله. ولقد امتن الله على الأمة بما أوحى إليها من القرآن والحكمة، والسنة هي الحكمة المبينة للقرآن، والمتكاملة معه في توضيح المنهج الأقوم لتنظيم شؤون هذه الحياة، في العقيدة، وفي التشريع، وفي الأخلاق، وفي السلوك. امتن الله

(١) متفق عليه: خ (١/٩)، م (١٩٠٧/١٥١٥)، د (٢١٨٦/٢٨٤)، ت (١٦٩٨/١٠٠/٣).

(٢) مجلة التوحيد العدد (٤) ربيع الآخر ١٣٩٦ هـ. ص (٤٠). على بدر الطنطاوي.

بالقرآن والسنة ونظمهما معاً في عقد واحد، وجعل مناط هذا الامتحان هو كونها أنزلاً معاً على نبينا ﷺ دون أن يقتصر الإنزال والوحي على القرآن وحده، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١]، والحكمة هي السنة، فهي وحي ينزل على رسول الله ﷺ كما ينزل عليه الوحي بالقرآن، إلا أنها لا تُتلى كما يُتلى القرآن<sup>(١)</sup>.

ولقد وعد الله - تعالى - رسوله ﷺ أن يُبين له القرآن كما وعده أن يجمعه في صدره، فقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [١٦] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [١٧] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [١٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ وضمه في صدرك بتيسير حفظك له، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾، أي: تفسير قراءتك له، فإذا قرأه جبريل فاستمع له، فإذا انتهت قراءته فاقراً أنت. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾: أي: إظهاره بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل، وعلينا كذلك بيانه، أي: تبين ما فيه من الأحكام وما يتعلق بها من الحلال والحرام، والتفصيل والإجمال، والتقيد والإطلاق، وما إلى ذلك مما تكفلت به السنة. فبيان القرآن وتفسيره، وتفصيل ما أُجمل فيه، لم يكن إلى رسول ﷺ استقلالاً، وإنما كان وحياً يوحيه الله إليه، أو كان اجتهاداً يلهمه الله الصواب فيه، ثم يقره عليه. فما

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/١).

أوحاه الله إلى رسوله ﷺ لم يكن القرآن وحده، وإنما كان القرآن وبيانَه، أو بمعنى أعمّ كان القرآن والسنة<sup>(١)</sup>.

فالسنة وَحْيٌ ولو كره المنكرون:

والدليل أن الوحي القرآني قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ورسول الله ﷺ لا يمكن أن يكون مجتهداً من عند نفسه وهو يُبَيِّنُ كيفيتها، وعدد ركعاتها، وما يقال فيها. والوحي القرآني قال: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، والسنة بينت مقدارها ونصابها. والوحي القرآني قال: ﴿وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والسنة بينت عدد مرات الطواف والسعي.

والوحي القرآني جعل من المحرمات: الأخوات من الرضاعة، والسنة بينت الرضاعة المحرمة. والوحي القرآني جعل من المحرمات في النكاح: الجمع بين الأختين، والسنة جعلت من المحرمات: الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وهذا شيء لا مجال فيه للاجتهاد.

ولا شك أن الإيمان بالسنة رحمة من الله؛ لأنه لو كان القرآن فحسب لفقد العابدُ المثال، والنموذج المتكامل الذي يجب أن يُقتدى به في السلوك

---

(١) مجلة التوحيد العددان (١٠ و ١١) شوال وذو القعدة سنة ١٣٩٥ هـ. د. الأحدي أبو النور.  
(أستاذ بجامعة الأزهر، ووزير أوقاف سابق).

والمعاملات، بل في التنفيذ العملي لآيات الله في قرآنه<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: ردُّ أنصار السنة على منكري السنة:

وكما قامت الجماعة بواجبها في الدعوة إلى السنة واتباعها، فقد قامت - أيضا - بواجبها في الردِّ على منكري السُّنَّةِ والصَّادِّين عنها، وهم فرق: فمنهم الذين يزعمون الاستغناء بالقرآن عن السنة، ومنهم الذين يزعمون أن أحاديثَ الآحاد ليست حجة، ومنهم الذين جعلوا عقولهم حاكمَةً على الحديثِ تصحيحًا وتضعيفًا، فما قبلته عقولهم فهو صحيحٌ عندهم وإن كان ضعيفا عند المتخصصين في علم الحديث، وإن رفضته عقولهم فهو ضعيف وإن كان صحيحا عند أهل الحديث، وقد قامت الجماعة بواجبها في الرد على هؤلاء أجمعين.

### أولاً: رد الجماعة على من زعم الاستغناء بالقرآن عن السنة:

ففي العدد الثاني - صفر ١٤٠٦ هـ - كتب الشيخ أحمد طه نصر<sup>(٢)</sup> تحت

(١) مجلة التوحيد (٤) ربيع الآخر ١٤١٠ هـ. مصطفى درويش، (هو ابن أخت أبي الوفا درويش، مؤسس أنصار السنة بسوهاج، وتولى رئاستها بعده، وتولى منصب وكيل أول وزارة العدل.

(٢) من تلاميذ الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة، وخطيب، ومؤلف للكتب، وكاتب في مجلتي الهدي النبوي والتوحيد، له مؤلفات قرابة عشر كتب، وهو لا يزال حيا أمد الله في عمره.



عنوان: (جحود السنة النبوية كفر) كتب يقول:

السنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وهي كنز من كنوز الوحي الإلهي والاجتهاد النبوي الذي أقره الله عليه، وهي فوق ما تشتمل عليه من شرائع وأحكام، فيها مواعظ وعبر، وأخلاق وآداب؛ لأن الذي قالها هو الذي قال فيه ربُّه تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَـعَلَّيْ عَظِيمٌ خُلِّقَ﴾ [القلم: ٤].

وقد أجمع المسلمون الصادقون على الاحتجاج بالسنة مع الكتاب، واعتبروها مصدرا للفقهاء الإسلامي، ولكن قوما مفتونين في قلوبهم مرض، أخذوا يزعمون أن الحجة في الإسلام هو القرآن فقط، وأنكروا أن تكون السنة مبينة، والأحاديث النبوية واجبة الأخذ كالقرآن.

وقد دافع العلماء في الماضي وردُّوا على أولئك الجاحدين:

قال ابن حزم في (أصول الأحكام): إن الله - تعالى - جعل الإيمان برسوله ﷺ مقرونا به، وسنة رسوله مبينة عن الله معنى ما أراد، ثم قرن الحكمة بكتابه وأتبعها إياه، ولم يجعل ذلك من خلقه غير رسوله، فلم يسع مسلما يقرُّ بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر من رسول الله ﷺ، ولا يتأبى عما وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق، ومن فعله مستحلا الخروج عن أمرهما فهو كافر، لا شك عندنا في ذلك.

وقال ابن القيم في تعريف الإيمان: هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد محبة وخضوعاً، والعمل به ظاهراً وباطناً، وتنفيذه والدعوة إليه. وقد أمر الله - تعالى - بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وأعاد الفعل (أطيعوا) إعلماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرضٍ على ما أمر الله به في الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه ﷺ أوتي الكتاب ومثله معه. وما ورد في كتاب الله من الرد إلى الله وإلى الرسول يقول مجاهد وغيره: الرد إلى الله إلى كتابه، وإلى الرسول أي: سنته. ومن لم يرجع إليهما فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر. وإن الآية دامغة لمن عدل عن الكتاب والسنة بالنفاق حيث يقول سبحانه: ﴿رَأَيْتَ الْمُتَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]<sup>(١)</sup>.

ثانياً: رد الجماعة على منكري الاحتجاج بأحاديث الآحاد:

تحت عنوان: (الأخذ بأحاديث الآحاد في أمور التشريع والاعتقاد) كتب عبد الرازق السيد:

مضت قرون الخير الثلاثة: قرن الرسول ﷺ والصحابة، وقرن التابعين

---

(١) مجلة التوحيد العدد (٢) صفر ١٤٠٦ هـ ص (٣٦).

وتابعيهم، ولم تُثر قضية أحاديث الآحاد، لا من بعيد ولا من قريب، فكان الأمر على زمن الرسول ﷺ، وزمن صحابته الكرام، على قبول خبر الواحد العدل دون تردد، والعمل به في سائر أمور الدين. بهذا نطق القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وعمل الصحابة البررة.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، فهنا يأمر سبحانه المؤمنين بالتثبت في قبول خبر الواحد الفاسق، فيفهم في المقابل أنها تفيد قبول خبر الواحد العدل دون تردد.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بُعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، استدلل الإمام القرطبي بهاتين الآيتين على قبول خبر الواحد من الرجال ومن النساء أيضا. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»<sup>(١)</sup>. قال أهل العلم: إن الأمر بالتبليغ هنا يشمل الواحد فما فوق. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا

(١) خ (٣٤٦١/٤٩٦/٦)، ت (٢٨٠٧/١٤٧/٤).

فبلغه..»<sup>(١)</sup>، وهو واضح الدلالة على قبول خبر الواحد.

وقد كان النبي ﷺ يبعث رسله آحادا، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون: لا نقبل أخبارهم لأنهم آحاد.

ولما تحولت القبلة إلى الكعبة خرج رجل ممن صلى مع النبي ﷺ على أهل قباء وهم يصلون، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة. فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ لم يترددوا في قبول خبر الواحد، وأداروا وجوههم فور سماعهم الخبر.

ومثل هذا يقال في الآيات التي نزلت في تحريم الخمر، وغيرها كثير لو تتبعناه في سيرتهم ﷺ، مما يدل على أنهم ﷺ لم يكونوا يترددون في قبول خبر الواحد العدل والعمل به. وعلى هذا سارت الأمة سلفا وخلفا: الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الأربعة وأهل الحديث قاطبة. ولم تظهر بدعة التردد في العمل بأحاديث الآحاد إلا في عصور الضعف، وعند ظهور الفرق، وبخاصة المعتزلة، وقد تفشى هذا الأمر في العصور الأخيرة، وأصبح له أنصار ومُرَوِّجون في معاهدنا المختلفة، وحجتهم الواهية هي أن

---

(١) صحيح: [ص.ت: ٢٦٥٧]، ت(٢٧٩٥/١٤٣)، ج(٢٣٢/٨٥/١).

حديث الآحاد لا يفيد العلم القطعي، بل يفيد العلم الظني. وهذه حجة عقلية يخالفون بها سيرة السلف الصالح وجمهور أهل الحديث. ونحن نتساءل: لماذا لا يسعنا ما وسع أسلافنا، وما كان عليه أئمتنا المعتبرون؟ فحديث الآحاد ما دام صحيحا فهو يفيد العلم، ويُعمل به في كل أمور الدين، من عقيدة، وعبادة، وشرعية، بهذا قال جماهير العلماء من السلف والخلف. ومن أراد أن يقف على أقوالهم فليراجع ما كتبه أهل العلم في ذلك من أمثال ابن حجر، وابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم، رحمة الله عليهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: رد الجماعة على الذين يصححون الأحاديث ويضعفونها بعقولهم:

كتب الشيخ أحمد فهمي<sup>(٢)</sup> في افتتاحية العدد (٦) جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ

كتب يقول:

إنَّ منزلة السنة في الإسلام مستمدة من القرآن الكريم، حيث أمرنا الله - تبارك وتعالى - باتباع رسول الله ﷺ. والذين يزعمون أنهم يأخذون بالقرآن وحده لا ندري كيف يفسرون قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

(١) مجلة التوحيد العدد (٦) جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ (٥٠-٥٢)، عبد الرازق السيد عيد.

(٢) تولى رئاسة تحرير مجلة التوحيد الصادرة عن الجماعة فترة سبع عشر سنة، ولا يزال حيا أطال الله عمره.

هَنَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ﴿ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، إلى غير ذلك من آيات القرآن التي ركزت على ضرورة اتباع رسول الله ﷺ، حيث أوضح الله ﷻ أنه كلفه بيانه للناس: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ ﴾ [النحل: ٤٤ - ٤٥]، وأن كل ما صح عن رسول الله ﷺ إنما هو من وحي الله، حيث قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، كما أقسم الله - تعالى - على نفي الإيهان عن كل من لم يرضخ ويستسلم لحكم رسول الله ﷺ فقال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ تَسْلِيمًا وَيُسَلِّمُوا ﴾ [النساء: ٦٥].

وإذا كان الله ﷻ خلق الإنسان وميَّزه على سائر مخلوقاته بالعقل، فليس معنى هذا أن يغترَّ المرء بعقله ويعتبره مرجعاً لقبول الأخبار والأحكام عن رسول الله ﷺ أو رفضها، ما يقبله العقل يعتبر صحيحاً، وما لا يقبله يتم رفضه، لا شك أنه مبدأ يطعن في دين الله؛ لأنَّ العقول تتفاوت، ولأنَّ الإسلام جاء ليهيمن على العقول بمنهج، لا أن تهيمن العقول على الإسلام.

إنَّ سنة النبي ﷺ هي التي تنظم حياة المسلمين وعلاقتهم بالله تعالى،



وتنظم كل وجوه معاملاتهم. فإذا كان الله - تعالى - قد أمر بالصلاة مثلاً، فهل يَبِّن لنا في القرآن عدد الصلوات في اليوم والليلة؟ وهل يَبِّن لنا عدد الركعات في كل فريضة؟ وهل يَبِّن لنا أركان الركعة وما يقال في كل ركعة منها؟ أم أن ذلك جاء في أحاديث النبي ﷺ وفي سنته العملية والقولية والتقريرية؟ وما يقال في الصلاة ينطبق على كل العبادات. فليس في القرآن الكريم توضيح لمقادير الزكاة ولا أنواعها ولا شروط إخراجها. وليس في القرآن بيان تفصيلي عن أحكام الصيام أو أعمال الحج، إنما الذي يَبِّن كل هذا هو رسول الله ﷺ، ولولا هذا البيان ما عرفنا كيف نعبد الله.

وكذلك معاملات المسلمين وما يحل وما يحرم جاءت السنة المطهرة موضحة ومفصلة ومبينة، بحيث لم تترك مجالاً لشبهة أو حيرة أو شك في أمر من هذه الأمور.

ولكن أعداء الإسلام الذين اتخذوا إنكار الأحاديث النبوية منهجاً لهم لا يعجبهم ما كان عليه السلف الصالح من التسليم الكامل للكتاب والسنة، وإبعاد الآراء من أن يكون لها مجال في دين الله، علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه.

ولا شك أن رفض حديث صحيح واحد يفتح الباب على مصراعيه

لرفض السُّنَّةِ بالكامل؛ لأن العقول المريضة تتفاوت في مرضها، فيأتي هذا وينكر بعض الأحاديث، ويأتي الثاني وينكر البعض الآخر، وهكذا حتى لا نجد حديثاً صحيحاً يستقر في وجدانهم فيعلنون أنهم قرآنيون، وذلك خروجٌ عن الإسلام وارتدادٌ عن الدين. ولا أدري أيُّ عقل هذا الذي يجعله صاحبه مهيمناً على بعض أمور الغيب التي صحت بها الأحاديث<sup>(١)</sup>؟.

\*\*\*

---

(١) مجلة التوحيد العدد (٦) جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ. أحمد فهمي.



### المبحث الثالث

#### دعوة الجماعة إلى مكارم الأخلاق

وكما قامت الجماعة بواجبها في الدَّعوة إلى إفرا دِ الله - تعالى - بالعبادة ونبذِ الشُّركِ، والدَّعوة إلى اتِّباعِ السُّنةِ واجتنابِ البدعة، فإنَّها لم تُهمَل جانبَ الأخلاق؛ لأنَّها تؤمِّنُ بأنَّ الدَّاعيةَ الأوَّلَ محمداً ﷺ كما دعا إلى التَّوحيدِ والسُّنةِ دعا إلى مكارمِ الأخلاق، وجعلها غايةً منْ غاياتِ بَعثتِه، فقال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>، لذلك أعلنت الجماعة صراحةً أنَّ من مبادئها مكارم الأخلاق، كما سبق بيانه في أهداف الجماعة، وأغراض المجلة.

**المطلب الأول: نماذج من كتابات الجماعة في الدعوة إلى مكارم الأخلاق:**

لقد اهتمت الجماعة بالدَّعوة إلى مكارم الأخلاق، والترغيب فيها والتحذير من مساوئ الأخلاق منذ نشأتها، ويظهر ذلك جلياً في كتابات دعايتها على صفحات مجلتها (الهدى النبوي).

ففي عدد محرم ١٣٦٢ هـ كتب الشيخ أبو الوفا درويش<sup>(٢)</sup> تحت عنوان

(١) صحيح: [ص. خد: ٢٠٧]، حم (٨٩٥٢/٥١٢ و ٥١٣/١٤)، ك (٦١٣/٢).

(٢) ولد سنة ١٣١٠ هـ، ونشأ نشأة دينية علمية، وشغل الكثير من الوظائف الحكومية، =

(داؤنا ودواؤنا):

رَبَّى الإسلام معتنقيه الأولين الذين اعتنقوه مخلصين تربيةً نفسيةً ساميةً، جعلت منهم شعباً ممتازاً من شعوب الأرضِ بفضائله ونُبل أخلاقِهِ، وسُمُوّ مزاياه، فقد أخذهم بالصدق والوفاء بالوعد، وأداء الأمانة، وربّاهم على العفة والنّزاهة، ومجافاة الأذناس، والشجاعة والصراحة، والوقوف عند الحدّ. وغرس في نفوسهم المحبة، والإخلاص، والوفاء، والتعاون على البر والتقوى. وأشرب في قلوبهم البذل، والإيثار والتضحية، والحلم، والتواضع، والعفو، والدمائة<sup>(١)</sup>، والبشاشة، وطلاقة الوجه، ولين الجانب، وخفض الجناح، والرحمة، والعدل. وعودهم النظر في أعقاب الأمور، والحكمة، والقصد، والجد، والمثابرة، والثبات، والصبر، وعلو الهمة، والطموح إلى معالي الأمور. ودرّبهم على صيانة اللسان، وكف الأذى، والمراقبة، وحسن التوكل، وإسداء النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحب الحق والخير والجمال، والقناعة والرضا

---

=وهو من أبرز رجال وعلماء جماعة أنصار السنة المحمدية، ويلقب بحبر الصعيد، توفي سنة

١٣٨٢هـ.

(١) الدماثة: سهولة الخلق، يقال: دَمَثَ دَمَثًا، فهو دَمِثٌ: لان وسهل. كذا في لسان العرب

(٢/١٤٩).

وعزة النفس. وغير ذلك من الفضائل التي نهضت بالأمة الإسلامية وأنافت<sup>(١)</sup> على البقاع.

نعم المسلمون بهذه الأخلاق حيناً من الدهر، فسادوا الأمم وقهروا الشعوب، ودانت لحكمهم الأرض، فأصبحوا أئمة، وأصبحوا وارثين لعروش الطغاة وتيجان الظالمين. وثق بعضهم ببعض، وأحب بعضهم بعضاً، فائتلفوا وتعاضدوا، وتوادوا وتراحموا وتعاونوا، وكانوا كالبنيان المرصوص، يشدُّ بعضه بعضاً. أسسوا ملكهم على الفضيلة والخلق الكريم، وأقاموا دولتهم على البر والتقوى، وحصَّنوها بالعدل والإنصاف، وحاطوها بالشجاعة والكرم. كان كبيرهم يعطف على صغيرهم ويرحمه، وكان صغيرهم يُجِلُّ كبيرهم ويُوقِّرُه. كان القويُّ عند حاكمهم ضعيفاً حتى يأخذ الحقَّ منه، وكان الضعيف عنده قوياً حتى يأخذ الحقَّ له، وكانت الرعيَّةُ آمنةً مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، تعمل وتجد، وتكسب وتنتج في ظلِّ الأمن والعدالة.

مضى الأولون وخلفوا فينا تراثاً ثميناً، وأورثونا كنوزاً غالية من الخلق العظيم والفضيلة. ولكن سرعان ما امتدت يد الإسراف إلى هذا التراث،

(١) أنافت: أي علت وارتفعت. يقال: ناف الشيء نَوْفاً: ارتفع وأشرف. وأناف الشيء على غيره: ارتفع وأشرف. كذا في لسان العرب (٣٤٢/٩).

وسرعان ما فرطنا في جنب هذه الذخائر وبددنا هذه الأخلاق. فتردّينا في هُوّة الإفلاس الخلقي الرهيب، مازالت هذه الأخلاق تنحل، وما برحت رياض الفضيلة تذبل، وتذوى أزهارها، وتنقص أغصانها، حتى أصبحت حطبا لا ظلّ له ولا ثمر.

وفي العدد الثاني صفر ١٣٦٢ هـ كتب الأستاذ عبد الرحمن عزام تحت عنوان: (الإصلاح الخلقي):

كان العرب في الجاهلية يعيشون من غير أن تنظمهم عقائد ظاهرة، أو أخلاق فاضلة، أو شرع محبوب، يقرّون له من صميم ضمائرهم بالحرمة والطاعة، أو مبادئ سامية، يتميز بها الحق من الباطل، وتعتبر منارات الهدى في تقرير الحقوق والواجبات للجميع، أسيادا أو مسودين، حكاما أو محكومين.

كان العالم في العهد الجاهلي جديرا بهذه التسمية، فجاء محمد ﷺ فصاح بأعلى صوته «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، وتمثلت هذه الأخلاق الفاضلة في شخصه الكريم، فالصدق والبر، ومعرفة الواجب وأداؤه، والحلم والورع، والحياء والصبر والشجاعة، والعزة والتواضع والوفاء، كل ذلك كان بعض صفاته البارزة التي قرّبت إلى القلوب، فتعلق الناس به، وتركوا في حبه جاهليتهم



وأبائهم وأبناءهم، فكان مثله الشخصي له أكبر الأثر في الانقلاب الروحي والخلقي الذي تمَّ في أيامه وبعد وفاته.

كذلك كان أثر المبادئ التي سنَّها، والعقيدة التي دعا إليها، مبادئ الإخاء والمساواة والعدالة والحرية، التي جعلها أجزاءً مُتمَّةً للإيمان، قد فعلت فعلها في إصلاح الأخلاق والسمو الروحي للجماعة. وكذلك فعلت عقيدة الإيمان بالله وحده لا شريك له، له الملك وله السلطان، بيده النفع والضرر، والمنع والعطاء، يتساوى الناس في ملكوته، وفي العبودية له، فسما بالروح البشرية وحرَّرها، ووجهها إلى الخير العام، يقصد وجه الله القدير، الذي بيده كل شيء، ووجهها إلى الخير، وجعل مناط الأعمال النية التي يعلمها ويحيط بها علام الغيوب.

فالعقيدة الإسلامية التي دعا إليها محمد ﷺ والتي مكنَّها في نفوس أصحابه وأتباعه، هي بذاتها الدعامَةُ الكبرى للإصلاح الاجتماعي، فقد نشأت عنها وترتبت عليها حياة روحية خلقية فاضلة، لها المقام الأول في نفس المسلم، وما بعدها من مادة إنما يكسب أهميته بقدر صلاحه لإعزاز هذه الروح وتمكينها<sup>(١)</sup>.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد الثاني صفر ١٣٦٢ هـ عبد الرحمن عزام ص (٢٥-٢٧) باختصار.

## المطلب الثاني: مكارم أخلاق النبي ﷺ:

وجماعة أنصارِ السُّنَّةِ وهي تدعو إلى مكارمِ الأخلاقِ تَعَلَّمْ عِلْمَ اليقينِ أَنْ «حسنَ الخلقِ لا يُؤسِّسُ في المجتمعِ بالتَّعاليمِ المرسلة، أو الأوامرِ والنواهي المجردة، إذ لا يكفي في طبعِ النَّفوسِ على الفضائلِ أَنْ يَقُولَ الْمُعَلِّمُ لغيره: افعلْ كذا، أو لا تفعلْ كذا، فالتأديبُ المثمرُ يحتاجُ إلى تربيةٍ طويلةٍ، ويتطلبُ تعهدًا مستمرًّا، ولن تصلحَ تربيةٌ إِلَّا إذا اعتمدتْ على الأسوةِ الحسنة»<sup>(١)</sup>، وليس ثمَّ مَنْ يصلحُ للتأسي به في مكارمِ الأخلاقِ إِلَّا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، الذي زكَّاه رَبُّهُ في مكارمِ أخلاقِهِ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ودعا إلى التأسي به ﷺ فقال: ﴿حَسَنَةُ أَسْوَةِ اللَّهِ رَسُولٍ فِي لَكُمْ كَانَ لَقَدْ كَانَ لِمَنْ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ كَثِيرًا اللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٢١].

لذلك حرصتِ الجماعةُ على إظهارِ مكارمِ أخلاقِ النَّبِيِّ ﷺ على صفحاتِ مجلَّتِها لتكونَ المثلَ الأعلى للمؤمنين.

ففي العدد (٤٢) ربيع أول ١٣٥٩ هـ كتب الشيخ محمد مصطفى المراغي<sup>(٢)</sup>،

(١) خلق المسلم محمد الغزالي (١٥).

(٢) محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي (١٢٩٨-١٣٦٤ هـ / ١٨٨١-١٩٤٥ م)، باحث مصري، عارف بالتفسير، من دعاة التجديد والإصلاح، عين شيخاً للأزهر سنة=

شيخ الأزهر تحت عنوان (محمد رسول الله) كتب يقول:

لكلِّ نوعٍ من الخَلِيقَةِ مثَالٌ يُحَالُ إنْ لم يكن موجودًا، وسيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ ذلك المَثَالُ الكاملُ من نوعِ الإنسانيَّةِ، إذا نظرتَ إليه من جميعِ أَقْطَارِهِ ونواحيه بهركَ وملائكَ إعجابًا، وقهركَ على التأمُّلِ والبحثِ.

وإذا كان الله - سبحانه - وهو أحكم الحاكمين، وهو أعلم حيث يجعل رسالته قد اختار محمدًا ﷺ أمينًا على وحيه، مُبَلِّغًا أكمل دين، وأتمَّ نعمة، وأقوم هدى، وأقوى رشاد، واختاره خاتم الأنبياء، واصطفاه للعالم جميعه أحمره وأسوده. فقد صنعه الله على عينه، مثالا كاملا خصه بأكمل الصفات وأرفع الدرجات، وماذا أصنع أنا أو غيري أمام هذه العظمة التي تردُّ الطرف كليلًا؟ سوى أن ألفت النظر إلى بعض تلك الشئال للعظة والذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

كل ما صح في الروايات عن أوصافه الخَلْقِيَّةِ تدلُّ على أنه مُنِحَ أجمل الصفات وأكملها بسط الله له في الجسم، ومنحه في القوة ما أعزّه به لمصارعة الحوادث واحتمال الشدائد على المكاره، ليكون رجل جهادٍ وجلاد، إذا صارعه الباطل صرعه، وإذا دعاه الحق نصره، وقد رووا أنه صرع ركانةً وكان أشدَّ أهل

= ١٩٢٨م فمكث عاما، وأعيد سنة ١٩٣٥م فاستمر إلى أن توفي بالإسكندرية.

وقته، وصارع أبا ركانة في الجاهلية مرات وصرعه فهو شبيه بهذا أخيه موسى  
عليه السلام حيث وكز شخصا ففضى عليه. وقيل فيه: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعَجَرْتَ  
الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وإذا نظرتم إلى حسن تدبيره ظواهر الخلق وبواطنهم، وإلى ساسته العامة  
والخاصة، وما أفاضه على الوسط حوله من علم، وتهذيب، وخلق، وقوة،  
وعزم، وحسن معاشرة، حتى خرج من هؤلاء - الذين لم يدرسوا في مدرسة، ولم  
تخرجهم جامعة - أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعمرو وخالد وأبي عبيدة،  
وابن عباس وابن مسعود من فحول العلماء، وخاصة الفقهاء، وأبرع القواد،  
ودهاقين<sup>(١)</sup> السياسة، وحماة الأخلاق، بوداي البر والرحمة والشجاعة والنجدة،  
علمتم ما كان له من الأثر البالغ في تربية الرجال، وتهذيب النفوس، وتطهير  
الأخلاق.

ولقد كان مثلاً أعلى للأبطال في الشجاعة، يؤيدها سلاح اليقين بالله،  
وهذه القوة، وهاتيك الشجاعة كانت لله، وفي سبيل الله، يصاحبه قلب رحيم،  
وصبر لا يفنى، وحلم لا ينفذ.

(١) دهاقين: جمع دَهَقَان وهو التاجر، فارسي معرب، والتدهقن: التكيس، والدهقان: القوي  
على التصرف مع حدة. كذا في لسان العرب (١٦٣/ ١٦٤ و ١٣).



وكانت أخلاقه القويمة الباهرة يؤيدها الوحي الإلهي ، والفناء في امتثال أوامر الله من العفو والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين. ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَٰؤُا الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وسع الناس جميعاً فصار أباً رحيماً، وصاروا أبناء بررة، كلهم عنده في الحق سواء، لا يذكر أحداً بسوء، وإن اقترف أحد سيئة قال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذًا». لم يَطْوِ عن أحدٍ بشره، على أنه كان أعرف الناس بالناس، وكان شديد الحذر، وكان يقول: «أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي بِمَجْلَسِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(١)</sup>.

يكرم كريم الأقوام، ويتفقد أصحابه، لا يغفل عنهم، لكل حالة عنده عتاد، يقرب الأخيار، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأكرمهم عنده أحسنهم مواساة ومؤازرة، يلبس الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ، لا يبيت عنده دينار، إلا ديناراً أعدّه لقضاء دينٍ عليه. ثابر على الصراط المستقيم، وثابر على الدعوة إليه، فنا في الحق ولم ير له وجوداً إلا بالحق، فنعيم بلذته، ونعيم بجوار ربّه حيّاً، ونعيم بجوار ربّه ميتاً، فسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم

(١) صحيح: [ص.ت: ٢٠١٨]، ت(٢٠٨٧/٢٤٩/٣).

يموت، ويوم يبعث حياً.

ولقد فاز بكل ما دعا به ربّه في دعائه المشهور المملوء جمالا وسحرا: «اللهم  
إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعبي، وتصلح بها  
غائبتي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وتعصمني بها  
من كل سوء، اللهم إني أسألك الفوز بالقضاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء،  
والنصر على الأعداء»<sup>(١)(٢)</sup>.

وفي العدد (١) محرم ١٣٧٥ هـ. من الهدي النبوي كتبت تحت عنوان  
(صفحة من الحياة النبوية) كتبت تقول<sup>(٣)</sup>:

إنها لصفحة بيضاء، كأنصع ما يكون البياض، وإنها لنقيّة كأحسن ما يكون  
النقاء، وإنها لمشرقة كأنتم ما يكون الإشراق، وإنها لمطهّرة مقدسة كأفضل ما  
يكون الطهر والقدس، وإنها كالفهرس من الكتاب يجمع مواده ويستوعب  
فصوله في إجمال وإحسان. تلك هي نبوة محمد بن عبد الله، خاتم النبيين، وإمام  
المرسلين، وإنها لأتمّ النبوات، وأكمل الرسالات.

(١) ضعيف: [ض.ت: ٣٤١٩].

(٢) الهدي النبوي العدد (٤٢) ربيع أول ١٣٥٩ هـ. ص (١٤-٢١).

(٣) أي المجلة.

ولما كانت هذه الشريعة المطهرة أتمّ الشرائع وأكملها، اختار الله لها أتم الأنبياء، وأكمل الرسل، وهو نبينا محمد ﷺ، ليجعله مَشْرِقًا لشمسها، ومَهْبُطًا لوحياها، وينبوعًا لنميرها<sup>(١)</sup> الفياض، ومُبَشِّرًا بالسعادة الأبدية، والنعيم الخالد لمن اتبعها، وأطاع أحكامها، ومُنْذِرًا بالويل والثبور، والعذاب الأليم لمن أعرض عنها، وخالف عن أمرها، فهو أكمل إنسان وُجِدَ على الأرض، منذ دبت الحياة البشرية على المهد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نعم هو أكمل الناس كافة في مظاهر وجوده جميعًا، أما من الناحية البشرية أي من ناحية أنه بشر مثلنا فهو أكمل البشر خَلْقًا وَخُلُقًا، وَرُوحًا وَعَقْلًا، فهو المثل الأعلى للرجل الكامل، بِنِيَّةٍ قَوِيَّةٍ، وَعَظْمٍ مُفْتَوِّلٍ، وَمَزَاجٍ مُعْتَدِلٍ، وَوَجْهٍ مُشْرِقٍ يَفِيضُ صَحَّةً وَعَافِيَةً، وَيَتَهَلَّلُ بِشَرٍّ، وَيَقْطُرُ لُطْفًا وَحَنَانًا. وحواس قوية كأقوى ما تكون الحواس في بشر، وهامة ضخمة تكاد تنطق بما أودع فيها من العقل الكبير الذي ليس له مثل، وطلعة وسيمة كلها هيبة وجلال، تعالت عن القصر المزري، وتنزهت عن الطول الشاهق. وصفوة القول أنه الأنموذج الكامل للإنسان الكامل في خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ، حسبك أن الله خلد الثناء عليه في كتابه

(١) النمر من السحاب: الذي فيه آثار كآثار النمر. وقيل: هي قطع صغار متدان بعضها من بعض. (لسان العرب ٢٣٥ / ٥).

الخالد الكريم، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أرادت السيدة عائشة رضي الله عنها أَنْ تصفه ﷺ فلم تجد وصفاً أجمل، ولا إطرأً أبلغ من أن تقول: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»<sup>(١)</sup> أي: إنه ﷺ تحرى الخلق الكريم الذي دعا الله إليه في القرآن العظيم فلبسه وارتدى به واتزر ثم تَلَفَّعَ بفضله.

تحرى الصدق منذ جرت على لسانه الألفاظ، وتمثلت في نفسه المعاني، فلم يُلَوِّثْ لسانه بكذبٍ قط، حتى في إِبَّانِ الطفولة حين لا يعرف الطفل ما الفضيلة، ولا يدري ما الخُلُقُ الكريم؟. ولقد شهد له أعداؤه بهذه الفضيلة السامية. سأل هرقل أبا سفيان قبل أن يُطَهَّرَهُ اللهُ بالتوحيد: «هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. قال هرقل: ما كان ليزر الكذب على الناس ويكذب على الله»<sup>(٢)</sup>. ولقي أحدُ المشركين أبا جهل، فقال له: إنه ليس هنا إلا أنا وأنت، فأخبرني: هل محمدٌ كاذب؟ قال: لا، ما كَذَبَ محمدٌ قط.

(١) م (٥١٢-٥١٤/١٣٢٨)، د (٢٢٢-٢١٩/٤)، ن (١٩٩-٢٠١/٣).

(٢) خ (٣١-٣٣/١).

واصطنع الأمانة منذ كان في المهد صبيا، حتى لقد كان يأبى أن يلثم الثدي التي كانت من نصيب أخيه من الرضاعة - كما تحدث الرضاعة - ونما ذلك الخلق في نفسه وتحراه في الصبا والمراهقة والشباب والكهولة، حتى لقد عُرفَ به في البيئة التي درج فيها، وغلب عليه اسم (الأمين)، وظلَّ أمينًا على حقوق الله وحقوق الخلق، حتى أدَّى أمانته الكبرى كاملة، وبلغ ما أنزل إليه من ربه، ولحق بالرفيق الأعلى.

لقد كان المثل الأعلى لفضائل الصبر والاحتمال، والحلم والعفو، والعطف والرحمة، وحسن العشرة، والوفاء والشجاعة، والنجدة والسخاء، والعدل والإنصاف، والبشاشة والتواضع، ولين الجانب والعفة، والقناعة والرضا، والحزم والعزم، وضبط النفس وقوة الإرادة، ومضاء الهمة، وقصارى القول: أنه ليس ثمة فضيلة من الفضائل التي امتاز بها إنسانٌ في عصر من العصور، أو شعب من الشعوب، سواء كان ذلك الإنسان عالما أم فيلسوفا أم متشرعا أم سياسيًا، أم خطيبا أم جنديا أم بطلا أم قائدا أم متبتلا، أم دينا أم حاكما أم نبيا أم رسولا، إلا تجلت فيه ﷺ في أتم صورها وأكمل أشكالها وأروع هيئاتها<sup>(١)</sup>.

(١) الهدي النبوي العدد (١) محرم ١٣٧٥ هـ. ص (٣٧-٤٢).

المطلب الثالث: وجوب التأسي به ﷺ في مكارم الأخلاق:

وبعد أن أظهرت الجماعة مكارم الأخلاق التي تمثلت في شخص النبي ﷺ صرّحت بالدعوة إلى التأسي به ، فكتب أحمد على حسن في عدد شعبان ١٣٨٣ تحت عنوان (الأسوة الحسنة):

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ  
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

لو نظرنا في تاريخ الإسلام لوجدنا أنه نشر نفسه بنفسه، فلم يحتج إلى الحديد والنار إلا لحماية دعوته من المعاندين الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا من أجل زعامتهم وكهانتهم، ولو درسنا فتوحات السيطرة في التاريخ كسيطرة الإسكندر<sup>(١)</sup>، وفتوحات نابليون<sup>(٢)</sup> وضمّنا إلى دراستها مكر

(١) الاسكندر الأكبر (المقدوني) ولد ٣٥٦ ق.م، وتوفي سنة ٣٢٣ ق.م، حارب الفرس وهزمهم، ووحد بلاد الإغريق تحت سيطرته عام ٣٣٦ ق.م وعمره عشرون عاما. لقب بالمقدوني؛ نسبة لمقدونيا مسقط رأسه، ولقب بالأكبر؛ لأنه غزا معظم العالم على الرغم من صغر سنه.

(٢) نابليون بونابرت ولد بفرنسا سنة ١٧٦٩ م وقام بثورته المشهورة عام ١٧٨٩ م التي قضى بها على ملك لويس السادس عشر. وخاض حروبا كثيرة في النمسا وألمانيا وبلجيكا، ووصل إلى مصر. ثم عاد إلى فرنسا فاجتمعت الدول الأوروبية عليه وهزموه وأسروه. مات سنة ١٨٢١ م.

الاستعمار الأوربي الحديث، لوصل بنا الموضوعُ إلى أن كل ذلك لم ينل من الأمة المغلوبة إلا القشرة السطحية، فهو لم يصل إلى قلوب تلك الأمم، ولم يُغيّر من مشاعرها وفهومها، بل لم يزد لها إلا بُغْضًا لتلك الأنظمة، ومقتًا لهذه السيطرة، وكُرْهاً لهؤلاء المسيطرين. أما الإسلام فلو اتجهنا إلى دراسة سيرة رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم لو جدنا أن حُسْنَ القدوة، ودَقَّةَ الأسوة، هي العامل الأول لنشر الدين، فهناك نُبلُ الخلق، وجمال الفضائل، وُسْمُو الكمال، مختلطة بلحم الرسول الأكرم ودمه صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى عَظِيمٍ خُلُقٍ﴾ [القلم: ٤]، إيمان عميق ملك على حسّه وشعوره، وحبّ كامل أنساه كل شيء، ما عدا تلك العقيدة الصافية الينبوع، وأمل واقعي الغاية لا تكاد تُفْلِتُ نتائجه من يد مؤمله بإذن ربه.

آمن بدعوته إيماناً لا يزعزعه عنه وضع الشمس في يمينه، والقمر في يساره، وأحبّ الناس جميعاً، وصار قصاراه أن يقنعهم بدعوته مهما أتعبوه وعاندوه وآذوه، «رَبِّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(١)</sup>، وتسَلَّحَ بسلاح خُلُقٍ كامل، لو أنا بحثنا عنه في جميع أفراد المعمورة ما وجدنا مثله في أدب وصدق ووفاء، وشجاعة، وصبر ومثابرة، وحِرْصٍ على بلوغ الغاية، وتَلَطُّفٍ في الدعوة،

(١) متفق عليه: خ (٣٢٣١/٣١٢/٦)، م (١٧٩٥/١٤٢٠/٣).

وقَصْدٍ فِي الْحُجَّةِ، وتعليمٍ بِالْأَسْوَةِ وَالْقُدْوَةِ، ونقاءٍ فِي السَّيْرَةِ وَالسَّرِيرَةِ، لَا ضَغْنَ وَلَا حَقْدَ، وَلَا خَتَلَ وَلَا مَكْرَ، سَخِيًّا بِمَا يَمْلِكُ، لَا يَمُدُّ عَيْنِيهِ إِلَى مَتَاعِ النَّاسِ، ضَحَّى بِحُظُوظِ نَفْسِهِ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ، مَعَ صَلَابَةِ فِي تَأْيِيدِهَا مَهْمَا لَحِقَ بِهِ مِنْ أَدَى فِي شَخْصِهِ، لَمْ يَكُنْ هَمُّهُ نَفْعًا جَزْئِيًّا لِأَسْرَتِهِ أَوْ لِقَرِيشٍ أَوْ لِلْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ نَفْعَ النَّاسِ جَمِيعًا، وَيُرِيدُ أَنْ يَعْمَ هَذَا النُّورَ مُحِيطَ الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَكُنْ رَحْمَةً لِأَتْبَاعِهِ فَحَسَبَ وَلَكِنَّهُ وَإِنْ جَعَلَ لِأَصْحَابِهِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ مِنْهَا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَحْمَةً لِأَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ أَجْمَعِينَ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وهذا الوصف من جانب الرسول الكريم كان يؤيده أو صافً أخرى من جانب صحابته وأتباعه، فقد تلقوا رسالته بالقبول، واختلطت بلحومهم ودمائهم لمواءمتها للفظر السليمة، فقد نبتوا في أرض فسيحة لم تدنسها أقدام الفاتحين والغزاة المفسدين، فما وصلت العقيدة إلى قلوبهم حتى انساحوا في الأرض فنشروها بأخلاقهم وعدلهم ومحبتهم، وحسن معاملتهم لمن عداهم من سكان الأرض المفتوحة.

وإن تعجب فعجب أن جميع الأديان التي تبشر برسالاتها في المستعمرات وغيرها تتخذ الهدايا والمال وعلاج الأمراض وضمائم الفناء والحياة للأرض التي



ييشرون فيها... وأما الإسلام مع انطواء الداعين إليه والمبشرين به فإننا نجد حصيلة الداخلين فيه تفوق أضعاف الداخلين في جميع الأديان، وليس له من الأسلحة سوى القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، ويحدثك التاريخ الصحيح عن وصول الإسلام للهند والسند والصين ومجاهل إفريقيا، وأن انتشاره كان بحسن القدوة من معتنقيه الذين احترفوا التجارة واستوطنوا في تلك الجهات.

والذي أدعو إليه إنما هو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة التي أمرنا الله بها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

إن الأسوة الحسنة هي الطريق الوحيد لنشر الإسلام، والسمو بالمسلمين إلى الدرجة التي يطمحون إليها، وجدير بأنصار السنة في جميع الأقطار الإسلامية وغيرها أن يكون اقتداؤهم بالرسول الكريم ﷺ اقتداء فعلياً في عقيدتهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، فإن القدوة الطيبة من أقوى الأسلحة إلى النفاذ لأعماق القلوب<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) مجلة الهدي النبوي العدد (٨) شعبان ١٣٨٣ هـ. ص (١٨ و ١٩)، أحمد أحمد على حسن.

## المبحث الرابع

### نبي الرحمة

وهكذا قامت الجماعة بدورها في إظهار شمائل النبي ﷺ، ومكارم أخلاقه، ودعت الناس جميعاً إلى التأسي به ﷺ، وقد خصت الجماعة من هذه الأخلاق خُلُق الرحمة فركزت عليه، وأظهرت آثاره في أصحابه ﷺ.

#### المطلب الأول: مظاهر الرحمة في حياته ﷺ:

وفي ذلك كتب الشيخ محمود شلتوت<sup>(١)</sup> تحت عنوان (حول ذكرى مولد

النبي ﷺ)<sup>(٢)</sup>:

(١) محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري، ولد بمدينة بني منصور (بالبهيرة) وتخرج بالأزهر (١٩١٨) وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧) وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد، وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، فعمل بالمحاماة (١٩٣١-١٩٣٥) وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلاً لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء (١٩٤١)، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦) ثم شيخاً للأزهر (١٩٥٨) إلى وفاته.

(٢) مع التنبيه بأن إقامة مولد النبي ﷺ ليس له أصل في الشرع، وانظر للمزيد رسالة: (القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد بخير الرسل) للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري.



كان النبي ﷺ مُعلِّماً بالعمل لا بالقول، كان داعياً للفضيلة بالفضيلة تفيض من نفسه، كان قدوةً في أعماله، وأسوةً في أفعاله، يتوضأ ويقول لأصحابه: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي. لم يشرح لهم فرضاً ولا سنة ولا مستحباً. كان يصلي ويقول لأصحابه: صلوا كما رأيتموني أصلي. كان يحج ويقول: خذوا عني مناسككم. لذلك كان عظيماً فوق العظماء.

ولنذكر لكم بعض المثل العملية من ناحيتين من نواحي تلك العظمة: ناحية تربيته للنفوس على الفضائل، وناحية إصلاحه للمجتمع إصلاحاً منظماً ثابت الأركان، مدعم الجوانب.

#### ١ - طريقة الرسول ﷺ في التهذيب:

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]:

التزكية هي تطهير النفوس، وتقويم الأخلاق. ولذلك طريقتان: أحدهما: شرح ما للأخلاق الطيبة من مزايا وآثار تعود على المرء وعلى المجتمع بالخير.

والثاني: ضرب المثل العملية في هذه الأخلاق الفاضلة، ليرى الناس آثارها

بأعينهم، وتنفعل بها نفوسهم، فيتسابقون إلى التحلي، والانتفاع بآثارها. وهذا هو الطريق الحكيم الذي سلكه محمد ﷺ في تزكية النفوس، وتقويم الأخلاق.

كان يدعو إلى الرحمة، ويضرب المثل العملية في جميع تصرفاته، وليس أدل على هذا من موقفه من قومه، وقد كادوا له ما كادوا، فجاءه جبريل يقول له: «إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك، وقد أمر ملك الجبال أن يصنع ما شئت بهم. فناداه ملك الجبال: مرني يا محمد بما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فعلت». فماذا كان جوابه ﷺ؟ ماذا كان جوابه وقد آتته القوة التي لا تبقي ولا تذر؟ ماذا كان جوابه وقد مكن له من الذين نكلوا به وبأصحابه وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم؟ كان جوابه: لا. بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله.

إنها الرحمة العظيمة، التي فطره الله عليها، كما قال الله سبحانه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا لِّلْعَالَمِينَ رَحْمَةً﴾ [الأنبياء: ١٠٧]<sup>(١)</sup>.

(١) مجلة الهدى النبوي العدد (٤) ربيع ثاني ١٣٦٢ هـ. ص (٢٤ و ٢٥).

وفي عدد محرم ١٣٧٦ هـ كتب الأستاذ سليمان رشاد محمد<sup>(١)</sup>:

إن الله - سبحانه وتعالى - بعث نبيه محمداً ﷺ بأقوم دين، وأكرم رسالة، وأحسن منهج لسعادة الدارين، والهداية إلى النجدين، فدعا إلى مكارم الأخلاق، وجعلها من أسس رسالته، فقال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ». وكان ﷺ معروفًا بين قومه بمكارم الأخلاق من الصدق والأمانة والوفاء، والكرم والسخاء، وبر الأراامل والفقراء المساكين، وإعانة المنكوبين والضعفاء، وصلة الرحم والأقرباء.

كان ﷺ كما وصفه الله تعالى ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فكان لا يألو جهداً، ولا يدخر وسعاً، ولا يترك سبيلاً في تعليم المسلمين دينهم، وهدايتهم إلى ما يقربهم إلى رضوان الله، من غير استعلاء ولا تكبر ولا غطرسة، بل في لين ورحمة، وعطف ومحبة كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وأمره ربُّه أن يتواضع لمن آمن بالله ورسوله: ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، كما تخفض الطير جناحيها

(١) ولد بقرية بلانة بالنوبة بصعيد مصر سنة ١٩٠٩ م، عضو المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، وأشرف على مجلة الهدى النبوي فترة طويلة. وكان محل ثقة الشيخ حامد الفقي.

على أفرانها رحمة وشفقة ومحبة لها. وقد فقه رسول الله ﷺ عن ربّه، فكان يحب أصحابه أعظم حب، ويعطف عليهم أحنى عطف فكان بهم رؤوفاً رحيماً<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: كيف كان ﷺ رحمة للعالمين في دينهم؟

وفي عدد ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ استفتح د. عبد الله شاكراً<sup>(٢)</sup> مقالات له استمرت نحو عامين تحت عنوان: (خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة من رب العالمين)، فاستفتح أول هذه المقالات بقوله:

إِنَّ اللَّهَ - تعالى - بعث نبيّه وحبّيبه ومصطفاه محمداً بن عبد الله ﷺ رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين، فقبل بعض العباد هذه الرحمة ورفضها آخرون. قال الله ﷻ موجّهاً خطابه للنبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وعليه فإن بعثة النبي ﷺ رحمة في الدين والدنيا.

(١) الهدي النبوي الأعداد (٢-٧) صفر - رجب ١٣٧٦ هـ. (٧٨ و ٧٩).

(٢) ولد - حفظه الله - سنة ١٩٥٥ م ببها العسل بمحافظة القليوبية بمصر، درس بالأزهر، ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حتى حصل على الدكتوراه في العقيدة، وعمل أستاذاً بالجامعة ورئيساً لقسم العقيدة بكلية المعلمين بقمفزة، ثم عاد إلى مصر فاختير نائباً لرئيس جماعة أنصار السنة ثم رئيساً لها ومازال.

أما في الدين فلا أنه بعث والناس في جاهلية وضلالة، فجزيرة العرب كانت تعج بركام من المعتقدات الباطلة لعبادة الأصنام، وكانت الكعبة التي بنيت لعبادة الله الواحد الأحد تحتوي على ثلاثمائة وستين صنماً، وانحطت عبادة الأصنام فيهم حتى كانوا يعبدون جنس الحجر، كما أخرج البخاري عن أبي رجاء العطاردي رضي الله عنه قال: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً أخيراً منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحللنا عليه، ثم طفنا به»<sup>(١)</sup>. وكانوا يجعلون لآلهتهم نصيباً من ثمار الزروع والأنعام وعبدوا هذه الآلهة من دون الله فكانوا بهذا يعتقدون على حق الله فيها الذي وضعوه هم بأنفسهم ويقدمونه لآلهتهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا<sup>ط</sup> فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ يَحْكُمُونَ مَا﴾ [الأنعام: ١٢٦]، كما زعموا أن الملائكة بنات الله - مع كراهيتهم هم للبنات -، إلى جانب انتشار الكهانة والعرافة وغير ذلك من المعتقدات الباطلة.

ولم يكن أهل الكتاب أحسن حالا من هؤلاء، بل كانوا في حيرة من أمر دينهم لوقوع الاختلاف في كتبهم وطول مكثهم مع انقطاع تواتر الوحي

(١) خ (٤٣٧٦ / ٩٠ / ٨).

عندهم، وما كان لدين أن يستمر ويستقيم بعد أن لعبت به أيادي التحريف والتبديل، وتدخل فيه الرجال بالزيادة والنقصان، وتعددت كتبه وتفرق أهله، حتى دخلت الوثنية والشرك والتطاول على أنبياء الله ورسله في الديانتين اليهودية والنصرانية، وكان المجوس يعبدون النار ويستحلون نكاح المحارم، وهكذا كان العالم كله يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، وصدق في هؤلاء جميعا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ويصور لنا النبي ﷺ الوضع المزري للبشرية قبل بعثته ﷺ وذلك في حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء»<sup>(١)</sup>.

(١) م (٢٨٥٦/٢١٩٧ و٢١٩٨/٤).



ولما وصل العالم بأسره إلى هذه المرحلة من الضلال بعث الله خاتم النبيين رحمة للعالمين، فدعا إلى الحق وإلى عبادة الله وحده دون سواه، وبين سبيل الرشاد وأنزل الله عليه الكتاب، فيه تشريع للأحكام، وتمييز بين الحلال والحرام، ففتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وهدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، وانتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق وكان التوفيق قرينا له، وردّها ولم ينتفع بها من عاند واستكبر ولم يسلم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقَرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۖ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ بَعْدِ مَكَانٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

### المطلب الثالث: كيف كان ﷺ رحمةً للناس في دنياهم؟

وأما كونه رحمةً في الدنيا؛ فلأنهم تخلصوا ببعثته من كثير من الذل والهوان والقتال والحروب، وتنزلت عليهم البركات من رب الأرض والسموات، كما نُصروا ببركة دينه واتباعه ﷺ حتى فتحت لهم الدنيا، ويذكر علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ حَالِ الْبَشَرِيَّةِ قَبْلَ بَعْثَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ﷺ بكلمات دقيقة وعبارات فائقة يقول فيها: كل من لحظ بعين الحكمة والاعتبار، ونفذت بصيرته إلى مكنون الأسرار، علم حاجة البشرية كافة إلى رسالة خاتم النبيين، فقد بُعث ﷺ على حين فترة من الرسل، وإخافة للسبل، وانتشار من الأهواء، وتفرق الملل، ما بين

مُشَبَّهٌ لِّلَّهِ بِخَلْقِهِ، وَمُلْحَدٌ فِي اسْمِهِ، وَمُشِيرٌ إِلَى غَيْرِهِ، كَفَرَ بِوَاحٍ، وَشَرَكَ صِرَاحٌ، وَفَسَادٌ عَامٌ، وَانْتِهَابٌ لِلْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَاحِ، وَاغْتِصَابٌ لِلْحَقُوقِ، وَشَنُّ لِلْغَارَاتِ، وَوَادٌ لِلْبَنَاتِ، وَأَكَلَ لِلدَّمَاءِ وَالْمِيتَاتِ، وَقَطَعَ لِلْأَرْحَامِ، وَإِعْلَانٌ بِالسِّفَاحِ، وَتَحْرِيفٌ لِلْكَتَبِ الْمُنْزَلَةِ، وَاعْتِقَادٌ لِأَضَالِيلِ الْمُتَكَهِّنَةِ، وَتَأْلِيهِ لِلْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ، وَسَيْطَرَةٌ مِنْ جَبَابِرَةِ الْجُورِ وَزَعْمَاءِ الْفِتَنِ وَقَادَةِ الْغُرُورِ، ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَطَامَاتٌ طَبَقَتْ أَكْنَافَ الْأَرْضِ، اسْتَمَرَّتِ الْأُمَمُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْأَجْيَالِ الطُّوَالِ، حَتَّى دَعَا دَاعِيَ الْفَلَاحِ، وَأَذَنَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالصَّلَاحِ، فَأَحْدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، فَإِنَّ النُّوَابِ إِذَا تَنَاهَتْ انْتَهَتْ، وَإِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَرْسَلَ إِلَى الْبَشَرِ رَسُولًا لِيَعْتَقَهُمْ مِنَ أَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفْرِ وَعَمَى التَّقْلِيدِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَيُنْقِذَهُمْ مِنَ النَّارِ وَالْعَارِ، وَيَرْفَعَ عَنْهُمْ الْأَصَارَ، وَيَطْهَرَهُمْ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَيُرْشِدَهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] <sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) مجلة التوحيد العدد (٤) ربيع آخر ١٤٢٧ هـ. ص (٢٦-٢٨).

## الخلاصة

هكذا حاولت إبراز دور جماعة أنصار السنة المحمدية بجمهورية مصر العربية في إبراز معالم الرحمة في حياة النبي ﷺ، من خلال كتابة علمائها ودعاتها في مجلتي (الهدي النبوي والتوحيد) لسان حال الجماعة منذ نشأتها إلى الآن، وأرجو أن أكون قد وفقت لما أردت. وأن أكون قد عرّفت الحاضرين ومن يبلغهم بهذه المؤسسة الدعوية ودورها في الدعوة إلى التوحيد والسنة، التي جرى عليها سلف الأمة، وكيف أن هذه الجماعة عرفت مكانة الأخلاق في الإسلام، وأهميتها بالنسبة للدعاة، فركزت في دعوتها على مكارم الأخلاق وضرورة التحلي بها، ووجوب التأسي بالنبي ﷺ فيها، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وأن أهم هذه الأخلاق خلق الرحمة؛ لأنه الطريق إلى قلوب المدعوين، كما قال الله - تعالى - لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

نسأل الله - تعالى - أن يهدينا لأحسن الأخلاق، وأن يجعلنا من الدعاة إليه

على بصيرة، الذين يدعون بأخلاقهم وأعمالهم قبل قولهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

### التوصيات:

١ - الحرص على إقامة مثل هذه المؤتمرات بصفة دورية لإبراز جانب العظمة في حياته ﷺ.

٢ - الحرص على إبراز الخير الكثير الذي تحقق للناس على يديه ﷺ.

٣ - التركيز على ضرورة تحلي الدعاة بمكارم الأخلاق ولا سيما خلق الرحمة.

٤ - طبع البحوث المقدمة لهذا المؤتمر أو أهمها، ونشرها بكل ما يمكن من اللغات للوصول بهذه الرحمة إلى من تبلغه.

\*\*\*



# المحتويات

ابيض

# المحتويات

المحتوى	الصفحة
✽ تقديم	
إعداد/ د. عبد العزيز السعيد	٦-٣
✽ معالم الرحمة في أخلاق نبي الرحمة ﷺ	
إعداد/ د. محمد بن علي الغامدي	٨٠-٧
✽ الرحمة خلق رسول الله ﷺ	
إعداد/ د. محمد بن عبد الله اللعبون	١٣٤-٨١
✽ منهج النبي ﷺ في أخلاقه	
إعداد/ د. مصطفى سي يعقوب	١٩٤-١٣٥
✽ معالم الرحمة في أخلاق النبي ﷺ	
إعداد/ الباحث: عراقي محمود سيد حامد	٢٨٠-١٩٥
✽ معالم الرحمة في تعليم النبي ﷺ	
إعداد/ عماد عبد الله الشرفين، و رابعة زكريا معابده	٣٤٦-٢٨١
✽ معالم الرحمة في علاقة النبي ﷺ بمجتمعه	
إعداد/ د. المرتضى الزين أحمد محمد	٣٩٢-٣٤٧

- ✽ معالم الرحمة في علاقة النبي ﷺ بمُجْتَمَعِهِ  
إعداد/ د. جمال بن محمد السيّد عبد الحميد ..... ٥١٢ - ٣٩٣
- ✽ معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المبتدئ والجاهل والعاصي  
إعداد/ د. سليمان بن صالح محمد الشجراوي ..... ٥٨٠ - ٥١٣
- ✽ معالم الرحمة في أحكام الأسرة «الأسرة المسلمة بين الرحمة النبوية والدعوة الغربية»  
إعداد/ أ. د. أحمد محمد هليل ..... ٦٨٢ - ٥٨٣
- ✽ فقه الرحمة في خلق رسول الله ﷺ ومعالمها في علاقته ﷺ بأسرته  
إعداد/ د. إيمان محمد علي عادل عزام ..... ٧٦٦ - ٦٨٣
- ✽ معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع زوجته  
إعداد/ د. محمد بن عبد الله غبان الصبحي ..... ٨٦٠ - ٧٦٧
- ✽ رحمة النبي محمد ﷺ بأعدائه  
إعداد/ أ. د. فوزي بن درمن ..... ٨٩٢ - ٨٦١
- ✽ معالم الرحمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
إعداد/ د. شعبان رمضان محمود محمد مقلد ..... ٩٦٦ - ٨٩٣
- ✽ معالم الرحمة في المعاملات المالية  
إعداد/ د. محمد محمود طلافحة ..... ١٠١٠ - ٩٦٧



المحتوى	الصفحة
✽ معالم الرحمة في حقوق الطفل ومعاملته وتربيته في شريعة نبي الرحمة ﷺ	
إعداد/ الباحثة/ هداية الله أحمد الشاش.....	١٠٨٠ - ١٠١١
✽ معالم الرحمة في الحدود	
إعداد/ د. محمد البوشواري.....	١١٣٠ - ١٠٨١
✽ مظاهر الرحمة في إقامة حد الزنا	
إعداد/ د. آمال يس عبد المعطي بنداري.....	١٢١٤ - ١١٣١
✽ حقوق الإنسان في شريعة نبي الرحمة ﷺ	
إعداد/ بلال بن يوسف بن عبد الله.....	١٣٠٢ - ١٢١٧
✽ معالم الرحمة في حقوق المرأة	
إعداد/ د. سلوى بنت محمد المحمادي.....	١٣٥٢ - ١٣٠٣
✽ معالم الرحمة في حقوق المرأة في الإسلام	
إعداد/ أحلام محمود علي مطالقة.....	١٤١٢ - ١٣٥٣
✽ معالم رحمة النبي ﷺ بالمرأة	
إعداد/ بركة بنت مضيف الطلحي.....	١٤٩٢ - ١٤١٣
✽ معالم الرحمة في حقوق المساكين واليتامى	
إعداد/ أ. د. رفعت فوزي عبد المطلب.....	١٥٥٨ - ١٤٩٣
✽ معالم الرحمة النبوية في رعاية حقوق المسنين	
إعداد/ د. أحمد فكير.....	١٦١٠ - ١٥٥٩

- ✽ معالم الرحمة في حقوق المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة  
إعداد/ د. حياة بن محمد بن جبريل ..... ١٦١١ - ١٦٥٨
- ✽ معالم الرحمة في السنة النبوية بذوي الاحتياجات الخاصة والمسنين  
إعداد/ د. عفاف خلف الله محمد النمري ..... ١٦٥٩ - ١٧٢٦
- ✽ معالم الرحمة في حقوق المُسنِّين وذوي الاحتياجات الخاصَّة  
إعداد/ د. تغريد بنت مظهر يحيى بخاري ..... ١٧٢٧ - ١٧٨٦
- ✽ رحمة رسول الله ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة  
إعداد/ أ. د. عبد الرحيم العلمي ..... ١٧٨٩ - ١٨٣٨
- ✽ معالم رحمة النبي ﷺ في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة  
إعداد/ د. محمد بن درويش درويش ..... ١٨٣٩ - ١٨٩٠
- ✽ معالم رحمة النبي محمد ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة  
إعداد/ علي بهلول علي أحمد ..... ١٨٩١ - ١٩٧٤
- ✽ معالم الرحمة في السنة النبوية بالرفق بالحيوان  
إعداد/ د. سليمان بن عبد الله السيف ..... ١٩٧٥ - ٢٠٤٨
- ✽ معالم الرحمة بالحيوان في شريعة نبي الرحمة ﷺ  
إعداد/ أ. د. توفيق بن أحمد الغلبزوري ..... ٢٠٤٩ - ٢١٢٤
- ✽ معالم الرحمة بالحيوان  
إعداد/ د. عبد الغفور عبد الحق حسين بُر البلوشي ..... ٢١٢٥ - ٢٢١٠



إعداد/ د. عبد الله بن محمد الرشيد .....	٢٢٥٨-٢٢١١
✽ الوحي القرآني «دراسة تقويمية لأقوال المستشرق الألماني كارل بروكلمن»	
إعداد/ د. عبد الله رفاعي محمد أحمد .....	٢٣٣٤-٢٢٥٩
✽ دراسة تقويمية لموقف الكتاب غير المسلمين من الحديث النبوي	
إعداد/ د. عبد العزيز فارح .....	٢٤٠٢-٢٣٣٥
✽ موقف المستشرقين من السنة النبوية «دراسة تقويمية»	
إعداد/ د. محمد عبد الرزاق أسود .....	٢٥١٠-٢٤٠٥
✽ الاستشراق الإسباني والسيرة النبوية	
إعداد/ د. سيف الإسلام بن عبد النور الهلالي .....	٢٥٥٢-٢٥١١
✽ صورة النبي ﷺ في الفكر الأوربي بين الإجحاف والإنصاف	
إعداد/ أ.د. محمد زرمان .....	٢٦٥٦-٢٥٥٣
✽ صورة النبي ﷺ في كتاب غونزال «محمد وإنجازه MAHOMET ET SON ŒUVRE» أصول عناصرها وأدوات بنائها	
إعداد/ د. محمد الحافظ الروسي .....	٢٧١٤-٢٦٥٧
✽ شخصية الرسول ﷺ في كتاب «محمد: حياته وعقيدته» للمستشرق السويدي: تور أندريه	
إعداد/ عبد الحق التركماني .....	٢٧٩٠-٢٧١٥

✽ أصول الصورة المشوهة لمحمد ﷺ في الغرب الأوروبي ومكوناتها

«قراءة في تاريخ الاستشراق الإسباني ونهاذجه وامتداداته»

إعداد/ أ. د. محمد عبد الواحد العسري ..... ٢٨٤٦-٢٧٩١

✽ محمد ﷺ نبي لزماننا «دراسة تقويمية لوجهة نظر البريطانية كارين

أرمسترونج» MUHAMMAD PROPHET FOR OUR TIME

By KAREN ARMSTRONG

إعداد/ أحمد بوعود ..... ٢٩٠٨-٢٨٤٧

✽ أدباء أوروبا والإسلام وتداخل المصالح الشخصية مع المهمة

المقدّسة مع دراسة تقويمية لأراء الكاتب والفيلسوف الفرنسي

فولتير حول الإسلام ونبيه ﷺ أنموذجاً

إعداد/ أ. د. محمود عبد العزيز محمود محمد راضي ..... ٣٠٠٦-٢٩٠٩

✽ رؤية علماء غربيين منصفين للإسلام ونبيه

إعداد/ أ. د. مصطفى محمد حلمي سليمان ..... ٣٠٦٨-٣٠٠٩

✽ «دراسة تقويمية» لأراء الغربيين في الإسلام ونبيه نبي الرحمة ﷺ

إعداد/ د. إسماعيل بن غصاب بن سليمان العدوي ..... ٣١٥٤-٣٠٦٩

✽ نبوة محمد ﷺ في الاستشراق الفرنسي المعاصر جاكين شابي

(أنموذجاً)

إعداد/ أ. د. عبد الحكيم فرحات ..... ٣٢٢٢-٣١٥٥



✽ صلة رسالة النبي ﷺ برسالة إخوانه الأنبياء ﷺ من خلال

السنة النبوية

إعداد/ د. عبد الله بن عبد العزيز الفالح ..... ٣٣٦٨ - ٣٢٢٣

✽ صلة رسالة النبي ﷺ برسالات الأنبياء من خلال القرآن

إعداد/ حمد بن إبراهيم العثمان ..... ٣٤٤٨ - ٣٣٦٩

✽ الإيمان بالنبي ﷺ «نبوته - عموم رسالته - ختم النبوة - عصمته»

إعداد/ أ. د. محمد حافظ الشريدة ..... ٣٥٢٢ - ٣٤٤٩

✽ محبة المصطفى ﷺ «موجباتها، مقتضياتها، وكيفية التعبير عنها»

إعداد/ د. محمد المصلح ..... ٣٥٤٦ - ٣٥٢٣

✽ محبة النبي ﷺ

إعداد/ د. رضا بوشامة ..... ٣٥٩٠ - ٣٥٤٧

✽ محبة النبي ﷺ

إعداد/ د. عمر بن مصلح الحسيني ..... ٣٦٥٨ - ٣٥٩٣

✽ محبة النبي المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء

إعداد/ د. أبي بكر بن سالم الشهاال ..... ٣٧١٦ - ٣٦٥٩

✽ عزُّ الأُمَّة؛ في اتِّباعِ نبيِّ الرحمة ﷺ

إعداد/ د. صالح بن سعيد عومار ..... ٣٧٧٦ - ٣٧١٧

- ❖ حقيقة الاتِّباع لنبينا المطاع ﷺ  
إعداد/ وليد بن سيف النصر ..... ٣٩٠٦ - ٣٧٧٧
- ❖ الضوابط الشرعية في الدفاع عن النبي ﷺ  
إعداد/ الشيخ / أحمد ولد لمرباط الشيخ محمد الشنقيطي ..... ٣٩٥٢ - ٣٩٠٧
- ❖ الضَّوَابِطُ الشَّرْعِيَّةُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ  
إعداد/ أبي عبد الله فتحي بن عبد الله الموصلی ..... ٤٠٢٦ - ٣٩٥٣
- ❖ الحوار وأثره في الدفاع عن النبي ﷺ  
إعداد/ أ. د سليمان بن عبد الله أبا الخيل ..... ٤١٠٨ - ٤٠٢٧
- ❖ الرد على شبهة تعدد أزواجه ﷺ  
إعداد/ د. عبد الله نومسوك ..... ٤١٤٤ - ٤١٠٩
- ❖ الدفاع عن النبي ﷺ بالبراهين الشرعية والعقلية «والتدليل بذلك على صدق نبوته ورسالته»  
إعداد/ د. محمد كندو ..... ٤٢٥٨ - ٤١٤٧
- ❖ آيات العتاب والوعيد «دلائل عقلية وشرعية على صدق نبوة محمد ﷺ»  
إعداد/ الزبير دردوخ ..... ٤٣١٠ - ٤٢٥٩
- ❖ تقويم المفاهيم الخاطئة عند الغلاة والجفاة في الدفاع عن النبي ﷺ  
إعداد/ د. علي مصري سيمجان فوترا ..... ٤٤٣٨ - ٤٣١١



- ✽ لمحات من جهود الصحابة رضي الله عنهم ومواقفهم في الدفاع عن النبي ﷺ  
إعداد/ د. صالح بن حامد الرفاعي ..... ٤٤٣٩ - ٤٤٧٦
- ✽ جهود المحدثين في الدفاع عن النبي ﷺ  
إعداد/ د. نادر السنوسي العمراني ..... ٤٤٧٧ - ٥٣٦
- ✽ السنة في دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله  
إعداد/ د. عبد العزيز بن محمد السعيد ..... ٤٥٣٧ - ٦٩٠
- ✽ من جهود سماحة الشيخ ابن باز رحمته الله في الدفاع عن النبي ﷺ  
إعداد/ د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان ..... ٤٦٩٣ - ٧٩٠
- ✽ معالم الرحمة في دين الإسلام ونبيه لدى العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله  
إعداد/ د. عاصم بن عبد الله القريوتي ..... ٤٧٩١ - ٩٠٢
- ✽ جهود المغاربة في الدفاع عن رسول الله ﷺ  
إعداد/ د. سعيد المغناوي ..... ٤٩٠٣ - ٩٥٢
- ✽ الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ في شبه القارة الهندية الباكستانية  
إعداد/ سهيل حسن عبد الغفار ..... ٤٩٥٣ - ٥٣٨
- ✽ أسس إبراز منهج الرحمة في الخطاب الدعوي المعاصر «جهود الدعاة في تنزيله على الواقع»  
إعداد/ أ.د. محمد زين الهادي الحاج علي العرماني ..... ٥٠٣٩ - ٥١٠٤

✽ دور مناهج التاريخ الإسلامي في تجسيد رحمة النبي ﷺ «دراسة

تقويمية وتصور مقترح»

إعداد/ د. إبراهيم عبد الفتاح إبراهيم رزق ..... ٥١٠٧ - ٥٢١٤

✽ دور جماعة أنصار السنة المحمدية في إبراز معالم الرحمة في سيرة

النبي ﷺ

إعداد/ د. عبد العظيم بن بدوي ..... ٥٢١٥ - ٥٢٧٠

✽ المحتويات ..... ٥٢٧١ - ٥٢٨٢

تم بحمد الله

